الرهبنه الديريه القبطية المعاصرة

دراسة انثروبولوچيه بوادى النطرون

اعداد

أ.د اليس اسكندر بشاى

استاذ الاجتماع والانثروبولوجيا

بأداب طنطا وكفر الشيخ

تقديم

قداسة البابا شنودة الثالث

بابا لاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

الرهبنه الديريه القبطية المعاصرة

دراسة انثروبولوچيه بوادى النطرون

اعداد

أ.د اليس اسكندر بشاى

استاذ الاجتماع والانثروبولوجيا

بأداب طنطا وكفر الشيخ

تقديم

قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

أسم الكتاب : الرهبنة الديريه القبطيه المعاصره

المؤلف : أ.د/ اليس أسكندر بشاى

الطبعه :. الأولى

المطبعة :. دار ماريا للطباعة الحديثة

ت: ٠١٠٢٤٤٠٣٣٦

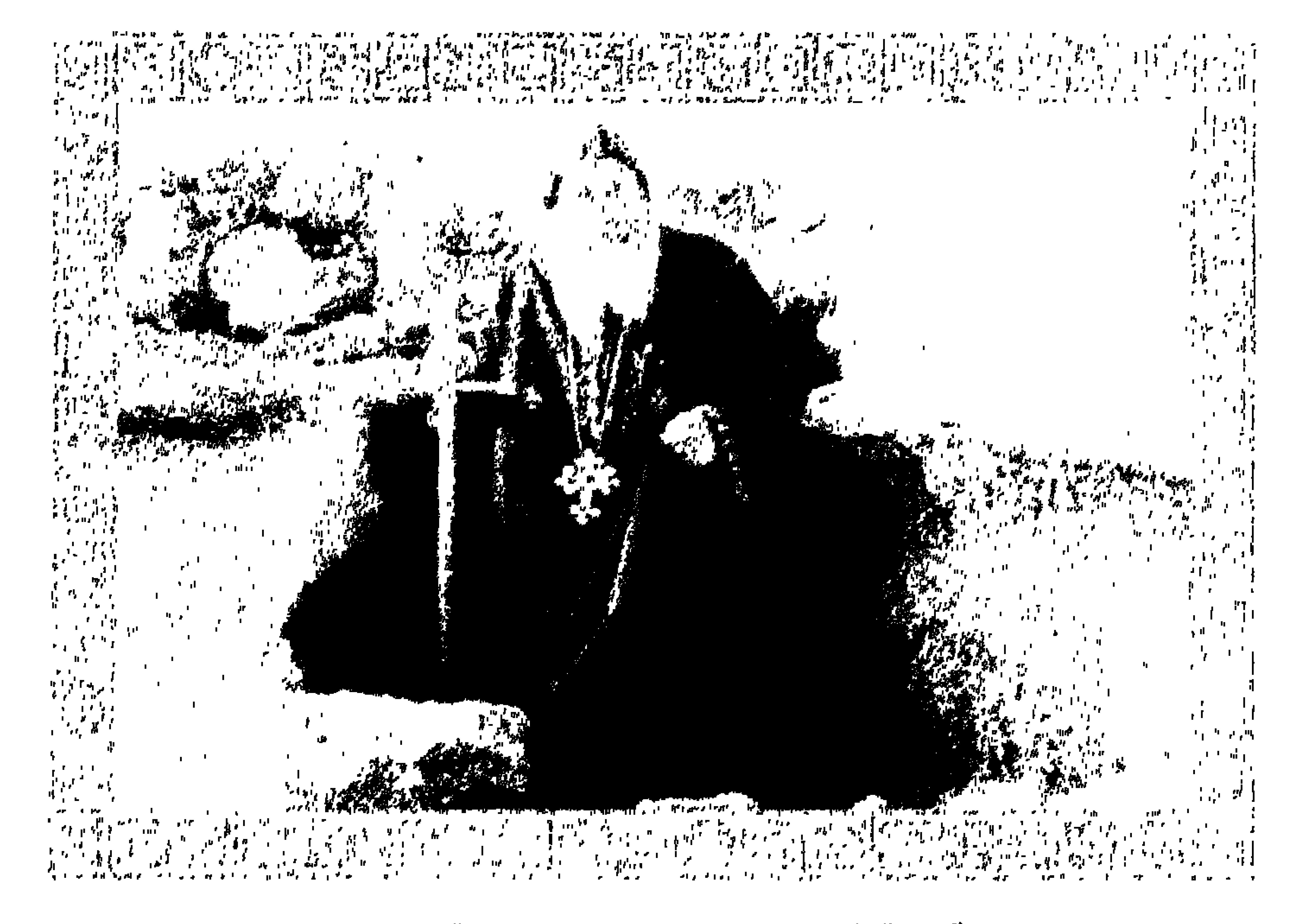
رقم الإيداع :. ٢٠٠٨/٥٨٦٦

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-17-5535-8

توزيع منشأة المعارف ش سعد زغلول بالأسكندرية



قداسة البابا أثناء خلوة فى صحراء برية شيهيت



قداسة البابا يجلس على باب المغارة التى توحد فيها



قداسة البابا يجلس على الارض أثناء صلاة القداس بالدير



قداسة البابا فى طقس سيامة رهبان جدد وهم يرقدون ويتم تغطيتهم أثنا صلاة الموت



الباحثة مع قداسة البابا امام مقره بالدير فى بداية الدراسة



أ.د اليس عند نوالها بركة قداسة البابا بالموافقة على طبع البحث فى صورة هذا الكتاب.



الباحثة بجوار نيافة الانبا ثاوفيلس

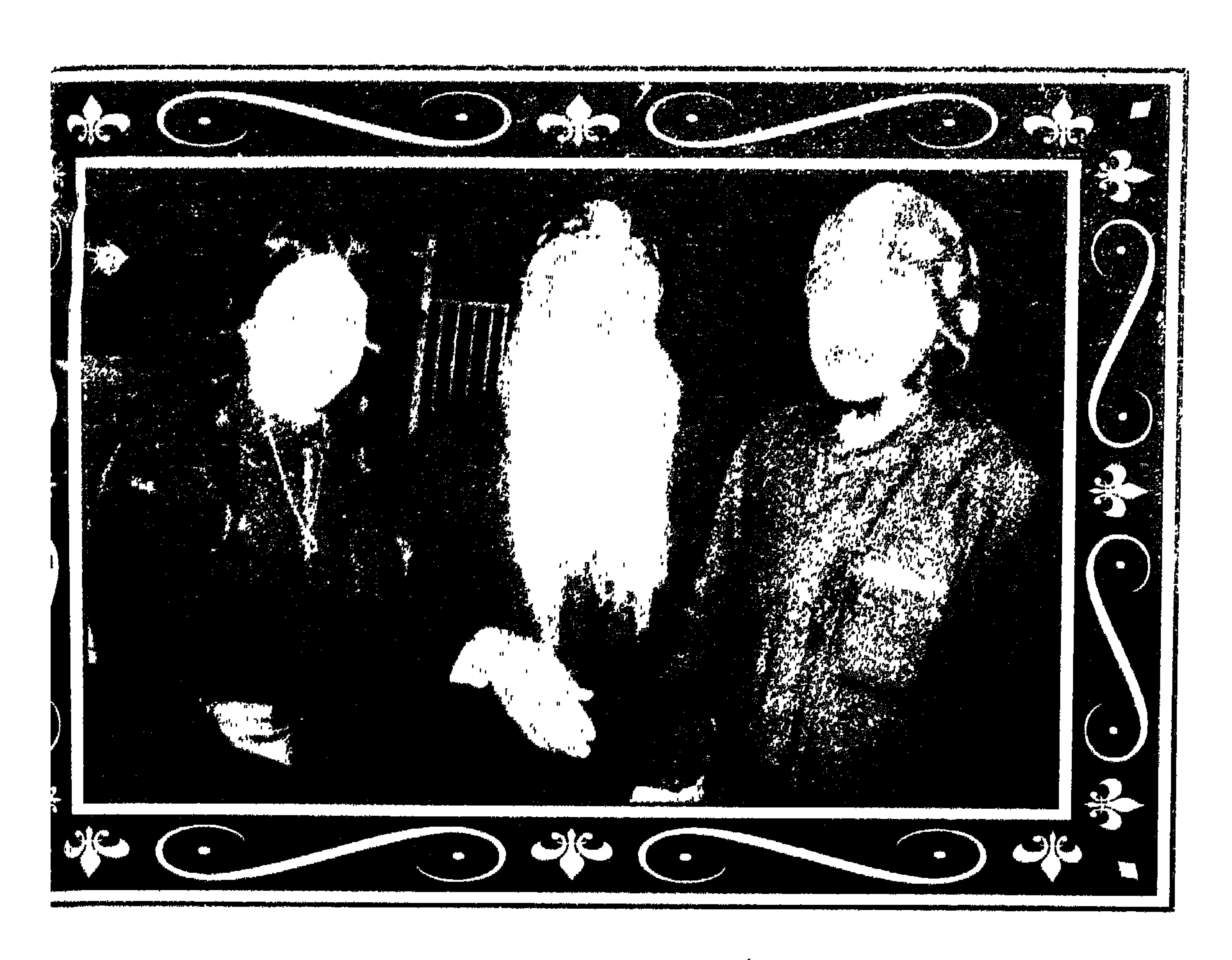
رئيس دير السريان المتنيح ومعهما نيافة الانبا رويس [illegible]



أ . د اليس بجوار نيافة الانبا [illegible] الانبا بيشوى

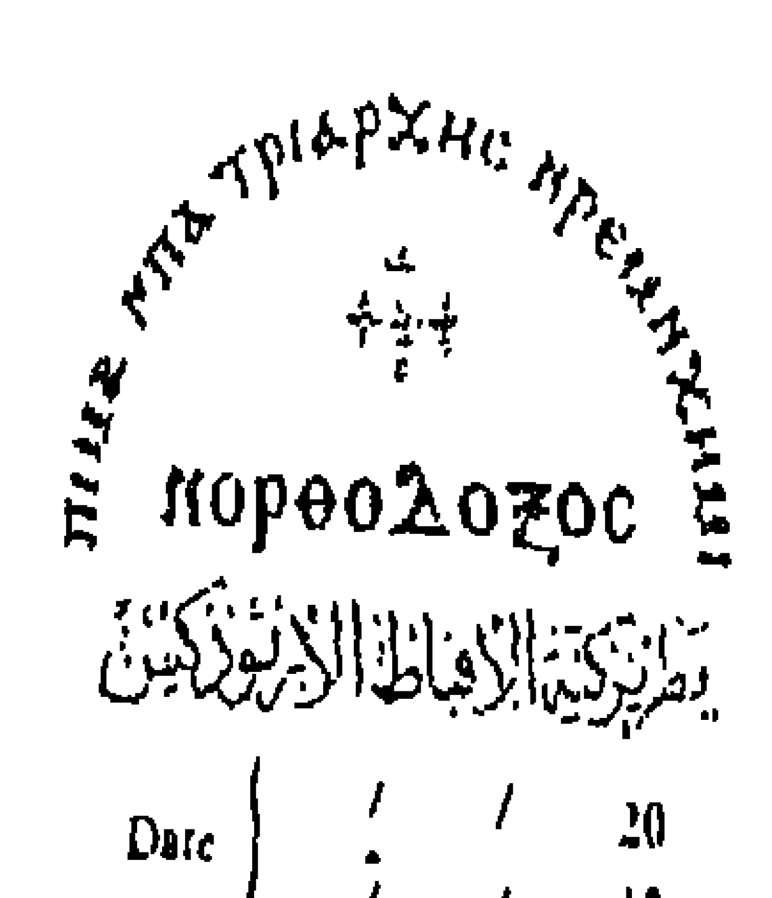
الراهب اغابيوس عند نوالة الرتبة الكهنوتيه

الراهب تادرس امين المكتبة ومعه بعض الرهبان يستعيرون الكتب



الأنبا كاراس المتنيح وبجوارة الراهب يعقوب والباحثه

Coptic Orthodox Patriarchate
FROM H.H. POPE SHENOUDA III
Deir Anba Rueis - Ramses Avenue, ABBASSIYA,
CAIRO 11381, EGYPT
CABLE: EL ANBA RUEISS, CAIRO



Date / / 20
/ / 17

تقديم

الباحثة أ. اليس اسكندر بشاى [حالياً الدكتورة الاستاذ بقسم الاجتماع بكلية الآداب بالجامعة (تخصص اجتماع وانثروبولوجى) تقدمت ببحثها عن «البناء الاجتماعى للدير القبطى - دراسة انثروبولوجية فى أديرة وادى النطرون» الذى نالت عليه درجة الماجستير سنة ١٩٨٠م وهو أول دراسة انثروبولوجية عن الدير القبطى تقوم به الجامعة

وقد تقابلت مع أساتذتها: أ.د. محمد عبده محجوب المشرف على الرسالة والذى كان له الفضل فى اختيار «الدير القبطى» موضوعاً للدراسة. وكان برفقته أ.د. أحمد أبو زيد عميد كلية الآداب بالاسكندرية الذى أنشأ قسم الانثروبولوجى لأول مرة فى مصر وفى كل العالم العربى، وتم الاتفاق على موضوع البحث. وتقابلت أيضاً مع أ.د. على أحمد عيسى الذى أضيف فى الاشراف على الرسالة.

ولكى تقوم الباحثة بدراستها الانثروبولوجية، سمحنا لها بالاقامة فى الدير مع الاختلاط بالرهبان فى حياتهم الرهبانية وملاحظتها. وكان لها محل إقامة داخل أسوار الدير الكبير، على بعد حوالى ٨٠٠ متراً من الدير الأثرى حيث يقيم الرهبان

والباحثة تحدثت فى بحثها عن منطقة وادى النطرون وأديرتها وأهميتها التاريخية، ثم تناولت موضوع الرهبنة والنساك بصفة عامة فى كافة الديانات، وبعض النظم الرهبانية، وانتقال الرهبنة من مصر الى بلاد الشرق والغرب...

Coptic Orthodox Patriarchate

FROM H.H. POPE SHENOUDA III

Deir Anba Rueiss. Ramses Avenue, ABBASSIYA,

CAIRO 11381. EGYPT

CABLE : EL ANBA RUEISS. CAIRO.

ⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ

بطريركية الأقباط الأرثوذكس

Date / / 20

ثم تناولت الأنظمة الرهبانية من حيث حياة الوحدة وحياة الشركة، ونظام الرهبنة في الوقت الحالي. وعرفت كيف يمكن قبول الراهب في الدير، والاختبارات التي يتعرض لها وحياته اليومية، والعلاقة بين الصلاة والعمل، وكافة مستويات الرهبان، والعلاقات الاجتماعية للراهب، إن كانت له علاقات.

وطبعاً هذا لا يتعلق بالمتوحدين الذين يعيشون في عزلة كاملة.

وهذه الرسالة تتحدث عن الرهبنة من جهة الحياة الواقعية — وليس ما يُكتب عنها في كتب التاريخ. وهي صادقة تماماً في تعبيرها. وقد قضت الباحثة حوالي أربع سنوات لكي ترى وتبحث وتسأل وتحلل وتلاحظ على الطبيعة الممارسات اليومية التي يحتاج لها

أهنئ الباحثة على هذه الرسالة القيمة الفريدة في نوعها

شنوده ٣

٧/٨/٢٠٠٧

بابا الاسكندرية وبطريرك

الكرازة المرقسية



اسقفية الخدمات العامة والاجتماعية

مبنى الأنبا رويس بشارع رمسيس - العباسية. القاهرة ج.م.ع

تلغرافيا : انبارويس . القاهرة — ص.ب ٣٥ مدينة نصر - القاهرة — تليفون : ٨٢١٢٧٤

القاهرة فى ٢٦ نوفمبر ١٩٨٠

السيد الدكتور على عيسى

استاذ ورئيس قسم الانثربولوجيا

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

تحية طيبة مع صادق الدعاء

اشكر سيادتكم على خطابكم الرقيق المؤرخ ١٩/١١/٨٠ بخصوص الرسالة المقدمة من الآنسة اليس اسكندر بشاى المعيدة بجامعة طنطا ، الى آداب الاسكندرية عن " البناء الاجتماعى للدير القبطى ".

وارى ان هذه الرسالة صالحة للمناقشة ، لأنها بجانب وفرة ما بها من معلومات قيمة ومفيدة عن الرهبانية القبطية . الا انى ارى انها تقدم اضافة علمية جديدة واهامة اذ أن معظم ما كتب عن الرهبنة تناولها من زواياها التاريخية والنسكية والروحية وهذه الرسالة تتناولها من جوانبها الاجتماعية والانثربولوجية وهو عمق جديد يلقى ضوء على التأثير المتبادل بين الحياة الروحية والحياة الاجتماعية .

ويسرنى ان اشارك فى المناقشة وابداء اى خدمة تساهم فى نمو البحث والدراسة .
واذ أكرر شكرى ارجو لكم ولتلميذتكم الباحثة الناشئة كل توفيق ونجاح.

وتفضلوا بقبول جزيل الشكر والتقدير ،،،

صموئيل

الانبا صموئيل

اسقف الخدمات العامة والاجتماعية

مقدمــة

لعل الدراسة الأنثروبولوجية الحقلية التى تعرض معطياتهـا صـفحات الكتاب الذى بأيدينا هى من أوائل الدراسات فى مجال أنثروبولوجيا الـدين فـى المدرسة المصرية. وعلى الرغم من مرور ما يزيد على ربع قرن على اكتمـال هذه الدراسة بنيل الباحثة التى قامت بها درجة الماجستير فقد نـدرت البحـوث التى ركزت على أنساق العقائد والتدين، وربما يتحقق مع نشرها بمـا انطـوت عليه من جرأه وموضوعيه ما يغرى بالإقبـال علـى ذلـك لتعـاظم التحـديات المعاصرة فى العصر الجديد (العولمة وحـوار الثقافـات والتطـرف فـى كـلا الاتجاهين).

وكما أن الباحث يبدأ صياغة معطيات بحثه بالتعريف بأسـباب اختيـاره للموضوع ومجتمع البحث، فإن المشرف على البحث كاتب هذا التقديم يرى فـى التعريف بالظروف التى توفرت لنجاح الباحثة فى السعى قدماً لإنجاز هذا العمـل العلمى ما يفيد، فقد توفرت فى طالبة الماجستير أليس إسكندر بشـاى فرصـة اختبار قدرتها على القيام ببحوث حقليه فى مجتمـع "يُعـد مُغلقـا" مُحاطـاً بالقداسة، كما توفر التفهم للإضافة العلمية التى يمكن أن يقـدمها البحـث إلـى المكتبة العربية، وقد شجع هذا كله على الاطمئنان إلى قدرة الباحثة على إكمـال دراسة حقلية للبناء الاجتماعى للدير القبطى.

لقد اعتمدت هذه الدراسة الحقلية على عدد متكامل من طـرق البحـث الأنثروبولوجى فى جمع المادة العلمية، حيث جمعت بين الرجوع إلـى البحـوث والوثائق المنشورة وغير المنشورة التى أتيحت فرص للاطلاع عليها فى مجتمع البحث، وكان الاعتماد على الإخباريين الذين لم يبخلوا على البحـث بتجـربتهم الشخصية (نُساك الأديرة وزوارها)، كما كانت المقـابلات المفتوحـة والمقننـة فضلاً عن الملاحظة بالمشاركة حيث سمح للباحثة أن تعـيش الحيـاة الديريـة

وتكتب ما رأت ليأتى محققاً لما سمحت.

ومع المعرفة بما يحتاجه البحث الأنثروبولوجى الحقلى من خبرة وحرص على التزام المنهجية الصارمة فى تدوين أو تسجيل المادة الاثنوجرافيه فإن الملاحظة بالمشاركة عمل دونه الكثير من الصعوبات: منها تحقيق التوازن بين الانخراط أو الاندماج فى "المشاركة" وموضوعية الملاحظة، وبخاصة حين يكون الباحث عضواً فى مجتمع البحث، وقد أتيحت له فرصة يندر أن تتاح فقد أقامت الباحثة فترات ليست بالقصيرة فى الأديرة، وكان ذلك من أهم مقومات نجاحها فى مهمتها.

وبجانب هذا فقد اتسعت التيسيرات التى أتيحت لهذا البحث أن يبيت المشرف عليه ليال فى الدير يستمع ويحاور قداسة البابا شنودة الثالث، وكان فى هذا مراجعة للمادة العلمية وآفاق تحليلها. وقد أفادت الباحثة من هذا كله.

الدراسة الحقلية التى يضمها الكتاب الذى بين أيدينا دراسة أنثروبولوجية اجتماعية وثقافية، وهو ما تبين بوضوح فى عنوانها: "البناء الاجتماعى للدير القبطى"، وهى بهذا دراسة للأنساق والنظم والعلاقات والمراكز والأدوار فى البناء الاجتماعى الديرى، ولكن هذه الدراسة البنائية الوظيفية كان عليها أيضاً أن تعنى ببيان القيم والمعايير والجزاءات التى تنظم العلاقات الديرية، وكانت هذه القيم والمعايير والجزاءات بالطبع قيماً ومعاييراً وجزاءات "دينيه" رصدتها الباحثة دون التعمق الثيولوجى، وهو لم يكن مطلباً من المطالب المنهجية للبحث، وذلك على الرغم مما احتواه من مادة ثيولوجية بذلت الباحثة جهداً كبيراً فى اختصارها ليتحقق التخصص الأنثروبولوجى فى "الأطروحة".

لقد ركزت الباحثة فى الفصل الثانى على النسك فى الديانات المختلفة السماوية وغير السماوية.

وقد جاء الفصل الثالث معنياً بالتعريف بالرهبنة ومفهوم الراهب. والأسباب التى أدت إلى ظهور الرهبنة ومبادئها المصرية وعناصرها، وانتقال الرهبنة المصرية إلى الشرق والغرب، وأنماط الرهبنة وسوسيولوجيا النظم الرهبانية.

أما الفصل الرابع فقد حمل عنوان: الحياة الاجتماعية فى أديرة وادى النطرون، وقد تناول بالدرس إيكولوجيا المنطقة والتعريف بالأديرة الأربعة الواقعة فى الوادى، والتى قامت الباحثة بإجراء دراسات استطلاعية حقليه فيها لتقوم عليها بحوثها الحقلية المكثفة والمركزة فيما بعد وهى دير السريان، ودير البراموس، ودير الأنبا مقار، ودير الأنبا بيشوى.

وبجانب هذا جاء التسجيل الاثنوجرافى للانخراط فى الرهبنة وأنواعها ومراحلها وطقوس سيامة الراهب، وأسباب اختيار الدير واختبارات القبول والاختبارات اليومية التى يجتازها الراهب والحياة اليومية، والمراكز والأدوار فى مجتمع الدير، والصلاة والعمل، وعمل الرهبان داخل الدير وخارجه.

وقد جاء الفصل الخامس مركزاً على العلاقات الاجتماعية للراهب، وبخاصة ما يتعلق بعلاقة الراهب بأسرته الرهبانية والقيم التى تحكمها، وعلاقته بأسرته البيولوجية والعالم الخارجى، وعلاقته بالكنيسة والمجتمع الكنسى، ليخلص البحث إلى بيان الوظائف، الروحية والاجتماعية للرهبنة فى المجتمع القبطى.

وقد ركزت الباحثة فى الفصل السادس فى الكتاب على دراسة وظائف الدين باعتباره من المقومات الرئيسية للبناء الاجتماعى- كما عنيت بالتعريف بالاتجاهات النظرية فى أنثروبولوجيا الدين.

إنه كتاب خليق بالقراءة نأمل أن يُغرى الباحثين بالعكوف على دراسات حقلية فى أنثروبولوجيا الدين والبناء الاجتماعى للمؤسسات الدينية وتقصى الدور الذى تنهض به فى مجال الحفاظ على القيم.

تحريراً فى ١٨/٨/٢٠٠٧م

أ.د. محمد عبده محجوب

أستاذ الأنثروبولوجيا

وعميد كلية الآداب- جامعة الإسكندرية الأسبق

شكر وتقدير

لا يسعنى وقد أنجزت بحثى بعد جهد مُتصل دام عدة سنوات إلا أن أشكر الله القدوس الذى أمدنى بالقوة والعون لمواصلة هذا البحث.

وفى عنقى دين كبير للذين ساعدونى من آباء الكنيسة القبطية "الأكليروس" وعلى رأسهم أبى الحبيب قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية فى مصر وأفريقيا وسائر بلاد المهجر، ينبوع الحب الذى لا ينضب والذى يفيض حباً وعطاءً وسخاءً على كل من حوله، والذى احتضننى برعايته ولولا مساندته لى لما اكتملت هذه الدراسة وخرجت الى النور، فقد سمح لى بالاقامة فى رحاب الدير، كما تتطلب الدراسة الأنثروبولوجية، ولم يكتف بذلك بل قدم لى كل التسهيلات والإمكانيات، وأتاح لى الإطلاع على المخطوطات والكتب النادرة فى الأديرة، بتصريح من قداسته.، وليس ذلك فحسب، بل قام بجلب الكثير من المراجع العربية والأجنبية والأهم من كل ذلك أنه قدم لى خبرته الرهبانية التى تُعد وحدها ذخيرة ثمينة مليئة باللآلئ النفيسة من المعلومات القيمة والخبرة الميدانية لراهب ترهب وتوحد لمدة تربو على نصف قرن فى حياة الرهبنة المُعاشة وهى تفوق كل ما ورد فى الكتب والمراجع عن الرهبنة القبطية – سواء فى عصورها التاريخية أو فى عصرنا الحاضر، والتى صبغت دراستى بصبغة فريدة فى نوعها.

وأننى أفخر كل الفخر وأعتز كل الاعتزاز ليس بدراستى تلك ولكن بما هو أهم باحتوائه لى ليس كباحثة ولا كإحدى رعاياه، بل ابنة قريبة منه أنهل من علمه ومن روحياته، فضلاً عن أننى أهرع إليه فى كل صغيرة

وكبيرة وينصت لى ويوجهنى فهو الضوء الذى يضئ لى طريقى. والنور الذى يرشدنى فى كل مسارات حياتى. لا يمل ولا يكل وعلى الرغم من ضيق وقته. قبل كتابة التقديم الذى يُعد وثيقة تاريخية لها اهميتها القصوى وتعلو قيمتها أكثر من البحث ذاته.

وهذه كلها هبات منحنى الله إياها، لم أكن أحلم بالفتات منها. ولا أعتقد أن أحداً حظى بمثلها أو حتى بجزء منها، ومهما قدمت من شكر وفاءً وعرفاناً فلن يفى بمثقال ذرة من محبته ورعايته وأبوته الحانية.

وأقدم كل التقدير للتوجيه السديد الذى حظيت به من المشرف أستاذى الجليل الأستاذ الدكتور/ محمد عبده محجوب أستاذ الأنثروبولوجيا، الذى كان له الفضل فى اختيار "الدير القبطى" موضوعاً للدراسة، والذى زودنى بمعلوماته الأنثروبولوجية الغزيرة، والذى ساندنى ليس فى إنجاز هذا البحث فحسب، بل فى كل المراحل العلمية، فهو المرجع الأول والمرشد والموجه لى فى حياتى الأكاديمية حتى وصلت إلى درجة الأستاذية، ولم يكن لى الأستاذ فقط بل كان ومازال الأخ الأكبر.

ولا يفوتنى أن أتقدم بالشكر إلى زملائى بقسم الأنثروبولوجيا وأساتذتى الإجلاء الدكتور/ أحمد أبو زيد -عميد كلية الآداب فى ذلك الحين-، وأيضا الأستاذ الدكتور/ على أحمد عيسى الذى أضيف إلى الإشراف نظراً لإعارة أستاذى أ. د/ محمد عبده محجوب إلى السعودية والذى قام بتسليم البحث فى صورته النهائية بيده إلى أ. د/ على أحمد عيسى.

وأيضاً أتقدم بشكرى إلى السادة الأحبار أصحاب النيافة رؤساء الأديرة الأربعة الأنبا ثاؤفيلس والأنبا ميخائيل والأنبا صرابامون والأنبا أرسانيوس. وكذلك أمناء مكتبات الأديرة وأمناء الأديرة وجميع الرهبان.

كما أشكر لجنة المناقشة المكونة من السادة:

- نيافة الحبر الجليل الأنبا/ صموئيل "أسقف الخدمات العامة المتنيح"
- الأستاذ الدكتور/ على أحمد عيسى "رئيس قسم الأنثروبولوجيا الراحل".
- الأستاذ الدكتور/ محمد عاطف غيث "عميد كلية الأداب الراحل".

وأرجو أن يحظى هذا الكتاب بالقبول لدى القارئ.

أ. د/ أليس إسكندر بشاى

أستاذ الاجتماع والأنثروبولوجيا

بكليـــــة الآداب

الفصل الأول

وادى النطرون

الفصل الأول

وادى النطرون

اهتم ليفى ستروس فى نظريته البنائية بالمقومات الخفية للظواهر متأثراً بعلم طبقات الأرض والتحليل النفسى[1] وطبق هذه البنائية على الظواهر الاجتماعية باعتبار أن الحقيقة فى أدق صورها ليست دائماً الأكثر وضوحاً ومع تسليمنا بهذه النظرية إلا أننا لا ينبغى أن نغفل أن ريفرز سبق أن أشار فى كتابه الكلاسيكى Social Organization أن من واجب الباحث الأنثروبولوجى ألا يهمل ما قد يظنه غير المتخصصين من صغائر الأمور.[2] والباحثة متأثرة بهذه النظرية أخذت على عاتقها أن تتغلغل فى حياة الدير لتصل إلى الحقيقة.

يتناول هذا البحث دراسة البناء الاجتماعى للمجتمع الديرى القبطى. والاهتمام بظاهرة الرهبنة من شكلها الواضح إلى باطنها العميق، نظراً لأهميتها وتأثيرها على الفكر المسيحى عامة، وعلى مسيحية الغرب بنوع أخص فقد امتد أثرها فى مناطق كثيرة من العالم من عدة نواحى. بدأت الرهبنة كحياة وحدة، ثم تحولت إلى الديرية فتكونت الأديرة. وصارت مجتمعات لها طابع خاص، ولم تقتصر حياة الرهبان والذين يعيشون فى وحدة على ذاتهم، ولكن كثر الذين يزورونهم ويلتمسون منهم الإرشاد فى حياتهم وسلوكهم. ومن هنا كان للرهبنة تأثير اجتماعى خارج حدود الوحدة والأديرة. بل تولى بعض هؤلاء الرهبان قيادة تلك المجتمعات إذ أصبحوا كهنة لكنائسهم فى المدن. فلو عرفنا أن الكاهن المسيحى يستمع إلى اعترافات الناس فى كل تفاصيل حياتهم، ثم يرشد المعترف بما ينبغى أن يفعله لأدركنا تأثير هؤلاء الرهبان فى المجتمعات التى عاشوا

---

1 - Leach Edmund; Levi – Strauss; Seghers, Paris, 1970.
Traduction Francaise Par Denis Verguin, P.p. I4-I'.

2 - Quoted by Aly A. Issa, Social Anthropology, P. 105

فيها.

ولم يقتصر الأمر على هذا، وإنما بدأت الكنائس تختار رؤسائها من بين الرهبان وتطور الأمر حتى أصبحت رئاسات كل الكنائس قاصرة علــى الرهبــان وحدهم. واستقر هذا الأمر منذ القرن الخــامس المــيلادى. فأصــبح البطاركــة والمطارنة والأساقفة من الرهبان وحدهم، بما لهؤلاء من تأثير فى المجتمعــات التى يعيشون فيها. وهذا التأثير يرجع إلى شخصياتهم وإلى المعتقــدات الدينيــة فى احترام رجال الدين وطاعتهم.

ولما كانت انكنيسة القبطية والدير القبطى، تمثل جانباً من جوانب البناء الاجتماعى للمجتمع المصرى باعتبارها مصدر للمــؤثرات والمبــادئ الفكرية والدينية والأفكار القيمية، ونظراً لأن البناء الاجتماعى يقوم على أبنية داخلية لا يمكن التوصل إليها بالدراسة، وفى العادة يجهلها الباحثون حتى أتبــاع الديانــة أنفسهم. فإن موضوع الدير القبطى يعتبر جديراً بالدراسة. وخاصة أن الرهبنــة القبطية منبع الرهبنة فى العالم المسيحى كله، فقد نشأت فى مصر أولاً ومنهــا انتقلت إلى بلاد العالم. وتتلمذ قادة الرهبنة فــى العــالم علــى آبــاء الرهبنــة المصريين. لذا نقلوا تعاليمهم ونشروها، وحاولوا أن يقتدوا بها.

وبانتشار الرهبنة فى مصر تكونت مدارس رهبانية، وتعددت وتنوعــت النظم الرهبانية فوجدت رهبنة قاصرة على الوحدة - يسمونها طبقة الســواح- عاش فيها الرهبان عشرات السنوات لا يرون وجه إنسان، كما وجد أيضاً الذين عاشوا فى مغارات تسمح لهم وحدتهم أحياناً أن يقابلوا بعض الزوار، كما فــى النظام الأنطونى، أيضاً وجدت جماعات رهبانية يحكمها نظام دقيق حازم تعــيش تحت إمرة رئيس للدير، يدير وينظم كل شئ كما فى النظام الباخومى، ووجــدت جماعات رهبانية طابعها العام الوحدة، ولكنها تلتقى معاً مرة واحدة كل أسبوع، وفى المناسبات كالأعياد كما فى النظام المقارى.

ولكن كانت أشهر الجماعات الرهبانية هى تلك التى سكنت منطقة وادى النطرون، وهذه المنطقة هى موضوع دراستنا.

١ - مجال البحث:

وقع الاختيار على منطقة وادى النطرون بأديرتها الأربعة وهـى ديـر البراموس، دير الأنبا مقار، دير الأنبا بيشوى، دير السريان.

٢ - سبب اختيار منطقة وادى النطرون:

لمعرفة سبب اختيار المنطقة لا بد من إلقاء نظرة عامة علـى الـوادى لأننا سنركز على دراسة الرهبنة بهذا الـوادى والمقصـود بالرهبنـة طريقـة المعيشة المنعزلة عن الناس فى خلوة فردية تامة بقصد العبادة، وإن كانت كلمة (رهبنة) تستعمل الآن للتـدليل علـى الحيـاة الديريـة القائمـة علـى أسـس اجتماعية[١].

وتشمل النظرة العامة عدة نقاط هامة وهى:

٣ - أهمية وادى النطرون:

كان لهذا الوادى الذى تقع به الأديرة موضوع الدراسة أهمية كبرى فى الزمن القديم سواء من الناحية الإنتاجية أو من الناحية الروحية. فقد كان يوجد به منبعان يستخرج منهما مقادير كبيرة من ملح البـارود (النطـرون)، وكـان المصريون القدماء يستخدمون هذا النطرون فى تحنيط أجساد موتـاهم لتبقـى سليمة، فتتعرف عليها الــ (كا) أو القرين، وهذا تشبثاً بإيمان القيامة والخلود.

ثم استخدم هذا الوادى الآباء الرهبان بهدف روحى، لكبح جماح الجسم بالصوم والعبادة والتقشف، لتبقى الروح سليمة وتتصل بعد أيـام غربتهـا إلـى خالقها، وهى بصورة نقية طاهرة، يساعدها فى ذلك موقع الدير الذى يقع فـى

---

1 - د. حكيم أمين: دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية. القاهرة، ١٩٦٣. صـــ١.

الصحراء بعيداً عن مناطق العمران.

وهى المنطقة التى قدمت أهم مشاهير الرهبان فى مصر، لأن رهبنة الوحدة لم تقدم أمثلة من مجتمعات رهبانية لهـا بنـاء اجتمـاعى نسـتطيع أن ندرسه، أيضاً الأديرة الباخومية فى حزم رؤسائها انقرضـت تقريبـاً، إذ كانـت تتوقف على الشخصية المتميزة لرئيس الدير، ولا تتوفر تلـك الشخصـية فـى جميع الأوقات.

وبقيت منطقة وادى النطرون التى تضم أكبر مجموعة مـن الأديـرة العامرة حالياً، وعدد رهبانها أضعاف عدد الرهبان فى باقى الأديرة، ومن هـذه الأديرة تخرج أكبر عدد من البطاركة والأساقفة فى الكنيسة، وهى حاليـاً أكثـر الأديرة مساهمة فى أعمال التعمير من جهة الزراعة والبناء.

ووادى النطرون إن لم يكن مكان أول جماعة نسكية -لأن أول جماعـة نسكية رهبانية كانت فى الصحراء الشرقية- إلا أنه أكبـر الأمـاكن النسـكية وأكثرها ازدهارا وله أهمية تاريخية، إذ أنه من أهم المنـاطق التـى زارهـا السواح الأجانب فى القرن الرابع، وكتبوا عن رهبانه كما فى كتـب بلاديـوس ويوحنا كاسيان وغيرهم، وله تأثير مباشر فى تطور الرهبنة، وقد عـرف منـذ القديم بأنه مصدر للنطرون والملح.

٤- موقع وادى النطرون:

هو منخفض بقرب الدلتا فى الصحراء الغربية، يقع فى منتصف الطريق الصحراوى بين القاهرة والإسكندرية (خلف الرست هـاوس) ويبعـد ٤٠ ميـل جنوب شرق الإسكندرية.

وهو عبارة عن مساحات مسطحة كبيرة مغطاة بالرمل، وفيه منحدرات كثيرة، والمنطقة الشمالية منه بها عدد من البحيرات المالحة، وفى أجزاء كثيرة منه مياه عذبة.

أطلق على هذا الوادى عدة أسماء منها:

أ- سخت همام (Seket Hemmam) فى عهد البطالمة ومعناها (حقل الملح).

ب- وادى النطرون وهى ترجمة للكلمة القبطية (بى هيلوس) ⲠⲒⲎⲈⲖⲞⲤ. وتعنى مستنقعات النطرون كما دون ذلك إسترابون بعد أن زار مصر فى القرن الأول الميلادى، وكما جاء فى كتاب وادى النطرون ورهبانه "العمر طوسون".

ج- وادى الأسقيط (ⲀⲤⲔ̄ⲦⲈⲤ) ومعناها النساك -ونسبوه إلى مقاريوس ولذا يقال أسقيط مقاريوس لأنه عاش مع كثير من رهبانه فى هذا الوادى.

د- أطلق على الجزء الذى تقع فيه البحيرات نيتريا (Nitrie) وقيل أنه كانت توجد مدينة تسمى نيتريا، يطبق عليها بلغة المصريين فوبيوهسيم Phopiohcem أى مدينة النطرون.

ه- سمى الجزء الشمالى من جبال نيتريا بجهة (القلالة أو القلالى) Callie ويقال أن الأفرنج بناء على ما ورد فى كتب رحالاتهم - قالوا أن القلالى تقع إلى شمال جبال نيتريا،أما أسقيط فيقع فى منتصف وادى النطرون.

و- سمى برية شيهيت: ϬⲒⲎⲦ ومعناها ميزان القلوب وكانت هذه التسمية قديمة لاشتهار هذه البقعة قديماً بعبادة (Sarapis) سيرابيس (أوزوريس- أبيس) الذى كان معروفاً أنه قاضى الآخرة. وأنه سيزن قلب كل بشرى فتظهر أعماله، وهى تصف ما يمارس فيه الرهبان من

تدقيق فى حياتهم، وتأمل فى أفكارهم وقلوبهم.

ز- سمى أيضاً بوادى (هبيب) وذكر هذه التسمية المقريزى فى خططه بقوله أنه عرف بهبيب بن محمد بن معقل أحد أصحاب رسول الله، شهد فتح مكة وكان قد اعتزل عند فتنة عثمان بهذا الوادى، فعرف به وكذلك ذكرها الأنبا إيسيذوروس بمعنى "زنابق".[١]

٥ - التساؤلات:

حاولت الدراسة الإجابة على عدد من التساؤلات والاستفسارات عن الحياة الاجتماعية الديرية والبناء الاجتماعى للمجتمع الديرى. ولذا كان لا بد من الإشارة إلى الرهبنة باعتبارها ظاهرة نسكية، وتوضيح كيف نشأت، الأسباب التى أدت إلى ظهورها، المبادئ التى قامت عليها، أيضاً النظم التى انتظمت فيها.

بالإضافة إلى أن هناك بعض التساؤلات التى طرحت، وحاولت الدراسة الحقلية الكشف عنها وهى: كيف يصير الشخص راهباً، أى كيف تتم رهبنته؟ هل هناك شروط يتطلبها الدير لقبوله؟ وما هى؟ كيف يتم التأكد من صلاحية طالب الرهبنة للحياة الرهبانية؟ ولماذا يختار ديراً معيناً دون غيره؟ هل هناك شعائر دينية تقام لذلك، هل هناك تدرج فى الرهبنة؟ ما أساسه؟ كيف يصل إلى حياة الوحدة؟ وهل كل راهب يعيش فى وحدة؟ هل يعتبر الدير مجتمعاً متكاملاً من حيث أنه مجموعة من الناس يعيشون فى بقعة ما يشغلون مراكز ويقومون بأدوار؟ ومن حيث توافر الصلاة والعبادة وتقسيم العمل، ومن حيث وجود علاقات اجتماعية بين الرهبان بعضهم ببعض.

---

1 - القمص أنطونيوس الدويرى البراموسى: تاريخ السيدة العذراء (براموس)، شبرا، مصر، ١٩٦٠، صـ ١٨.

هل هناك رئاسات فى الدير، هل يوجد قوانين وقيم تحكم الحياة الرهبانية، هل للراهب دور فى المجتمع الذى يعيش فيه أم أنه منعزل ومنقطع عن العالم الخارجى؟ أى هل له علاقات بالعالم الخارجى؟ هل يحتاج إلى الاستعانة بهذا العالم الخارجى؟ أم يقدم له خدمات؟ وما هى هذه الخدمات التى يمكن أن يؤديها؟ بمعنى آخر هل الدير منفصل عن العالم تماماً؟ أم هناك علاقات بينهما؟ وإذا كانت هناك علاقات فما هى؟ هل الرهبنة حياة وحدة فقط، وإذا كانت كذلك إذن لماذا نجد رهباناً يعملون فى المدن والقرى؟

٦ – <u>منهج الدراسة</u>:

أنظر المنهج فى نهاية الكتاب.

٧ – <u>طرق البحث ووسائله</u>:

- الطريقة الأنثروبولوجية لدراسة المجتمع، والتى تشتمل بوجه خاص على:
  - الإقامة فى مجتمع البحث.
  - الملاحظة بالمشاركة.
  - مقابلة الإخباريين.
- الاعتماد على الوثائق والمستندات والمخطوطات القديمة بالأديرة، وفى المكتبات العامة.
- الوصف الاثنوجرافى عند دراسة بعض الشعائر والممارسات، أو وصف الاحتفالات والحياة اليومية، أى التسجيل للأحداث والمناقشات ومظاهر التفاعل، وبالتالى تجاوز الصورة والبناء إلى الحياة الواقعية.

وقد أخذنا فى الاعتبار وجهة نظر أعضاء الدير أنفسهم عن الشعائر والممارسات والطقوس التى يمارسونها، ومعناها الاجتماعى بالنسبة لهم، والتفسيرات والتعليلات التى قدموها لسلوكهم الشعائرى. وبالتالى أمكننا التعرف على الأسس التى تقوم عليها النظم والعلاقات والأدوار داخل المجتمع، ونظرتهم

إلى الأفراد الذين يقومون بها والدور الذى يؤدونه فى الحياة الاجتماعية.

حاولنا أن نتجنب تكدس التفاصيل المتشابهة التى تؤخذ عن الأديرة، وتحدثنا عنها كظواهر عامة فى الأديرة الأربعة. ولكن أوضحنا أوجه الخلاف التى تتميز بها هذه الأديرة فى الوقت الحالى وخاصة فيما يتعلق بالأب الروحى، أو مجمع الرهبان سواء فى الطعام أو الصلاة.

كنت أتردد على الأديرة فى فترات متفاوتة مرتين أو ثلاث أسبوعياً منذ اختيار الموضوع وحتى تاريخ التسجيل للتأكد من إمكان إجراء الدراسة الحقلية التى تتطلب معايشة مجتمع البحث، ولكن الإقامة بدأت بصفة مركزة فى دير الأنبا بيشوى لمدة أربع سنوات حتى مناقشة الرسالة عام ١٩٨٠، بالإضافة إلى فترات أخرى فى السنة السابقة على التسجيل قضيتها فى دير الأنبا مقار، وزيارة الأديرة الأخرى.

اعتمدت الدراسة على الطريقة الأنثروبولوجية لدراسة المجتمع والتى تتطلب النظرة الكلية الشاملة، أو المنهج التكاملى لكل جوانب الحياة التى تشمل العناصر المادية والاجتماعية والفكرية فى حياة المجتمع، بحيث نصل فى النهاية إلى طريقة الحياة التى يعيشها أفراد المجتمع.[1] وكانت الدراسة عن الأديرة الأربعة، بوادى النطرون وهى السيدة العذراء براموس ودير السريان ودير الأنبا مقار ودير الأنبا بيشوى وتم التركيز على دير الأنبا بيشوى بالذات.

أما الملاحظة بالمشاركة فهى كانت أصلح وسيلة لفهم الشعائر والطقوس فى مجتمع البحث، والمشاركة الفعلية لهم، فالباحث لا يكون بمعزل عن المجتمع إنما يشارك فى جميع أنشطته ويمارس طقوسهم واحتفالاتهم، بالقدر الذى تسمح به تقاليدهم.

---

1 - أحمد أبو زيد: الطريقة الأنثروبولوجية لدراسة المجتمع، مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية.

وقد أوضح Angrosing, M. V. & Grane, G. شروط الملاحظة بالمشاركة وهى:

- الإقامة المتصلة الدائمة فى مجتمع الدراسة، أى معايشة مجتمع البحث.
- تتطلب الملاحظة جهداً كبيراً للتقرب من أهالى المجتمعات، وهذا يستغرق بعض الوقت والصبر، حتى يصبح الباحث مألوفاً لديهم، وحتى يعتاد الباحث على طباعهم وطرق معيشتهم.
- لا تتطلب فقط الملاحظة وتسجيل النشاطات اليومية، بل على الباحث أن يشترك فى هذه النشاطات. وهذا لا يحدث من زيارة واحدة، ولكن يتطلب العديد من الزيارات المتكررة فى أوقات مختلفة حتى يتعود الباحث على الطقوس والمراسم التى تحدث أمامه.
- يراعى أن لا يتقزز الباحث من تصرفات البعض عند ممارسة طقوسهم، بل يمارسها معهم عن طيب خاطر، حتى ولو لم يعتنق دينهم. عليه أن يتعاطف معهم ولا يسخر من ممارساتهم لطقوسهم.
- ليس مطلوباً منه أن ينغمس انغماساً عميقاً فى طقوس وعادات الأهالى بدرجة تفقده موضوعيته.
- أن يكون سلوكه بينهم قويماً لا يثير ثائرتهم أو يسبب قلقاً لهم من جهة الباحث.[١]

وقد راعينا تعلم لغة المجتمع الرهبانى، مما يساعد على استنتاج وفهم بعض الأمور عند الملاحظة وتكرارها.

ولما كانت الملاحظة بالمشاركة تتلخص فى اشتراك الباحث فى الأنشطة الاجتماعية المتنوعة كملاحظة المساكن والملابس والأدوات والطقوس الدينية

---

1 - Angrosing, M. V. & Grane, j. G. Field Projects Anthropology General Learning Press, New Jersey. 1974. P.p 14-26.

والممارسات والشعائر والسلوك. إلا أنها غير كافية فى بعض الحالات للوصول إلى المعلومات الدقيقة، والتى قد يكون لها أصل تاريخى لا تستطيع الملاحظة الكشف عنه.

لذا كنا نلجأ إلى الإخباريين من الرهبان الذين تناط بهم المسئوليات في الدير، وتسمح لهم مسئولياتهم بالحديث والاختلاط بالغير، كهؤلاء الذين يتصلون بالعمال والمزارعين أو الذين يقومون بخدمات الدير. والذين يتصلون بالزوار. أيضاً الاستعانة برئيس الدير وأمين الدير. إذ أنه من الصعب مقابلة كل أعضاء المجتمع والتحدث إليهم. لذا كان يجب أن أختار البعض ممن لهم دراية كافية بسبل معيشة وتفكير أعضاء الجماعة، والذين لديهم خبرة عميقة بالحياة الديرية الرهبانية.

ومن ملاحظاتى للحياة الواقعية، في دخولى للكنيسة، ومشاهداتى لصلوات الرهبان وعملهم، ومعايشتى فى الحدود التى سمحت بها تقاليد الدير وبالتصريحات الاستثنائية التى أتاحت لى فرصة التجول بحرية، وإن كانت محدودة فى بعض الحالات القليلة، إلا أنها مكنتنى من القيام بالدراسة.

٨ – <u>الصعوبات والتسهيلات:</u>

الصعوبات الأساسية التى واجهتها فى الدراسة القيام بدراسة حقلية فى دير خاص بالرهبان، إذ أن تقاليد الدير لا تسمح لأية فتاة بهذا التواجد. وعلى الرغم من أن دير الأنبا مقار قدم لى الشئ الكثير من التسهيلات، إلا أنه رفض السماح بالإقامة والمعايشة لمجتمع البحث حتى لمدة ستة شهور وهى الحد الأدنى الذى تتطلبه الدراسة الأنثروبولوجية، لذا اضطررت إلى عرض الموضوع على رئيس الكنيسة وهو قداسة البابا شنودة الثالث والذى سمح بتصريح خاص بالإقامة فى دير الأنبا بيشوى، وبالتالى اضطررت إلى تغيير مجال البحث، فأصبح أديرة وادى النطرون، بعد أن كان قاصراً على دير أنبا مقار فقط. ولذا

أتقدم بالشكر لأساتذتى وإدارة الكلية والجامعة على الموافقة على هذا التعـديل. وكان مجرد الإقامة بضعة أيام كل أسبوع يحتاج إلى تصريح من رئيس الكنيسة، ولولا أن دير الأنبا بيشوى توجد به مساحة ٥٥ فداناً ملحقة بالدير بسور كبيـر ويوجد بها مبنى حديث أقمت به، يقع على بعد ثمانمائة متر تقريباً مـن قلالـى الرهبان، ومُنفصل تماماً، ما كان ممكناً لى أن أقيم فى رحـاب الـدير. وبهـذا الوضع وبالتصريح الذى لم يسمح به من قبل، أمكننى أن أجمع بـين المعايشـة لمجتمع البحث داخل الدير، وبين البُعد المكانى عن قلالى الرهبان حفظاً لتقاليـد الدير. كما ساعد ذلك على التردد على بقية الأديرة الأخرى فـى المنطقـة عـن طريق التنقل منه بسهولة.

أيضاً يهمنى أن أشير أنه على الرغم من هذه الإقامة، فإننى لم أسـتطع التحدث إلى جميع الرهبان. إذ كان هناك رهبان لهم أسـلوبهم الرهبـانى الـذى انتهجوه لأنفسهم لا يسمح لهم بمقابلتى ولا بالتحدث معى. والأنثروبولـوجى لا يجبر أحد على قول ما لا يريد إلا بموافقته والسماح منه. ولذا كنت ألجـأ إلـى وسائل أخرى كما ذكرت مثل الملاحظة بالمشاركة أو الاستعانة بالإخبـاريين أو الآباء الروحيين لما يتمتعون به من خبرة كبيرة ودراية لأنهم على قدر كبير من الإلمام بالحياة الرهبانية وبأحوال كثير من الرهبان وكـذلك الاسـتعانة بأمنـاء الأديرة.

ودراسة البناء الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية بين أناس عاديين أمـر ممكن، ولكن ليس من السهل القيام بهذا البحث فى الدير لعـدة أسـباب، أنهـم يعتبرون حياتهم سراً بينهم وبين الله لا يجوز الكشف عنه أمام الآخرين (يقصـد بالآخرين ليس الأشخاص الذين خارج مجتمع الدير، بـل ينطبـق أيضـاً علـى أخوتهم داخل الدير) – إذ أن التحدث عن حياتهم من الأمور التـى تقلـل مـن روحياتهم. لذا لا يعرف أحدهم عن الآخر شيئاً فى كثير من نواحى الحياة.

كما أن غالبيتهم لا يميل إلى التحدث عن ماضيه، على اعتبار أن حياتهم الأولى قد ماتت وانتهت منذ رسامتهم رهباناً بإقامة شعائر الموتى عليهم في الدير. وبالتالى عند سؤال أحدهم عن موطنه يجيب أنه من وادى النطرون، أو من دير السريان، أو من دير أنبا مقار، أو من أنبا بيشوى هذا إن أجاب. وإذا كان السؤال عن عمره فلا يذكر حتى عمره الرهبانى، وأحياناً يكون له عدة سنوات فى الرهبنة ولكنه يقول عن نفسه أنه مبتدئ وحديث فى الرهبنة. أيضاً يرون أن الصمت وقلة الحديث فضيلة.

ومن الصعب أن ندرك تفاصيل حياة الشخص ودوافع رهبنته، وحياته العائلية قبل الرهبنة بالنسبة إلى شخص يعتبر ذاته لا شئ، ولا يفضل الحديث فى تلك الموضوعات، إنما يفضل الحديث عن الأمور الروحية وعن الله، بل أنه يعتبر الحديث عن الأمور الشخصية أسلوباً غير رهبانياً. فحياته سراً بينه وبين الله وبين أب اعترافه كما ذكرنا، وإن كانت المسيحية تقول عن العبادة "وأما أنت فمتى صليت، فأدخل إلى مخدعك وأغلق بابك، وصل لله فى الخفاء، وأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية"[1]، فإن كان هذا بالنسبة للمسيحى العادى، فكم بالأولى الرهبان، أيضاً لم أتمكن من دخول قلاية الراهب لأن تقاليد الدير لا تسمح بذلك.

هناك صعوبة أخرى تقابل كل باحث، وهى كثرة المعلومات التى جمعها سواء من الدراسة النظرية أو الدراسة الحقلية، وكيفية انتقاء الصالح منها فقط للدراسة.

هذه هى الصعوبات الأساسية، وإن كانت هناك صعوبات من نوع آخر منها:

- صعوبة الإقامة كفتاة منفردة، فى منزل منفرد فى الصحراء، على بعد

---

1 - إنجيل متى إصحاح ٥.

٨٠٠ متراً من قلالى الرهبان. لا تتوافر فيه الكهرباء طوال الوقت. إذ أنها تنقطع فى ساعة محددة من بداية الليل، يبقى المنزل بعدها فى ظلام إلا من شمعة صغيرة أو بطارية.

- أيضاً البحث عن وسيلة مواصلات للدير، كان يمثل صعوبة كبيرة بالنسبة لى، إذ أن هناك حوالى ١٥ كيلو متر من الرست هاوس إلى الدير، ليست له وسائل ثابتة للمواصلات، وكان العثور على عربة يستغرق وقتاً طويلاً يصل لمنتصف اليوم، مما يؤدى إلى ضياع الوقت والإجهاد الشديد عند الوصول.

وقد قدم لى الدير فى كثير من الأيام تسهيلات بهذا الشأن، إذ أنه كان يرسل عربته إلى الرست، إن كان هناك اتفاق مسبق على يوم الذهاب والوصول، ولكن مواعيد وصولى كانت تتحكم فيها ظروف أخرى.

- انتشار دبيب الصحراء، فهى ممتلئة بالجرذان والثعابين والحيات والعقارب، وأنواع أخرى شديدة الخطورة، شاهدت منها الورنة الشبيهة بالتمساح، كانت تسبب لى الرعب والخوف فى بداية الدراسة ولكننى تعودت على المكان بمرور الوقت.

- ومن التسهيلات التى حصلت عليها الإطلاع على مكتبات الأديرة وخاصة مكتبتى دير الأنبا بيشوى ودير السريان، وعلى الرغم من أنه كانت هناك ساعات محددة للقراءة بهما، أما بالنسبة لى فقد سمح بالتردد عليها بدون شرط هذا التحديد، ولذا أتقدم بالشكر لرئيسى دير الأنبا بيشوى ودير السريان وأمناء المكتبة بهما.

الفصل الثانى

النُسك فى الديانات المختلفة

الفصل الثانى

النسك فى الديانات المختلفة

النسك ظاهرة دينية واجتماعية:

ونعرض فيما يلى ظاهرة النسك فى الديانات المختلفة، قبل أن ندخل لموضوعنا الأساسى وهو النسك فى الديانة المسيحية، الذى يتمثل فى الرهبنة.

يرى دوركايم أن العاطفة الدينية هى عاطفة اجتماعية، ولكن روجيه باستيد يقول "أن الدين ليس ظاهرة اجتماعية فى جوهره" وإنما هو عاطفة فطرية فى كل إنسان، وهو عاطفة فرديه أولاً، ثم دخلت عليها عوامل اجتماعية فجعلتها ظاهرة اجتماعية. وهى تفقد كثيراً مما يلحقها من تشويه اجتماعى. فالدين عاطفة إنسانية قبل أن يصير عاطفة اجتماعية. ولذا يرى أن التوحيد هو دين الفطرة، وأن فكرة الإنسان عن الله كانت خالصة من الشوائب، ثم تطرقت إليها الأوهام والخرافات الاجتماعية التى نجمت عن الانفعالات الجامحة التى تحدث عنها دوركايم.[1]

والبعض يرى أن الدين فطرى ويمتزج بعناصر اجتماعية، والبعض الآخر يرى أن الدين وليد المجتمع فدوركايم يرى أن كل ظاهرة اجتماعية هى ظاهرة دينية، ثم انفصلت الوظائف الاقتصادية والسياسية والعلمية من الوظيفة الدينية.

- أسباب جعل الدين ظاهرة اجتماعية عند دوركايم:

١- بسبب وجوده على نمط واحد لدى جميع أفراد المجتمع.

---

1 - روجيه باستيد: مبادئ علم الاجتماع الدينى، ترجمة محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥١، صـ١٤.

٢- أنه ظاهرة اجتماعية لأن الظواهر الدينية سواء كانت أساطير أم طقوس تقوم بذاتها، بصرف النظر عن الأفراد الذين يعتنقونها مثال ظاهرة القربان فالخطوط الرئيسية لهذا الطقس الدينى ثابتة فى جميع الأجيال يتتابع القيام بها، على الرغم من أن أسباب تبريرها تختلف باختلاف العصور.

٣- هو ظاهرة اجتماعية لما يتصف به من قوة القهر، فالمعتقدات الدينية تفرض نفسها على المؤمن الذى يخضع لها ويطيعها وهناك عقوبات مقررة لمن يتمرد عليها، وفى الغالب هى عقوبات خلقيه دائماً.

هذا من وجهة نظر دوركايم، أما روجيه باستيد اعترض لأنه يجب الاهتمام بالعوامل الفردية.

ويتفق معه جينبير فى أن الدين ظاهرة اجتماعية لأنه تعبير عن الإيمان فى بيئة معينة وأنه ينشأ بسبب مساهمة مجهولة فهو:

<u>أولاً</u>: ظاهرة اجتماعية يحسب تعريفه باعتباره أحد قواعد الإيمان، ولأنه يتطلب من المؤمن الخضوع والبقاء على العهد. وبالتالى يتم الوفاق بين المجتمع والدين بالقدر الذى يتميز فيه المجتمع بالقهر.

<u>ثانياً</u>: الدين ظاهرة اجتماعية أيضاً لأنه يقرر اشتراكاً بين معتنقيه فالدين رابطة ومحور للائتلاف وهو يهدف إلى توحيد إيمان جميع أتباعه.

<u>ثالثاً</u>: الدين ظاهرة اجتماعية بمعنى أنه يتحقق داخل جماعة ما، أو ثقافة ما، وأنه يُعد جواباً عن مشاكل تعترض تلك الجماعة بسبب هذه الثقافة.

<u>رابعاً</u>: ظاهرة اجتماعية بالنظر إلى أصوله. ويجب أن نفرق بين الصورة والمادة. فالصورة من اختراع رجل الدين المكلف بالتعبير عن عواطف الجمهور. وهذا يوضح كيف استطاعت أن تفرض نفسها بهذه السهولة

فهى تعبر عن آمال جماعة من المؤمنين بها.[1]

ولكنه يعود فيقول أن الإيمان مهما كان مشتركاً بين أعضاء الجماعة ليس مجرد ظاهرة اجتماعية، أو مجرد صدى لتركيب المدن، فللإيمان وجود خاص، وتطوره نتيجة للتعمق فى الحياة الروحية والتأمل الباطنى أى أنه يتطور تبعاً لقوانين الحياة الصوفية والقوانين الاجتماعية.

وهذا ينطبق على ظاهرة الرهبنة كنوع من النسك فهى توضح رحلة الشخص الذى يذهب إلى مكان بعيد، وهى إن كانت حالات فردية نشأت عن عاطفة فردية كما يقول روجيه باستيد إلا أنه ينضم إلى جماعة، وقد تكون غريبة عنه إلا أنه يرتضى الانتماء إليها، ولذا فهو ظاهرة اجتماعية لأنه يتحقق داخل جماعة ما، أو ثقافة ما كما يقول جينيبر، كما أن النسك ظاهرة اجتماعية بالنظر إلى أصوله وهى وإن كانت من اختراع رجل واحد، إلا أنه يعبر عن عواطف مجموعة سلكت نفس الطريق. وهذا يوضح أيضاً كيف أن النسك استطاع أن يفرض نفسه.

فعلى الرغم من أن الشخص يستطيع أن يتحكم فى مصيره، ولا يخضع خضوعاً أعمى لأية جماعه بل يستطيع اختيار حياته اختياراً حراً، إلا أنه بانضمامه إلى الجماعة النسكية يلتزم بالقوانين التى تفرضها تلك الجماعة وبالتالى تصبح لها قوة القهر والقسر.

<u>كما أنه ظاهرة اجتماعية لأنه يُقرر اشتراكاً فى الهدف</u> بين أفراد الجماعة النسكية، فالنسك رابطة ومحور الائتلاف وتوحيد أعضاء الجماعة، ومن أجل ذلك يستبدل الناسك بعائلته القرابية أسرته النسكية التى ينتسب إليها كما فى الرهبنة والصوفية أو أى جماعة نسكية.

---

1 - المرجع السابق: صـ ٩١-٩٣.

والنسك لا يرتبط بفترة زمنية محددة. كما انه ليس قاصرا على مكان معين بالذات، وإن كانت له صفات خارجية، إلا أنه يمكن القول أنه ظاهرة دينية لأنه موضع عقيدة وإيمان به عقلاً وعاطفة، ولذا لا يمكن إنكار طابعه الدينى.

فهو موضع اعتقاد لأن جماعة صغيرة أو كبيرة من الناس ارتضت مجموعة كاملة من التصورات الخاصة بالآلهة والعالم، والعلاقات بين الإنسانية وبين الأمور الخارقة للطبيعة. وتعد هذه التصورات فى نظر تلك الجماعة عقيدة أولى. وبما أنها مشتركة بين أعضاء جماعة ما لذا فهى تصورات اجتماعية.

والنسك ظاهرة اجتماعية بسبب عمومه[1]، وإن كان هناك فروق جزئية فيه ولكنه موضع اعتقاد لدى جماعات متعددة، قد تختلف تلك التصورات من جهة التفاصيل من جماعة نسكية إلى أخرى ولكنها ثابتة إلى حد ما من جهة الأفكار العامة الرئيسية.

والنسك ظاهرة دينية لأنه يتصل بطقوس محدده، وهذه الطقوس ليس إلا معانى وصوراً تُعبر عنها.

ويمكن تفسير النسك فى الديانات المختلفة بإحدى الطرق الثلاث الآتية:

١- إما بإرجاعها إلى تأثير البيئات الخارجية المتشابهة، وهذا الرأى تميل إليه المدرستان الاجتماعيتان الفرنسية والأمريكية، اللتان تريان أن التشابه المذهبى (انعقائد- أساطير- ....الخ) ترجع إلى تشابه التركيب الاجتماعى للشعوب، أو إلى تشابه النظم المادية.

٢- أما أعضاء مدرسة الأنثروبولوجيا البريطانية يفسرون التشابه المذهبى إلى أنه ناتج عن اتحاد طبيعة العقل الإنسانى الذى يقوم برد فعل مماثل تجاه

---

1 - نفس المرجع، صـ ٧٤-٨٧.

نفس الظروف.

٣- ترى مدرسة التاريخ الثقافى أن أوجه التشابه ترجع إلى انتقال إحدى الظواهر من شعب إلى آخر بطريق مباشر أو غير مباشر

ولكننا فى هذه الدراسة نميل إلى تفسير ظاهرة النسك فى مختلف الديانات بالاتفاق مع المدرسة البريطانية فى أنها تظهر نتيجة لاتحاد طبيعة العقل الإنسانى الذى يقوم برد فعل مماثل تجاه نفس الظروف، وأنها نتيجة لتأثير البيئات الخارجية المتشابهة. أى بالرجوع إلى العاملين معاً، وليس نتيجة انتقال إحدى الظواهر لأن كل منهم ظهرت فى بيئة مختلفة عن الأخرى تماماً، وفى عصور مختلفة، وفى أوقات متباعدة، إذن يرجع النسك إلى عوامل خارجية متشابهة وإلى اتحاد طبيعة العقل البشرى فى مواجهتها.

وسنعرض لصور مختلفة للنسك فى بعض الديانات المختلفة والعصور المختلفة فيما يلى:

أولاً: النسك عند الهنود:

كان متنسكو الهنود يميلون إلى تقديس العزلة سواء منهم البراهمة أو البوذيون، وكان من فلسفة أحد البوذيون "جواتمابوذا" أن الحياة ملأى بالمتاعب التى تسببها الرغبة خصوصاً فيما يتعلق بطول البقاء، وأنه ليس ثمة خلاص من متاعب الحياة إلا بواسطة قتل الرغبة فى النفس. ولذا ترك أهله وعشيرته وذهب إلى البرارى والقفار متقشفاً، حتى اصطبغ جسمه بلون أسود، ثم ترك البرارى بعد ذلك ليعيش على الصدقات.

ومن البوذيون أيضاً من اتبع نظام الشركة إذ يقال أن مدينة لاسا جمعت فى وقت واحد مائة ألف ناسك يقضون معظم أوقاتهم فى تلاوة الصلوات أمام

تمثال بوذا مستلقين على فراش من المسامير، ورافعون أذرعهم إلى أعلى طول الحياة، أو قاطعين عهداً على أنفسهم بالسكون المطلق. فيمتنعون عن الكلام أياماً طويلة.[1]

ولما رأى أحد الأساتذة الألمان ويدعى (هلجنفيلد) أن فريقاً من الرهبان المسيحيين اتبعوا شيئاً من هذا النظام، ادعى أن الرهبنة المسيحية مشتقة أصلاً من نظم البوذيين ولكن الحقيقة أن البوذيين المتنسكين يعتمدون على الصدقة، ويحرمون العمل للحصول على القوت، أما المسيحيون فيعتمدون على العمل للحصول على ما يكفى للقوت ولمساعدة المحتاجين. وأولئك يحرّمون تناول اللحوم وهؤلاء يبيحون ذلك، كما ركز البوذيون على تعذيب الجسد بالكي والمناخس الحديدية، لأنهم نظروا إلى الجسد كعدو وأحاطوه بسياج من الشرائع القاسية، أما النساك المسيحيون بوجه عام فيهتمون بالأكثر بالعبادة، ويرون إخضاع رغبات الجسد لتسمو الروح، ولكنهم لا يوافقون على تعذيب الجسد لأنه ليس فضيلة فى ذاته.

ثانياً: النسك عند اليونان:

بداه بلوتنيس مبتدع الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وتتلخص فلسفته فى "أن المادة أصل لكل شر، وفى وجوب تطهير الحواس من الدنس واعتزال العالم وخلاص الروح من عبودية الجسد". ولذا كان يعيش عيشة منفردة، لا يأكل اللحم بتاتاً، ولا ينام إلا نادراً، ويقضى الليالى الطوال فى تلاوة الصلوات.

وقد ظن البعض أيضاً أن الرهبنة المسيحية اقتبست نظامها منه، ومن أستاذة أمونيوس السقاس الإغريقى الأصل المسيحى الوالدين، ولكن فلسفتهما

---

1 - يسطس الدويرى: "القمص" موجز تاريخ المسيحية، الباب الثانى "الرهبنة"، مطبعة ملجأ الأيتام الخيرى بمصر، ١٩٤٩، الفصل الأول. صـ ١٩٨.

اتبعها أفراد قليلون[1] من اليونان فقط لا يجمعهم نظام ثابت، ولم يتعد تأثيرها الطبقات الراقية من المصريين الذين درسوا الآداب اليونانية، ولم تؤثر بأى حال على الطبقة المتوسطة التى ظهر منها مؤسسو الرهبنة المسيحية، فهم من طبقة الفلاحين الذين جهلوا اللغة اليونانية.

فقد كان أول راهب فى المسيحية (الأنبا أنطونيوس) شاباً أمياً وأقل ما يفهم من هذه العبارة أنه ليس على دراية باللغة اليونانية وآدابها ولا باللغة اللاتينية وآدابها، هاتين اللغتين كانت تتركز فيهما الثقافة القديمة. ومن غير المعقول أن يكون قد أخذ عن آداب اليونان ونسكياتهم ولا عن آداب الهنود ونسكياتهم.

كما أنه كان يعيش فى الصعيد بعيداً عن التأثيرات اليونانية التى تركزت فى الإسكندرية وبعض بلاد الدلتا.

أيضاً القديس مقاريوس الذى أسس الرهبنة فى أديرة وادى النطرون، وكان جمّالاً يجمع النطرون من الوادى ويبيعه لم يكن على حظ من الثقافة اليونانية أو غيرها.

كما أن القديس باخوميوس الذى أسس الحياة الديرية فى الصعيد، وكان جندياً وبعيداً بعداً كاملاً عن الإيمان وعن النسك، وقد تأثر بالنساك الأقباط فدخل الإيمان والنسك كليهما معاً. ومن غير المعقول أن يكون قد أخذ عن اليونان أو اليهود أو عن نسكيات ما قبل الميلاد بقرون، كذلك كان من أهل الصعيد الأقصى (من نواحى إسنا) بعيداً عن التيارات الفكرية التى تأتى من الخارج.

---

1 - يعقوب بطرس "القس": الرهبنة بين الشرق والغرب، المطبعة الفاروقية بأسيوط، ١٩٥٣، صـ ٢٠.

وقصة رهبنة كل من هؤلاء تميزت بتأثيرات معينة فى حياته الخاصة، ونبعت من قلبه لا من دراساته.

وقصة رهبنة كل من هؤلاء تميزت بتأثيرات معينة فى حياته الخاصة، ونبعت من قلبه لا من دراساته.

ومن الملاحظ أن الغرب والشرق كليهما قد أخذا عن الرهبنة القبطية ولم يعطياها وكان السواح يأتون من أقاصى البلاد ليتعلموا النسك من رهبان مصر.

ثالثاً: النسك عند اليهود:

نجد كثيرون تعمقوا فى العبادة الروحية وحاولوا الوصول إلى الحياة الأبدية مما ترتب عليه قيام طوائف دينيه، ومن متنسكى اليهود إيليا النبى، الذى عاش متعبداً فى البرية، وناسكاً فى مأكله وملبسه.[١] ومنهم أيضاً يوحنا المعمدان الذى عاش فى البرية وكان يلبس لباساً من وبر الإبل ومنطقة من جلد وعلى حقويه ويأكل عسلاً برياً[٢]. والعلامة يوحنا موسهيم يذكر فى كتابه (تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة) أن علماء اليهود انقسموا إلى شيع وأحزاب وطوائف متعددة،[٣] ولكن الذى يهمنا أنه قد اشتهر بالنسك منهم طائفتان إحداهما عاشت فى فلسطين والأخرى فى مصر وهما:

---

1 – العهد القديم: التوراة: الملوك الأول (إصحاح ١٧ عدد ٦٠)

2 – انجيل مرقس: إصحاح ١ عدد ١٦، انجيل متى، إصحاح ١٩ من ١٠–٢٠.

3 – العلامة يوحنا لورنس فان موسهيم: تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، ترجمة القس هنرى هرس جسب الأمريكانى، المطبعة الأمريكانية فى بيروت، ١٨٧٥، الكتاب الأول– القسم الأول (الفصل الثانى) صـ٩٠١٠.

- الطائفة الأولى: الآسينيين أو الجوهريين:

كانوا يسكنون شواطئ البحر الميت ويعيشون عيشة خشنة تشبه ما يعمله الرهبان المسيحيون، ولكنهم كانوا يختلفون عنهم فى إباحة الزواج لأتباعهم لحفظ الجنس البشرى، وهذا بخلاف الرهبنة المسيحية. ويقال أنه انتهى أمر هذه الطائفة[1] عند خراب أورشليم فى الجيل الأول بعد سقوطها سنة ٧٠م ولم تظهر الرهبنة المسيحية إلا فى الجيل الرابع.

وحكيم أمين يقول عن هذه الطائفة "من الصعب القول بأنها جماعة نسكية خالصة لانشغال بعض أفرادها بالسحر، ولأنها ضمت بعض المتزوجين".[2]

أما يوحنا موسهيم فيذكر أنهم صرفوا أكثر حياتهم متوحدين بدون تداخل مع البشر وكانوا فى سوريا ومصر والبلدان المجاورة. يعتقدون بأن الديانة تقوم بالصمت والتأملات، واجتهدوا بأن ينهضوا إلى درجات عُليا من الفضائل بالتقشف وتحريمات متنوعة ربما استعاروها من المصريين، على أنهم لم يكونوا برأى واحد فمنهم من عاش بتولاً واجتهد فى تعليم وتهذيب أولاد الغير، ومنهم من تزوج، ومن كان منهم يعيش فى سوريه اعتقد أنه يرضى الله بتقديم الذبائح بطريقة معينة تختلف عن اليهودية.

- الطائفة الثانية: المعالجون:

وهى التى عاشت فى مناطق متفرقة فى مصر وهى "الثرابيوتيه" (المعالجون) وقد تأثرت هذه الطائفة بفلسفة اليونان وكان من اتباعها فيلو وغيره. انتشروا بجوار بحيرة مريوط، وكان نظامهم يقضى بانعزال الناسك فى

---

1 - يسطس الدويرى "القمص": موجز تاريخ المسيحية، صـ ٣٩.
2 - حكيم أمين: دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، صـ٣٩.

الجبال والصحارى للتفرغ لدراسة التوراة، تاركاً الأهل والمال، قاطعا على نفسه عهداً بالصمت طوال الأسبوع. ثم يجتمع النساك معاً رجالاً ونساءً في يوم السبت في مكان واحد يستمعون إلى نصائح رئيسهم.

ويذكر حكيم أمين أن فيلو اليهودى ذكر أن تلك الحركة قامت على أساس تنقية الروح من شوائبها، بالعيش خارج المدن في منازل منعزلة مجردة من الكماليات، حيث يبدأ أفرادها بالصلاة منذ الفجر ثم يختمون يومهم بصلاة المساء الختامية.[1]

وعلى الرغم من وجود بعض التشابه بين الثرابيوتيه والرهبنة المسيحية، إلا أن الفروق الكثيرة بينهما تؤكد أن النظامين مختلفان، إذ أن الثرابيوتيه أو المعالجون تحرم العمل اليدوى، وتجيز وجود الرجال والنساء في صعيد واحد، والرهبنة المسيحية تخالفها في هذا[2]، كما أن الرهبنة الديرية ظهرت في مصر في الوجه القبلى أولاً، كذلك لم يكن في مصر إلا قله من اليهود وقت ظهور الرهبنة.

وهذا ما يؤكده ميناردوس[3] في قوله أن الثرابيوتيه التى ظهرت في القرن الأول الميلادى، لم يكن لها تدخل بأى شكل مباشر أو غير مباشر على حياة النساك المصريين المسيحيين، التى ظهرت في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع.

---

1 - المرجع السابق.

2 - لبيب حبشى وزكى تاوضروس: الأديرة الشرقية، صـ ٩-١٦.

3 - Otto F. A. Meinardws Php; Monks and Monasteries of The Egyptian Deserts; The American Uni. At Cairo Press, U. A. R. 1961. P.8.

غير أنه يتفق مع الكتابات السابقة فى أن هؤلاء الناس كانوا يمارسون نوعاً من الفن الطبى بجدارة أكثر من الأطباء المتخصصين فى ممارسة الطب بالمدينة، وقد عاشوا فى مجموعات كبيرة فى عدة أماكن فى مصر خاصة حول الإسكندرية، إذ كان التجاور شئ غير مستحب لديهم، لأنهم يعتقدون فى فكرة التوحد الكامل حيث يقومون بالصلاة مرتين فى اليوم، صباحاً ومساءاً، وفيما بينهما كانت مخصصة لحياة التأمل واكتساب الفضائل، ولا يتناولون الطعام قبل غروب الشمس حيث يختفى النور، فهم يرون أن حياة النور يجب أن تستغل فى التأمل والفلسفة، أما الاعتناء بالجسد وتناول الطعام فيليق بنه الظلام. وهذه الحياة وإن كانت تشبه إلى حد كبير حياة آباء البرية الأوائل إلا أنها ليس لها دخل فى ذلك.

وهذا يتفق مع قول إفلين هوايت عن هذه الجماعة التى عرفت بـ"الأطباء" وأضاف بأنه لا ينضم إليهم عضو إلا إذا كانت لديه الرغبة السامية فى ترك العالم والممتلكات والعلاقات البشرية والانعزال فى أماكن خارج المدن والقرى، حيث كانوا يتبعون نفس نظام المعبد اليهودى فى أورشليم فى صلواتهم وقراءاتهم وعظاتهم وحياتهم.[١]

وإن كان إفلين هوايت يذكر بعد ذلك أن بعض الكتاب المحدثين يرون أن الوصف الذى وضعه فيلو عن تلك الطائفة، هو تصور خيالى فقط، وأن تلك المجموعة ليس لها وجود حقيقى، فأى شخص يستطيع أن يلاحظ أنها عبارة عن مجرد حى يهودى ولا يوجد أى سمة تميزها.

---

1 - Evelyn White; The Monasteries of the Wadi N' Natrun; RartII Walter Hauser, Arno Press, New York, 1973. P. 7.8.

يتضح من هذا أنهم يتحدثون عن تلك الطائفة كطائفة يهودية تتبع النسك اليهودى، ولكننا نجد بعض المؤرخين تذكر هذه الطائفة عند حديثهما عن النسك عند المصريين القدماء، على اعتبار أنهم كانوا يعيشون فى مصر وليس فى اليهودية ومنهم يوسابيوس القيصرى كما سنرى.

رابعاً: النسك عند المصريين القدماء:

عرفت مصر الله فعبدته من قبل المسيح بستة آلاف سنة، وقال هيروديت "أن أهل طيبة كانوا يعبدون الله وحده، ويقولون أنه هو "الأول والآخر" وقال المؤرخ شمبليون فيجاك "من دراسة الآثار عرفنا أن مصر تعبد الله"، غير أنهم أظهروا صفاته العُليا إلى العيان مشخصة فى بعض المحسوسات كالتماثيل وغيرها، وعددوا صفاته العليا وميزوها بالأسماء، وجعلوا لكل اسم منها تمثالاً، ولكل مدينة معبوداً، فنشأ عن ذلك انتشار معبودات متباينة فى الشكل والهيئة، وكلها ترجع إلى صفاته العليا، وظهر كثير من جماعات النساك منهم تلك الجماعة التى عاشت على بحيرة مريوط.[1]

ويذكر يوسابيوس القيصرى أن هؤلاء الرجال النساك كانوا يدعون[2] أطباء -ويحمل الأصل اليونانى لكلمتى "أطباء وطبيبات" معنى العبادة والطب- والنساء المرافقات لهن تدعون طبيبات، وذلك أنه أطلق عليهم أطباء لأنهم كانوا يعالجون ويشفون نفوس من كانوا يأتون إليهم لإسعافهم وإنقاذهم من الشهوات الفاسدة. وأصبح أفاضل الناس من كل ناحية يأتون أو يهاجرون إلى "مستعمرة الأطباء" كما أطلق عليهم.

---

1 - سليم سليمان الفيومى: مختصر تاريخ الأمة القبطية، المطبعة المصرية الأهلية بالقاهرة، ١٩١٤، ج١ صـ٤٨.

2 - يوسابيوس القيصرى: تاريخ الكنيسة، ترجمة القس مرقس داود، دار الكرنك بالقاهرة، ١٩٦٠.

ثم يضيف الوصف التالى فى كل مكان يوجد هذا الجنس "أى الأطباء" لأنه كان لائقاً أن يشترك اليونانيون والبرابرة فيما هو خبر محض على أن هذا الجنس يكثر فى مصر بنوع أخص، ولا سيما نواحى الإسكندرية.

وكانت هناك جماعات أخرى نسكية ومنها جماعات سيرابيون التى وجدت فى ممفيس فى عهد البطالمة، ويذكر إفلين هوايت أنهم طائفة من النساك تركوا ممتلكاتهم، وعاشوا على الخبز فقط الذى يأخذونه من أقاربهم، وأغلقوا على أنفسهم فى صوامع منفردة، فلا يمكن التحدث إليهم، إلا من خلال طاقة صغيرة. ولكنهم لم ينقطعوا كلية عن العالم، إذ أنهم كانوا يعودون بعد فترة محدودة إلى العالم لأنهم لم يرتبطوا بفكرة النذر الدائم لمدى الحياة بترك العالم نهائياً، ولا هم رفضوا نهائياً كل ممتلكاتهم بل كانوا يعودون مرة أخرى لحياتهم الأصلية يشترون الأملاك، وكانت علاقاتهم بمعهد سيرابيون علاقة تعبد فى المعبد فقط، كما كانوا يعملون كوسطاء بتنبؤاتهم عن طريق الأحلام. كذلك عملوا كأطباء، وكانوا يتجمعون فى المعبد فى مناسبات معينة للقيام بالشعائر من أجل الأفراد، أى أن دورهم هو الوساطة بين الآلهة والناس ولكنهم لم ينقطعوا كلية عن العالم.[1]

ويتفق فى ذلك ميناردوس. كما يذكر حكيم أمين فى كتابه السابق الإشارة إليه، أن حياة هؤلاء المتصوفين هى تكريس لخدمة سيرابيون فعاشوا داخل المعابد حيث قاموا بدور الوسيط بين الإله سيرابيس وبين الناس الذين جاءوا إليه لتفسير الأحلام وطلب الشفاء.

---

1 - Evelyn White; <u>The Monasteries of the Wadi N' Natrun</u>; Op. cit. P.5.

- مجموعة كهنة هليوبوليس:

يذكر ميناردوس أنها نوع آخر من الحياة النسكية، معاصرة لجماعة سيرابيون، وقد ظهرت فى القرن الأول قبل المسيحية، ولها نفس الاتجاهات الدينية، إذ أنهم جماعة منعزلة، يرفضون الحصول على أية مكانة أو مركز، وقد نذروا أنفسهم لحياة التأمل الكامل والصلاة، وعاشوا فى حياة تشبه تماماً حياة النساك المسيحيين الأوائل. ولكنه يذكر أنه قد انتهت حياة هؤلاء الكهنة تماماً قبل بداية حياة الأنبا أنطونيوس مؤسس الرهبنة بثلاثة قرون.(١)

أما إفلين هوايت فاتفق معه فى أن هدف هؤلاء كان أن يحققوا العفة والاحتمال، ولذا رفضوا أى وظيفة عالمية، وكانوا يهربون من عامة الناس فى مناسبات معينة، ويهربون من تابعيهم فى فترات أخرى من أجل التطهير، ويعيشون حياة بسيطة على الخبز والماء، وكثير منهم لا يأكل الزيت. وهذا ما جعل البعض يقول أن هذه المجتمعات تشبه إلى حد كبير طبيعة الحياة التى ظهرت فى المجتمعات الرهبانية المسيحية الأولى. وأن أنطونيوس وتابعيه اقتدوا بتلك المجتمعات التى تحاول أن تحيا حياة الكمال.

ولكن إفلين هوايت يستطرد فى قوله بأنه عندما زار استرابو هليوبلس فى القرن الأول الميلادى وجد أن هؤلاء قد انتهوا تماماً وأصبحت نسكياتهم شئ عتيق. أى أنها انتهت قبل ظهور أنطونيوس بثلاثة قرون، وهذا ما سبق أن ذكره ميناردوس.

نستخلص من تلك الدراسات أن هناك استعدادات سيكولوجية لدى المصريين تتغلغل فى نفوسهم نحو الحياة النسكية ساعدت على قيام الرهبنة

---

1 - Otto F. A. Meinardus Php; Monks and Monasteries of The Egyptian Deserts; Op. cit. P.7.

باعتبارها أحد المظاهر النسكية للديانة المسيحية. وليس معنى ذلك أن الرهبنة القبطية تأثرت بهذه الاتجاهات والميول النسكية القديمة لدى قدماء المصـريين. فقد أكد إفلين هوايت وجهة النظر التقليدية التى ظهرت قبل القرن التاسع عشـر والتى ترى أن الرهبنة القبطية أصليه وليست مقتبسه، واتفق معـه فـى ذلـك ميناردوس، وإن اعترض البعض على تلك النظرة ومنهم "وينج آرتين Weing Arten الذى ادعى أن الرهبنة جزء من النسكيات السابقة كنسكيات سـيرابيون أو هليوبوليس.

ولكن من عرض الآراء السابقة اتضح أن هناك اختلافات كبيـرة بـين الحياة النسكية القديمة وبين الرهبنة المصرية تتضح فى عدة نواحى منهـا: أن النساك القدماء لم يفضلوا حياة البتولية إذ كـان لهـم أن يتزوجـوا، كمـا أن المنعزلين فى معبد سيرابيس لم يعتزلوا الحياة المدنية تماماً، بل كانوا يتصـلون بالناس ويعودون بعد الوحدة إلى حياة العالم، كما أنهم لم يضحوا بممتلكاتهم كما فعل الرهبان المسيحيون بل على العكس طالبوا بأن تكون ممتلكاتهم حقاً طبيعياً لهم، إذ أن سيرج سونيرون فى كتابه "كهان مصر القديمة"، ذكر أن الكهنة فى مصر القديمة لم تكن طائفة منعزلة تعيش على هامش المجتمع إنما كانت تقـوم بدور دقيق جداً فهم نواب الملك، وعليهم المشاركة فـى البنـاء الـدينى لملـك فرعون بممارسة الطقوس الدينية.[١]

وفى ذلك يذكر أدولف أرمان فى كتابـه "ديانـة مصـر القديمـة" أن الشخص الذى كان يجب أن يقوم بجميع مراسم العبادة الدينيـة مـن طقـوس واحتفالات هو الملك، إلا أن المشاركة الحقيقية فى مصر كان يقوم بهـا رجـال الكهنوت. وفى هذا أيضاً فرق كبير بين الرهبنة التـى لا تحتـل أى مركـز أو

---

1 - سيرج سونيرون: كهان مصر القديمة، ترجمة زينب الكـردى. مراجعـة احمـد بدوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، صـ٣٩.

وظيفة ولا تمثل أحد الملوك كما كان الكهنة المصريون، فى إقامة الشعائر والطقوس الدينية، أيضاً الوصول إلى درجة الكهنوت فى الديانة المصرية القديمة قد يكون عن طريق الوراثة فيقول هيروديت "أنه عند موت أحد الكهنة كان يخلفه ابنه فى مكانه" وقد يكون عن طريق الترشيح أو شراء الوظائف، وهذا إذا لم تستطيع حقوق الوراثة الوفاء بحاجة العبادة من الكهنة.[1]

وهذا أيضاً يختلف عن الرهبنة القبطية، إذ أن الرهبنة ليست بالوراثة كما أنها ليست بالترشيح، ولا تُشترى بالمال، إنما ينذر الشخص نفسه للرهبنة بدون وراثة أو شراء وبدون وساطات.

وكما ظهرت جماعات نُسكية وأشكال مختلفة من النُسك قبل ظهور المسيحية، كذلك نجد أنه حتى بعد ظهور المسيحية وجدت صور مختلفة من النُسك، وأفضل مثال لذلك التصوف فى الإسلام. وهذا يوضح أن النُسك ظاهرة دينية اجتماعية ظهرت فى كثير من المجتمعات وفى مختلف العصور وفى أماكن مختلفة ومتباينة.

1 – أدولف أرمان: ديانة مصر القديمة٨، ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى، دار المعارف العمومية، مطبعة الحلبى وأولاده بمصر، غير مبين السنة، صـ٣٠٨.

الفصل الثالث

نشأة
ظاهرة الرهبنة القبطية

الفصل الثالث

نشأة ظاهرة الرهبنة القبطية

أولاً: الرهبنة: تعريفها وأسبابها ومبادئها

١ - مفهوم الرهبنة:

عرف الأنبا أغريغوريوس أسقف الدراسات العليا والبحث العلمى الرهبنة "أنها نظام تعبدى خاص لمجموعة من الناس ارتضت لنفسها أن تعيش فى عزلة عن ضوضاء الحياة العامة وصخبها، كلفا بالهدوء الذى يتيح لها التأمل وفحص الضمير ومحاسبة النفس والصلاة العميقة الطويلة، والتعبد بغير شاغل أو عائق، وبهذا يبلغ العابد تدريجياً إلى مقامات روحانية عالية.[١]

ويقول حكيم أمين أن المقصود بالرهبانية طريقة المعيشة المنعزلة عن الناس، إلا أن كلمة "رهبانية" صارت تستخدم أيضاً للتدليل على الحياة الديرية القائمة على أسس اجتماعية.[٢]

وقد ورد فى قاموس أكسفورد للكنيسة المسيحية "تدين الرهبنة المسيحية فى الأصل للاشتياق والرغبة فى بلوغ حياة الكمال فى صورة أكثر اطمئنانا بالمقارنة بالإمكانيات العادية فى العالم".[٣]

- معنى كلمة راهب:

وجاءت كلمة "راهب" فى اللغة العربية مشتقة من "الرهبة"

---

1 - الأنبا إغريغوريوس، الدير المحرق- مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة. غير مبين السنة.

2 - حكيم أمين: دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مطبعة رمسيس بالجيزة، القاهرة، ١٩٦٣.

3 - Cross, F. L., The Oxford Dictionary of the Christian Church; Oxford University Press, New York. 1974.

و"الخوف العميق" التي يتميز بها طراز من العباد بسبب فحص الضمير وامتحان النفس والتعرف على حقيقتها خصوصاً عندما يصل إلى بعض الإشراق الباطني ويشرف على مرحلة الشخوص في الأنوار العليا فتنتابه "رهبة".(١)

ويؤيد هذا التفسير ما ورد في التوراة عن النبي أشعياء إذ أنه في لحظات الإشراق صرخ قائلاً "ويل لي إني قد هلكت لأني إنسان نجس الشفتين".(٢)

أما المرادف القبطي للراهب فهي "موناخوس" ⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ مأخوذة عن اليونانية وتعني الوحدة، لأن "مونو" يعني واحداً وقيد أخذت عنها (أي اليونانية) اللاتينية Monachus والإنجليزية Monk والفرنسية Moine وغير ذلك.

فالمعنى اللغوي لكلمة "رهبنة" في الأصل "الوحدة" حيث يعتزل الإنسان ليحيا بعيداً عن الالتزامات ليتهيأ له الوقت الكافي لينمو باطنياً وروحياً، ولكن الكلمة تحمل الآن مدلولاً آخر ألا وهو التخصص للعبادة دون اشتراط اعتزال الجماعة الكبرى.

وقد جاء في القاموس الكاثوليكي "لا يعتزل النساك Ascetics المسيحيون الناس إنما كقاعدة يعتزلون العالم ليمارسوا اماتات قاسية بقصد تحقيق التداريب الخاصة بالكمال".(٣)

وكلمة اماتات Martification في الاصطلاح المسيحي الكاثوليكي

---

1 - الأنبا إغريغوريوس، الدير المحرق، السابق ذكره.
2 – التوراة، سفر أشعياء٧، إصحاح ٦ عدد ٥.
3 - Hallett, P. E.; A Catholic Dictionary; Routledge & Kegan Paul Limited, London, 1951. P. 575. (15 th Edition)

تعنى التقشف الزائد بمعنى قبول "اماتة الرغبات" خلال الحرمان من ملذات الجسد من طعام وشراب، أو نوم أو أحد صنوف الراحة.

ومع أن العزلة عن الناس عسيرة على الكثيرين كما يقول علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا كأوجيست كونت ودور كايم "أن الإنسان كائن اجتماعى بطبيعته، ولا يمكن أن يعيش بمفرده منعزلاً عن الناس" وأيضا Trotter يذكر أن غريزة حب العيش فى جماعات وعدم الانفراد واحدة من أربع غرائز لها أساس كبير فى حياة الإنسان: وهى غريزة بقاء الجنس، ومحبة الغذاء والغريزة الجنسية والرابعة هى غريزة حب العيش فى جماعات وهى من صنع الفطرة،[1] أيضاً روجيبا ستيد يرى "أنه يوجد لدى كل فرد غريزة حب الاجتماع".[2]

إلا أن تاريخ الرهبنة أثبت أن هذه العزلة ممكنة، لكن ليس للجميع بل لقلة استطاعت أن ترتفع فوق السلوك البشرى وتسمو بغرائزها فوق الطبيعة، إذ أن هذه العزلة ضرورية أيضاً للبلوغ إلى المستويات الروحانية العالية الرفيعة وإن كانت ليست عزلة مطلقة.

وإن كانت العزلة الكاملة لا تتفق مع كون الإنسان اجتماعياً بطبعه، ففى الواقع أن الراهب المنعزل لا يعيش فى عزلة كاملة بالمعنى المطلق، فهو يعتزل الناس لكى يجلس مع الله، إذ يذكر قداسة الأنبا شنودة أن المنعزل فى جلوسه مع الله ومعيشته فى الحضرة الإلهية عن طريق الصلاة والتأمل، والحالات الروحية العميقة لا يشعر إطلاقاً أنه فى عزلة. بل يشعر أنه فى صحبة إلهية أعمق وأجمل من صحبة الناس والبشر. فهو استبدل رفيقاً برفيق، ولم يجلس

---

1 - P. P. Evans Pritchard; The Theories of Primitive Religions; Op. Cit. p. 68.

2 – روجيه باستيد: مبادئ علم الاجتماع الدينى، مرجع سابق، صـ ٨١.

وحده. وقد ذكر أن القديس أرسانيوس عندما عوقب على عدم جلوسه حتى مع الرهبان والتحدث إليهم، قال لا أستطيع أن أتكلم مع الله والناس فى وقت واحد. وفى رأى قداسة البابا شنودة أن من أعمق العبارات التى وصفت بها الرهبنة هى قول مار اسحق أسقف نينوى "الرهبنة هى انحلال عن الكل للارتباط بالواحد" فالانحلال عن الكل أى العزلة ليست هى الرهبنة إنما هو الوسيلة التى تؤدى للارتباط بالواحد أى الله. وهذا الارتباط على مستوى روحى عالى. وفيه يكون الراهب وحده لأنه مع الله فالوحدة لكاملة والانعزال الكامل لا وجود له فى الرهبنة، إنما الرهبنة هى استبدال عِشرة بعِشرة بالانتقال مَن عِشرة الناس إلى عِشرة الله.

أيضاً فى الإسلام نجد العلامة الشيخ أبى حامد الغزالى يقول لا ريب أن الإنسان مدنى بالطبع لا غنى له عن الاجتماع ببنى جنسه، ليقضى حاجاته. والحياة شركة يساهم فيها كل فرد بنصيبه مع هذا المجموع. غير أن طلاب الآخرة وعشاق الحقيقة من فلاسفة الأمة وخواصها لم يصلوا إلى ما وصلوا إلا بالخلوات والاعتزال فى بعض الأوقات ليعيشوا بأفكارهم وأرواحهم فى طلب الحقيقة والاغتراف من مناهل الغيب، واختلاء محمد عليه السلام فى غار حراء أول البعثة دليل أن انفتاح أبواب الغيب لا يكون فى المشاهد والمجالس، وعشاق السمر والأحاديث فى مختلف النوادى والمجامع فهؤلاء بعيدون عن الاغتراف من بحر الحقيقة.[١]

وفى ذلك قال داوُد الطائى "صُم عن الدنيا وأجعل فطرك الآخرة، وفر من الناس فرارك من الأسد".[٢]

---

1 - العلامة الشيخ أبى حامد الغزالى: منهاج العابدين، مكتبة الجندى، ١٩٥٤، صـ ٧٩.

2 - المرجع السابق، صـ ٢٤.

ويعرف مار اسحق فى تعاليمه "الوحدة" بأنها إنسان ترك العالم بالكلية وكذلك بلده وأقاربه وانتقل إلى الأديرة والبرارى، ليجلس فى الهدوء وهو يعمل بيده ويُقيت نفسه ويعبد الله ليلاً ونهاراً".[1]

وقد ورد في بستان الرهبان أن الرهبنة هى الانشغال بالتحدث إلى الله والاستماع إليه. والراهب يجب أن يستمع لصوت الله فى القلب أى فى طبيعته الخاصة،[2] وفى الطبيعة حوله فيلجأ إلى حياة السكون والتأمل والصلاة. إذ ليس ما يسمى بمبادئ الرهبنة الثلاثة –الفقر والطاعة والبتولية أو العفة، ما هى إلا صفات وممارسات سلوكية أى الصورة الخارجية التى تعكس الحالة الداخلية للراهب.

نخلص من ذلك أن الرهبنة فى صورة الوحدة هى عزلة عن الناس وتفرغ للعبادة وانقطاع للصلاة العميقة والرياضيات الروحية والعقلية، وانصراف للتأمل والقراءة، والوجود الدائم فى حضرة الله.

ولذا يرى القمص متى المسكين أن طقس الوحدة أقرب إلى جوهر الرهبنة من طقس الشركة (أى الحياة الديرية المشتركة) بشرط أن تكون هذه الوحدة إيجابية وليست سلبية، بمعنى أن الابتعاد عن الكل (الناس) ليس نفوراً من الناس، ولكن يجب أن يكون من أجل الاتحاد بالله وحده. لذا أصبحت الوحدة فى المفهوم الروحى الصرف ليست هى البعد الظاهرى، أو المكانى عن العالم والناس بل الابتعاد القلبى عن الدنيا والاتحاد الداخلى مع الله بالروح، ومن أجل هذا أصبحت العزلة فى الصحراء والقفار عند الآباء ضرورية من أجل تهيئة

---

1 - آباء الكنيسة القبطية: بستان الرهبان، مطرانية بنى سويف والبهنسا، مايو ١٩٦٨، صـ ١٣٣.

2 - آباء الكنيسة القبطية: المرجع السابق، صـ ٦.

الجو الملائم للاتحاد بالله على المستوى الكامل.[1] إذ يرى المسيحيون أن علاقة الحب المتبادل بين الله والنفس البشرية، علاقة اتحاد روحي. بمعنى أن النفس البشرية تتقدس لتكون بمثابة هيكل لله. وكما يقول الرسول بولس "أنتم هياكل الله وروح الله ساكن فيكم".

٢- الأسباب التي أدت إلى ظهور الرهبنة

من الأسباب الرئيسية للرهبنة حُب الله والزهد في العالم، والرغبة في حياة السكون والهدوء والتأمل والتأثر بتعاليم الكتاب المقدس.

والذي دفع بعض الرهبان إلى ذلك بعض العبارات التي وردت في الإنجيل فيقول سعد قوسة سعد أن تلك الرغبة نشأت نتيجة تعاليم المسيحية التي تدعو إلى حياة التقشف وإنكار الذات.[2] ففي حديث السيد المسيح عن أهمية البتولية سألوه "هل لا يوافق الرجل أن يتزوج فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل اللذين أعطى لهم ومن استطاع أن يقبل فليقبل"[3]، أما عن الحياة النسكية فقد قال له بطرس "ها نحن تركنا كل شئ وتبعناك"، فأجابه "ليس أحد ترك بيتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً، أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلي إلا ويأخذ مائة ضعف الآن في هذا الزمان بيوتاً واخوة وأخوات وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية".[4] كما أن تعليم الكنيسة باستمرار يقول "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم لأن العالم يمضي وشهوته"، وهذا أدى إلى وجود نوع من الزهد في المسيحية.

---

1 - القمص متى المسكين: الرهبنة القبطية، إسكندرية، طبعة أولى، ١٩٧٢، صـ٨٧
2 - سعد قوسة سعد، أمجاد العصر القبطي، مطبعة دون بوسكو، ١٩٧١، صـ ٨٧.
3 - إنجيل متى: إصحاح ١٩ عدد ١٠.
4 - إنجيل متى: إصحاح ٢٩ عدد ٢٩، مرقس إصحاح ١٠.

وهذا ما حدث مع أب الرهبان فيذكر مينا ردوس[١] أن القديس انطونيوس أخذ قراره بمجرد سماعه الكتاب المقدس "إذا أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع كل أملاكك وتعالى اتبعنى"[٢] فباع كل ماله وذهب إلى الوحدة.

وكذلك من أهم القواعد التى أستند عليها النساك الأوائل التشبُه بفترات الوحدة التى عاشها السيد المسيح فى البرية عاكفاً على الصوم والصلاة.[٣]

كما نجد تلاميذ السيد المسيح قد دعوا إلى الحياة النُسكية التى اعتمدت عليها الرهبنة فى مصر كقول الكتاب "إنى أريد أن يكون جميع الناس كما أنا" (أى أعزب)[٤].

وهناك أمثلة أخرى <u>لمن عاش حياة النُسك ممن عاصروا السيد المسيح</u>، مثل يوحنا المعمدان وهو النبى الذى عاش فى صحراء الشام حياة كلها نُسك فلبس وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد، والذى اقتصر طعامه على العسل البرى".[٥]

واتضح من الدراسة الحقلية أن البعض دخل الرهبنة لرغبتهم فى التدريب على حياة التسبيح والالتصاق بالله، فطالما أن عمل الملائكة هو التسبيح الدائم أمام الله، لذا يرى بعضهم أن يتدرب ويتعلم حياة التسبيح على الأرض حتى يكون له متعة التسبيح مع السمائيين بعد انتقاله، فقد ورد فى "سفر الرؤيا" أن "١٤٤ ألف كانوا يرتلون تسبحه لم يعرفها غيرهم"[٦]، لذلك

---

1 - OTTO. F. A., Meinardus; <u>Christian Egypt Ancient and Modern</u>; The American University in Cairo Press. 1977. P. 13.

2 - إنجيل متى إصحاح ١٩ عدد ٢١، إنجيل مرقص إصحاح ١٠ عدد ٢١.

3 - إنجيل لوقا: إصحاح ٤ من ١-٦.

4 - رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس، إصحاح ٧ من عدد ٧-٩.

5 - إنجبل متى: إصحاح ٣ من ١-٣٨.

6 - سفر الرؤيا: إصحاح ١٤ عدد ٢-٥.

يترك البعض العالم إلى الدير ليعيش حياة التسبيح، وفى رأيهم أن الانتقال من بلد إلى آخر يتطلب تعلم لغة هذا البلد حتى يمكنه التفاهم، ومن أجل هذا يحاول الراهب أن يتدرب على حياة التسبيح لأنها لغة السمائيين.

أيضاً الاتجاه الأخروى للكنيسة "اسخاتولوجى"(*) من حيث الاهتمام بالآخرة، والشعور بقرب فناء العالم وزواله أشعل شوق المؤمنين إلى الحياة الأخرى والنعيم الأبدى ودفعهم أن يكرسوا أوقاتهم للعبادة ويعدوا أنفسهم لملاقاة الله.[1] فالنظرة إلى حياة ما بعد الموت تجعل الإنسان يتجه إلى التوبة.[2]

وينظر المسيحيون إلى العالم الحاضر على أنه فترة غربة وفترة إعداد. إذ يذكر الأنبا يوأنس أن الموت فى المسيحية ليس هو النهاية أو الخاتمة، إنما هو نهاية المرحلة الأرضية من حياة الإنسان، وبداية لحياة أبدية سعيدة لا تنتهى، وهذا يجعل الإنسان يتجه إلى التوبة والنسك، فنهاية الحياة النسكية هى ملكوت الله.[3]

فالمسيحيون يرون أن الحياة الحاضرة هى سَفر نحو الأبدية. وهذا ما يقوله القديس أوغسطينوس أنك غريب أنت ضيف عابر طريق، ولذا ينصح الإنسان بأن لا يهتم بهذه الحياة، بل ينظر ويهتم بأن يقتنى بيتاً يقطن فيه إلى الأبد.[4]

---

1 - I. M. Kontzevitch; The Life of Saint John Climacus; New York, 1969. P. 141.

2 - I. M. Kontzevitch; The Life of Saint John Cassian;The Orthodox Ward New York, 1969. P. 53.

3 - الأنبا يوأنس: السماء، مكتبة مار مرقس، ١٩٧٤، صـ ٩٤.

4 - القس الفونسيوس ليكورى: الاستعداد للموت، الآباء الفرنسيسكان، ١٨٧٨، صـ ١٥٤.

*- كلمة اسخاتولوجى من أصل يونانى وهى اصطلاح لاهوتى يستخدم للتعليم الخاص بالأمور الأخروية كالموت والدينونة ومصير النفس.

+ New Encyclopedic Dictionary of the language: New York. 1973. P.535

ولكن د. ج. ج. كولتون فى مقاله "الديرية أسبابها ونتائجها" يرى أن ظهور بذور النظام الديرى كان مواءمة بين الأوضاع الاجتماعية العادية والتقاليد المرعية من جهة وبين الاتجاه الأخروى من جهة أخرى.[1]

وذلك لأن حياة الوحدة بمعناها الكامل، لا يستطيعها كثيرون من الذين ألفوا حياة المجتمع، كحل وسط صارت الحياة الديرية تجمع بين حياة مجتمع صغير هو الدير، وبين اهتمامات الإنسان بالحياة الأخرى بتكريس كل وقته فى حياة العبادة والتأمل.

وهناك أسباب أخرى فصخب العالم وضجيجه وشهواته، وخاصة فى العصر الرومانى كانت تدفع الناس إلى الاتجاه المضاد والشعور بالحاجة إلى وجود جو روحى نقى أدى إلى ظهور الوحدة فى البرية، ولذا فر الزاهدون فى العالم الفاسد المنحل إلى العزلة الدائمة أو المجتمع الدينى كما ذكر كل من جلال شرف، عبد الرحمن عيسوى فى كتابهما "سيكولوجية الحياة الروحية فى الإسلام والمسيحية":.[2]

كما أن كثيرين من الناس أصبحوا شغوفين بحياة الأديرة من كرازة الرهبان وخدمتهم فى المدن والكنائس، والتأثر بسير قديسى الرهبنة تأثراً عميقاً جعل الناس يشتهون هذه الحياة، ولذا فإن كثيرين من الناس يأتون لسماع كلمة منفعة من أحد الرهبان.

وهناك بعض الآراء الأخرى التى ترى أن هناك عوامل مختلفة غير تلك التى ذكرناها نورد بعضها فيما يلى مع التعليق على آرائها:

---

1 - د. ج. ج. كولتون: <u>الديرية أسبابها ونتائجها</u>، ترجمة د. جمال الدين الشيال، مجلة الآداب- المجلد ١١، ١٩٥٧.

2 - جلال شرف، عبد الرحمن عيسوى: <u>سيكولوجية الحياة الروحية فى المسيحية الإسلام</u>، منشأة المعارف بالإسكندرية، يناير ٧٢، صـ ٣٣٧.

وقد وضع المؤرخون فى كتاب "الروحانية المسيحية" قائمة بالعوامل والدوافع التى أدت لظهور الرهبنة فنجد Bouyer وضع خطوات متصلة للوصول للروحانية القبطية وهى النسك والبتولية والشهادة. وأتفق مع الشرح الذى وضعه Pourrat وآخرين. فى أن المسيحيين الذين أرادوا أن يعيشوا فى نسك للوصول إلى حياة الكمال، شعروا فى بداية القرن الرابع بضرورة الانسلاخ والانسحاب من العالم، ليمارسوا النسك الذى مارسه كثير من المؤمنين فى العصر الرسولى فى القرن الأول الميلادى.(١)

أما Don German Morn فيرى أن ما ظهر فى الحياة المسيحية فى بداية القرن الرابع ليست هى الحياة الرهبانية فى المسيحية، ولكنها عملية تكيف مع العالم من كثير من المسيحيين فى نهاية الاضطهاد. إذ أن الرهبان لم يأتوا بشئ جديد يُغير من الحياة المسيحية، إلا أنهم أحبوا أن يعيشوا الحياة المسيحية فى كمالها كما كانت فى الكنيسة الأولى. وقد رأى النساك والبتوليون أن بداية السير فى الحياة الروحية العالية عن طريق الانسحاب والهروب من العالم، وتدريجياً أصبحت حياة الرهبنة هى حياة الكمال المسيحى. وإن كان الأب Florovsky يقول أن الإنسان غالباً ما ينسى هذه المتطلبات والسمات الأساسية للرهبنة. وهى تحقيق رغباتهم فى العيش فى حياة الكمال المسيحى.(٢) أما ذهبى الفم فيرى أن الأديرة ضرورية لأنها المكان الذى فيه حياة الكمال المسيحى.

والأب Vicare يقول أن الذى أدى إلى ظهور الرهبنة أنها الطريق الوحيد للوصول إلى حياة الكمال، كما أنها استمرار لحياة الكنيسة التقليدية التى

---

1 - Jordam Aumann & Etc.; Christian Spirituality, East & West; The Priory Press; Chicago. 1968. P.p. 34-42.

2 - Ibid.

كونها الرسل فى أورشليم. وبذلك أقاموا مجموعات محددة واضعة فى اعتبارها أن تعيش حياة الكنيسة الأولى.

هذه بعض الأسباب التى وردت فى كتاب "الروحانية المسيحية" وهى تجمع على أن الرهبنة محاولة الاستمرار فى الحياة كما كانت فى الكنيسة الأولى.

ولكن يمكننا القول إن الفضائل المسيحية شئ يمكن أن يتوفر فى الذين يعيشون فى المدن وفى الرهبان، فإن كان الرهبان عاشوا فى الفضائل الموجودة فى الكنيسة الأولى، إلا أنهم أضافوا شيئاً جديداً لم يكن معروفاً وهو الحياة فى الجبال والبرارى والقفار والبُعد الكامل عن المدينة والمدنية واعتزال الناس، بل حتى اعتزال الرهبان داخل البرية والمعيشة فى حياة السكون والهدوء وعدم الارتباط بعمل من الأعمال. أو مسئولية من المسئوليات، وأيضاً عدم الارتباط بأسرة والإنفاق على زوجة وأولاد، وعدم السعى وراء الرزق لسداد احتياجات المعيشة، كل ذلك لا يمكن أن نقول أنه امتداد لحياة الكنيسة الأولى، وإنما أخذوا بعض الفضائل وأضافوا عليها حياة الرهبنة، وحياة العزوبية الكاملة الأمر الذى لم يكن موجوداً فى الكنيسة الأولى بصفة عامة، وإلا لانتهت الكنيسة منذ القرن الأول.

وفى الحقيقة كانت توجد فى الكنيسة الأولى حياة مشتركة، كما توجد فى أديرة الرهبان حياة مشتركة أيضاً، وفى هذا تشابه ولكنه ليس تشابهاً كاملاً. إذ أن اللذين فى الوحدة ما كانوا يحيون حياة مشتركة طوال الأسبوع بل يحيون حياة الشركة يوماً واحداً فى الأسبوع حينما يحضرون الصلاة وتناول الطعام معاً، ثم يفترقون فى عزلة عن بعضهم طوال الأسبوع.

وفى الكنيسة الأولى كان كثير من الأغنياء يبيعون أملاكهم ويضعونها عند تلاميذ المسيح، فتوزع على كل واحد حسب احتياجه. ولكن هذا كان أمراً

اختيارياً بحتاً، فلم يفترض فى كل إنسان أن يبيع أملاكه. وبقيت الملكية الفردية موجودة.

أما فى الرهبنة فالراهب ينذر الفقر وعدم الملكية طوال حياته، الأمر الذى لا نستطيع أن نقول أنه ساد عصر الكنيسة الأولى، وإن كنا لا ننكر أن مبادئ الزهد كانت موجودة فهى من مبادئ المسيحية عموماً. ولكن نذر الفقر كأحد المبادئ الرهبانية لم يكن أمراً موجوداً، فلم نسمع عن المسيحيين فى الكنيسة الأولى أنهم نذروا الفقر. ولكن وردت أمثلة فى الكتاب المقدس تشبه حياة الرهبنة عاشها أفراد معدودون حتى قبل ميلاد المسيح مثل "إيليا النبى" وفى أثناء حياته مثل "يوحنا المعمدان"، ولكنها لم تكن مبدأ عاماً، ولم تنتشر كما حدث منذ قيام الرهبنة على يد القديس أنطونيوس وحتى إيليا النبى ويوحنا المعمدان لم يعيشا حياة الوحدة بصفة دائمة بل أن كل منهما كلفه الله برسالة واندمج فى المجتمع ليقوم بها.

فالحياة فى الجبال فى زهد ونسك وفقر كانت معروفة بالنسبة إلى أفراد ولفترات محدودة، ولكنها لم تكن حياة لآلاف أو حياة لمدى العمر كله.

أما القول بأنها حياة الكمال المسيحى، فيمكننا أن نوضح أن حياة الكمال المسيحى تنقسم إلى قسمين:

أ- قسم لجميع الناس وهو الخاص بنقاوة القلب والسير فى حياة الفضيلة والترقى فى درجاتها، وهذا ليس وقفاً على الرهبان وحدهم. فيمكن لكل مؤمن من أن يحيا حياة الكمال حسب إمكانياته، متزوجاً كان أو أعزباً، فقيراً كان أو غنياً، يعيش فى المدينة أو يعيش فى القفر. فنحن نسمع عن أنبياء متزوجين عاشوا فى العالم وعاشوا فى الكمال ولم يكونوا رهباناً.

ب- وهناك نوع آخر من الكمال، وهو التفرغ لله وحده، بترك العالم وكل ما فيه والاعتكاف للصلاة والتعبد. وهذا ما قصده الرهبان إذ تفرغوا للصلاة

قال عنهم بن العسال فى كتابه "المجموع الصفوى" أنهم كانوا ملائكة أرضيين أو بشر سمائيين، أى أنهم تشبهوا بالملائكة فى حياتهم. وهذا النوع من الكمال ليس مطلوباً من جميع الناس، وإنما هو درجة من درجات الحياة. وهو طموح فى الحياة الروحية لمن تتوفر له الإمكانيات.

وفى هذا يقول الأنبا إغريغوريوس عندما نقول أن الرهبنة طريق الكمال، ليس معنى هذا أن الراهب أصبح كاملاً، إنما هو يسير فى طريق الكمال، وكما قال بولس الرسول "لا أقول أنا بلغت إلى الكمال، إنما أسعى لعلى أبلغ".[١]

وكما اتضح من الدراسة الحقلية من قول أحد الآباء أن المجتمع الرهبانى مجتمع يسعى فيه الجميع نحو الكمال.

أما ميناردوس فيرى أن هناك أكثر من سبب واحد يدفع الفرد إلى أن يتخذ قراره فى ترك العالم والانضمام إلى مجتمع الدير فى الصحراء منها:

- التجربة الدينية: يرى أنها من أهم العوامل لتقرير مستقبل حياة الإنسان، وهذه التجربة قد تظهر فى رؤيا أو فى حلم أو فى صورة إلهام روحى الذى ينتج عن حالة التأمل والاختطاف الروحى.[٢]

ولكن يمكننا أن نقول فى هذا أن الإنسان لا يجوز أن يعتمد على الأحلام فقط لأنه لا يضمن هل هى من الله أم لا.

فمن الممكن أن تكون هذه الأحلام هى نتيجة لما يختزنه العقل الباطن من صور وأفكار وقصص ورغبات. ومن السهل أن يحلم إنسان بأنه قد صار

---

1 - الأنبا إغريغوريوس: محاضرة مسجلة على شرائط بالدير.

2 - OTTO. F. A. Meinardus; Monks and Monastries of the Egyptian Deserts; Cairo. 1961. P. 384.

راهباً نتيجة لرغبة فى قلبه، أو نتيجة لتأثره بقراءة كتاب عن الرهبنة، أو نتيجة لزيارته لبعض الأديرة ورؤيته بعض الرهبان، وربما لا يوافقه طريق الرهبنة.

إذن الاعتماد على الأحلام والرؤى وحدها ليس أمراً سليماً ولا يجوز أن ينقاد له الإنسان إنقياداً عشوائياً بلا حكمة، وإنما حتى لو رأى حلماً أو رؤيا ينبغى له عدة أمور:

١- طلب المشورة من أب روحى أو الصبر فترة حتى يتأكد هل هو من الله أو هو أضغاث أحلام.

٢- ينبغى له أيضاً أن يتأكد هل مواهبه الشخصية واستعداده القلبى والفكرى والروحى يناسبه هذا الأمر أم لا، فإن كانت طبيعته لا يناسبها الرهبنة لا يكون هذا الحلم من الله.

أى هل يقدر على حياة الزهد والنسك والفقر؟ وهل يقدر على حياة الجبل والصحراء والعزلة والبعد عن الأهل والأصدقاء، وهل يقدر على حياة الصلاة الدائمة، وعلى حياة العزوبية، وباقى صفات الرهبنة؟ فإن لم يكن يقدر على كل هذا، وإن كانت طبيعته لا تتفق وحياة الرهبنة، فقطعاً لا تكون أحلامه بإرشاد إلهى.

٣- ينبغى أن يتأكد هل ظروفه المحيطة به تناسب موضوع الرهبنة أم لا تناسبه. فالإنسان المسئول عن أسرة يعولها وإذا تركها تنهار. لا يجوز له أن يتخلى عن هذه المسئولية كرعاية أم عجوز، أو أخت محتاجة، وإذا ترهب مثل هذا الإنسان وتخلى عن مسئوليته لا يكون ما رآه من حلم هو من الله.

٤- أما أصحاب الدرجات الروحية العليا الذين فى مستوى الرؤى والكشف الإلهى فغالباً ما يكون لهم استعداد روحى لهذا الطريق.

أما السبب الثانى الذى يذكره مينا ردوس وهو الشعور بالذنب الذى

يقود عدد كبير من الناس لحياة النسك على أمل أنهم يقومون بعمل طيب، كالتجرد وإنكار الذات والصلاة والتأمل والصوم، ومثال هذا النوع "موسى الأسود" الذى كان قاتلاً وقاطعاً للطريق وظل هكذا حتى سمع عظة من أنبا إيسيذورس قس القلالى فأصبح الراهب الأول فى برية الأسقيط، كذلك مريم القبطية وأغسطينوس.

وفى هذه النقطة يمكننا القول ليس الشعور بالذنب هو الذى يؤدى إلى الرهبنة ولكن رد الفعل للتوبة نتيجة سماع قصص التائبين، يؤدى إلى التمادى والاندفاع فى الناحية الأخرى فى إرضاء الله بالمعيشة الكاملة معه، فليس الشعور بالذنب إنما شهوة الحياة المقدسة عند التائب تجعله يحاول الوصول إلى نهاية الطريق.

كما أن الشعور بالذنب إذ استمر يكون حالة مرضية، وليس حالة من التدين السليم، فالتدين يزيل الشعور بالذنب ويدخل الإنسان فى محبة الله. أما الذى يتسرع ويذهب إلى الرهبنة بمجرد الشعور بالذنب، فبمجرد أن يخف هذا الشعور يتحول إلى اتجاه آخر ويندم على تسرعه.

أما القديسون التائبون الذين ذكرهم مينا ردوس، فلم يذهبوا إلى الرهبنة بمجرد الشعور بالذنب وإنما دخلوا أولاً فى حياة التوبة وغيروا طريقهم الخاطئ إلى طريق التوبة، ثم نموا روحياً كرد فعل أرادوا به تعويض ما فقدوه من حياة فى الخطية ... وقادهم هذا النمو الروحى إلى الرهبنة.

إذن لم يكن الشعور بالذنب هو الدافع، وإنما كانت محبة الله بعد التوبة هى الدافع. والدليل على ذلك أنه لم يترهب جميع التائبين، فكثيرون تركوا حياتهم الخاطئة وتابوا ولم يعيشوا كرهبان.

بالإضافة إلى هذه العوامل يرى البعض أن الاضطهاد الدائب على المسيحيين فى مصر من الأباطرة الوثنيين، وخاصة أواخر حكم دقلديانوس فى

الفترة من (٢٨٤- ٣١٣م)، الذين اضطهدوا المسيحية وغيرها من الديانات الأخرى الخارجة عن الديانة الإمبراطورية، فقد طلب الأباطرة الرومان من كل الشعوب الخاضعة لهم أن يتعبدوا للإمبراطور بجانب تعبدهم لآلهتهم الوطنية.[١]

وهذا ما يؤكده سليمان مظهر إذ يقول "فى تلك الأيام كان رعايا الأباطرة الرومان يعبدون ملوكهم على أنهم آلهة"[٢] وهذا الاضطهاد أدى كما يقول يوسابيوس القصيرى من رجال القرن الرابع إلى هروب كثير من المسيحيين من المناطق الشعبية فى مصر إلى الصحارى المحيطة بهم، ويقول أنه قد صدر مرسوم التسامح الدينى من ميلان الذى أصدره الإمبراطور قسطنطين سنة ٣١٣م.[٣] والذى به أصبحت الديانة المسيحية لأول مرة فى تاريخها ديانة مسموح بها إلى جانب الديانات الأخرى. وعلى الرغم من انتهاء الاستشهاد إذ لم يعد المسيحيين بحاجة إلى الاختفاء والعزلة فى الصحراء، إلا أن كثيرين منهم بقوا فى عزلتهم.[٤]

وهنا نقول أن الرهبنة ازدهرت بعد نهاية عصر الاستشهاد وليس أثنائه، وكثير من قادة الرهبنة ترهبوا بعد زوال حركة الاستشهاد، مثل الثلاثة مقارات فنجد القديس مقاريوس الكبير ولد سنة ٣٠٠م، وترهب سنة ٣٣٠م بينما الاضطهاد انتهى بمرسوم ميلان سنة ٣١٣م على يد الإمبراطور قسطنطين قبل رهبنة القديس مقاريوس بسبعة عشر سنة، وبرية شيهيت (وادى النطرون) بأديرتها الأربعة ظهرت بعد زوال فترة الاضطهاد. كذلك الأنبا أنطونيوس الذى

---

1 - Fr. Malaty T. Y. The Coptic Church; 1978. P. 74.

2 - سليمان مظهر: قصة الديانات: دار الوطن العربى للطباعة والنشر، غير مبين السنة، القسم الرابع: صـ ٤٤١.

3 - يوسا بيوس القيصرى: تاريخ الكنيسة: ترجمة القس مرقس داود. مطبعة الوحدة بالفجالة، القاهرة. ١٩٦٣، صـ ١٥.

4 - المرجع السابق.

ولد سنة ٢٥١م فى فترات شدة الاضطهاد وترهب وهو شاب وأمضى ٣٠ سنة فى الرهبنة وتوفى سنة ٣٥٦م أى بعد مرسوم ميلان بثلاثة وأربعين سنة كانت هذه الفترة بعد زوال عصر الاستشهاد أى أنه لم يذهب إلى الرهبنة خوفاً من الاستشهاد، وكل الذين تتلمذوا على يديه فى الصحراء الشرقية بعد زوال الاستشهاد. وبالمثل القديس أنبا شنودة بالصعيد.

والرهبنة فى روما بدأت نتيجة التأثر بكتاب سيرة القديس أنطونيوس الذى كتبه أثناسيوس الرسولى بعد مرسوم ميلان بسنوات طويلة، ولم يكن هناك اضطهاد فى ذلك الحين. وأيضاً الرهبنة فى فرنسا كان أكبر دافع إليها كتابات يوحنا كاسيان الذى زار أديرة مصر فى النصف الثانى من القرن الرابع وكتب كتابين، وهى أيضاً بعد مرسوم ميلان وزوال فترة الاضطهاد.

كما أنه فى عمق فترات الاضطهاد كان الرهبان ينزلون رغبة فى شهوة الاستشهاد ويقدمون أنفسهم للحكام أو يذهبون إلى السجون والمحاكمات لتشجيع الشهداء غير مبالين بالنتائج مثلما حدث مع القديس أنطونيوس نفسه، وأيضاً قصة التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت فى وادى النطرون، وموسى الأسود الذى فضل الاستشهاد بدلاً من الهروب إلى الحصن.

ونجد من بين الذين ترهبوا أمراء ما كانوا يخافون من الاستشهاد مثل مكسيموس ودوماديوس، إيلاريا، وأرسانيوس معلم أولاد الملوك.

ويتضح من ذلك أن الخوف من الاضطهاد لو كان هو السبب الرئيسى لانتهت الرهبنة بانتهاء الاضطهادات، ولما وجدت رهبنة بعد سنة ٣١٣م. ونجد فى عصرنا الحالى الأديرة مزدحمة بالرهبان ولا يوجد اضطهاد، أو تهديد للناس بقتلهم إذا ظلوا على دينهم. ونرى من بين الرهبان الحاليين كثيرين كانوا ناجحين فى حياتهم ومع ذلك تركوا العالم وترهبوا، بل أن البعض منهم كان فى وظائف ممتازة فى المهجر وتركوها وترهبوا.

كما أن الأديرة لم تكن مكاناً أمينا تحمى من الاستشهاد، فقد تعرضت هى الأخرى لحملات شديدة وتخريب وتهدمت وقتل رهبانها.

ويذكر جوردان Jordan أنه على الرغم من بساطة هؤلاء النساك إلا أنهم دافعوا عن الإيمان بدون أن يملكوا شيئاً،[1] وحتى بعد انتهاء الاضطهاد ساد خوف البعض من أن تنتهى الحياة النسكية ويعود النساك إلى العالم، ولكن عندما وجد النساك والبتوليين أنفسهم فى حالة أفضل بعد انتهاء الضغوط وصعوبات الاضطهاد، زاد الاتجاه فى بداية القرن الرابع للحياة النسكية. وفى هذا يقول القمص عبد المسيح المسعودى إن وجود الحرية المسيحية سباعد الناس على الانضمام إلى الرهبنة بعكس الذين زعموا أن الرهبان كانوا يذهبون إلى الأديرة بسبب الاضطهاد والضيقات.[2]

وهكذا يمكن القول أن فترة الاضطهاد الطويلة التى مرت على المسيحيين مدى قرون ثلاثة، كان لها آثار جانبية ولها تأثيرها فى الرهبنة، فقد دفعتهم للاستعداد للموت ولقاء الله، وهذا الاستعداد علمهم الزهد فى الحياة، لأن أهم ما كان يشغلهم هو الحياة الأخرى، كما شجعهم أيضاً على البتولية وعدم الزواج لأن الزواج وما كان يتبعه من إنجاب البنين قد يبعد البعض عن الاستشهاد حرصاً على الأطفال، وهكذا انتشرت فكرة الزهد فى القرون الأولى. وفيما بعد كانت من أسباب الرهبنة فقد اتضح شهوة الاستشهاد التى سادت الناس فى ذلك الزمان، بل أعتبر يوم الاستشهاد يوم عيد يلقى فيه الشهيد بالله ويدخل فى الحياة الأبدية السعيدة.

---

1 - Jordan Aumann 3& Etc.; Christian Spirituality, East & West; The Priory Press; Chicago. 1968. P. 34-42.

2 - القمص عبد المسيح المسعودى: تحفة السائلين فى أديرة وادى النطرون، صـ ١٦.

فعصور الاستشهاد أوجدت محبة للزهد فى العالم ومحبة للبتولية، ومحبة للاستعداد للأبدية شجع فيما بعد على الرهبنة فهذه كلها ترسبت فى أعماق الناس مدى أجيال حتى أصبحت عقيدة.

بل أن الأقباط كانوا يشتهون الاستشهاد وإذا لم يجدوه، كانوا يخرجون إلى الجبال ليمارسوا حياة النسك والتقشف كنوع من الموت الاختيارى، وأفضل مثل لذلك أكليمنضس الإسكندرى وأوريجانوس اللذين كانا يتحدثان عن النسك كاختبار يومى للاستشهاد فى القرن الثانى الميلادى.[1] والبعض يرى أنها هروب من المجتمع وانطواء لنفوسهم المريضة.

والدليل على أن الرهبنة ليست هروباً من المجتمع أو عجزاً عن التعامل معه هو أن الراهب حينما ينتقل إلى الدير ينتقل أيضاً إلى مجتمع فيه كل أنواع التعامل والعلاقات والتفاعل، وخاصة فى الأديرة الحالية وهى لا تقتصر على الرهبان بل فيها أيضاً العمال والفنيين، ويقدم إليها الزوار والسواح، وهو يتعامل مع كل هؤلاء دون أن ينطوى أو يفشل.

كذلك بعض الرهبان ينزلون ككهنة إلى المدن والقرى ويعيشون فى مجتمعاتها فى الخدمة الروحية والإرشاد وفى اندماج كامل بالمجتمع على مختلف طبقاته. ولو كان مثل هذا الراهب يتصف بالانطواء ما استطاع أن ينزل إلى الخدمة.

بل أننا نجد أن بعض رهبان من دير الأنبا بيشوى ومن دير البراموس يخدمون حالياً فى كندا وأمريكا وإنجلترا وفرنسا والنمسا وفى كينيا لرعاية الأقباط المغتربين فى تلك البلاد. وبالتالى هم يختلطون بالمصريين وبالأجانب، ويتوافقون مع حياة غريبة عليهم دون انطواء.

---

1 - Fr; Malaty. T. Y., Church of Alexandria; St. Mary Coptic Church; Melbourne, 1978. Pp. 112-173.

ولو كان عند أحد منهم مشاكل خاصة لظهرت عليه ولأسقطها على من حوله. وبالتالى كان يفشل فى خدمته أو ينطوى ويعود إلى ديره.

والدليل أيضاً على أن الرهبنة ليست عجزاً عن الاندماج فى المجتمع ما قام به الرهبان من مشروعات ناجحة فى التعمير والزراعة واستصلاح الأراضى، بينما بدءوا بلا موارد بداية تجعل غيرهم ييأس ويفشل، ولكنهم صمدوا.

ولا شك أن المعاونة التى نالوها من المجتمع فى القيام بمشروعاتهم وفى تبرع الكثيرين لها يدل على صداقة قوية نشأت بينهم وبين كثير من رجال الأعمال ومن الأثرياء ومن محبى الدير، الذين ساهموا فى تعميره وهم كثيرون جداً مما يدل على قابلية للاندماج فى المجتمع وقدرته على ذلك، بل ونجاح فى هذا الاندماج. بل أن الدير فى فتح أبوابه للزوار مصريين وأجانب، وفى تأسيسه بيوت للخلوة يقيم فيها محبو الصلاة والتأمل أياماً، وفى فتح الدير للعمال والمقاولين والفنيين ولأصدقاء الدير العديدين. كل ذلك يدل على انفتاح فى الشخصية.

لأنه لو كان هناك إنطواءً لأغلق الدير أبوابه واكتفى بالحياة الخاصة البعيدة كلية على المجتمع.

كذلك عمل الرهبان فى الإرشاد الروحى، وفى فتح كنائسهم لمن يزورها، وفى استقبال آلاف من الزوار فى عيد قديس الدير كل ذلك لا يمكن أن يدل إطلاقاً على الانطواء والهروب من المجتمع.

ذكرنا أن الرهبنة ليست هروباً من المجتمع، ونود أن نقول أنها ليست أيضاً هروباً من المشاكل وليست لنفوس مريضة، وأكبر دليل على هذا أنه قد التحق بالأديرة أشخاص كانوا ناجحين جداً فى حياتهم العملية قبل الرهبنة، وغالبيتهم من الحاصلين على شهادات جامعية والبعض منهم حاصل

على دراسات عُليا. وبعضهم له مؤلفات عديدة. وكثيرين جداً منهم يتمتعون بمحبة كبيرة من الناس، وبقدر من الثقة وقد عَهَدت الكنيسة إلى البعض منهم بمسئوليات كبيرة.

ومن الصعب أن نقول أن رهباناً يلجأ الناس إليهم لحل مشاكلهم، يكونون هم أنفسهم أصحاب مشاكل.

أما إن وجدت أخطاء فردية فى مجال الرهبنة، فكل مجتمع من المجتمعات لا يخلوا من الأخطاء الفردية. غير أن الراهب فى الدير وقد تعود محاسبة نفسه، يدرب ذاته على معالجة أخطائه كُلما اكتشفها، أو وجهه المرشد إليها.

وكثيرين من هؤلاء الرهبان تحولوا إلى مرشدين روحيين يقصدهم الناس يطلبون منهم الإرشاد والهداية والعمل على حل مشاكلهم. وكذلك فإن الذى يهرب من المشاكل ويعجز عن مواجهتها، فستقابله أيضاً مشاكل داخل الحياة الرهبانية.

والذى يهرب من التعامل مع الناس، ستواجهه مشكلة التعامل مع زملائه الرهبان ومع رئاسة الدير، وأيضاً مع الضيوف الذين يحضرون للدير.

بل على العكس كل راهب بدأ حياته بالانتصار على المشاكل: مشكلة الروابط الاجتماعية المتعددة التى سيحرم منها، انتصاره على شهوات العالم ورغباته وطموحه، انتصاره على المال والمقتنيات، انتصاره على النفس، وعلى رغبة الأهل فى عدم مفارقتهم.

ومهما تعددت الأسباب واختلفت الدوافع التى أدت إلى قيام حركة الرهبنة فى مصر، فالذى لا شك فيه أنها قامت طبقاً للتعاليم والمبادئ التى نادى بها المسيح والرسل. فالرهبنة نَبَعت من الديانة المسيحية باعتبارها فلسفة الشريعة المسيحية. فالمسيحية بطبيعتها ديانة ناسكة، إذ تكرر عبارة "لا

تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم لأن العالم يبيد وشهوته معه" فى صلوات القداسات كل مرة.

واتضح من الدراسة الحقلية فى أديرة وادى النطرون أن هناك أسباباً أخرى بالإضافة إلى محبة حياة الوحدة والسكون، منهج الكنيسة النسكى، والمؤلفات النسكية، ومحبة القديسين، ومحبة حياة التسبيح كما ذكرنا.

هناك أسباب ودوافع أخرى للرهبنة وهى:

- خدمة الكنيسة:

البعض يحب أن يخدم الله بأية صورة مع العزوف عن حياة الزواج لكى يتفرغ للخدمة، ولكن الخدمة الكاملة لغير المتزوجين لم تنتظم بعد فى الكنيسة، وقد أوجدت لها الكنيسة بعض بيوت تسمى بيوت التكريس ولكنها لم تلق اهتماماً كبيراً وبقيت بلا فاعلية.

ومن هنا كان طريق الذين لا يهدفون إلى الزواج وفى نفس الوقت يحبون خدمة الكنيسة، هو الاتجاه إلى الدير. ومن هذه المجموعة كثير من الذين يخدمون الدير فى شتى أنشطته الداخلية، وفى مصالحه خارج الدير. والبعض منهم يصير كاهناً ويخدم فى إحدى المدن أو القرى أو خارج القطر. ومن هذا النوع كثيرون نذكر من بينهم الراهب يوحنا البراموسى، الذى يخدم كاهناً للكنيسة القبطية فى فيينا وهو من خريجى قسم اللغة الألمانية بمعهد الألسن، قد ترهب فى دير البراموس وتفرغ لهذه الخدمة تساعده مؤهلاته الدراسية. ومنهم أيضاً نيافة الأنبا أنطونيوس مرقس وكان طبيباً خدم فى أثيوبيا أكثر من ٩ سنوات وأحب الخدمة فى أفريقيا فترهب فى دير البراموس وهو حالياً أسقف الكنيسة فى نيروبى.

- النذر:

البعض دخلوا الرهبنة إيفاءً لنذر معين قطعوه على أنفسهم فى فترة من

فترات حياتهم سواء فترة إيمان بالرهبنة أو تأثر بحاجة روحية خاصة، أو في ضيقة.

ونلاحظ أن بعض السيدات القبطيات ينذرن أطفالهم للرهبنة في بدء حياتهم ويلبسنهم رهبان وهم أطفال لمدة سنتين أو ثلاث سنوات، مما يدل على أن النذر للرهبنة موجود في أعماق الفكر في بعض العائلات، ونذكر هذا كمثال: قصة نذر حدثت للراهب بموا السرياني كان ذلك وهو جندي في حرب ١٩٦٩، وتساقطت القنابل مميتة على فرقته في الجيش، وكان يشاهد مقتل زملائه بالقنابل وشظاياها واحداً أثر الآخر ... فنذر إن هو عاش أن يصير راهباً. وانتهت الغارة الجوية وكان من بين الأحياء مع بعض زملائه، فترهب في دير السريان بعد تسريحه من الجيش ونفس القصة لأحد الرهبان بدير الأنبا بيشوى.

- <u>أشخاص انتهوا من مسئولياتهم:</u>

من أغرب ما رأيته في دير الأنبا بيشوى رهبنة اثنين كل منهما فوق الستين من عمره مع أن كل الرهبان تقريباً من الشباب. والاثنان وإن اتفقا في السن إلا أنهما من بيئتين مختلفتين: أحدهما هو الراهب داؤود الأنبا بيشوى وكان قبل رهبنته مرتلاً في كنيسة العذراء بمحرم بك. وبعد أن أكمل مسئوليته العائلية والوظيفية جاء إلى الدير. والثاني هو الراهب عبد المسيح أنبا بيشوى وكان مديراً للمنطقة الطبية في طنطا. وهو أيضاً بعد أن أكمل مسئوليته في العالم، جاء يقضي أيام شيخوخته في الدير.

- <u>التأثير بمرشدين أو قيادات في الكنيسة:</u>

أحياناً يكون هناك خادم في الكنيسة محبوب جداً من الشباب وله تأثير روحي عليهم. فيترهب هذا الخادم وإذا بعدد من شباب الكنيسة يتبعه إلى الدير ويترهب معه. ولهذا نلاحظ في الأديرة وجود جماعات تنتمي إلى منطقة واحدة أو إلى قيادة فكرة واحدة. ففي دير أنبا مقار مثلاً توجد مجموعة من كنيسة

الأنبا أنطونيوس بشبرا.

وقد يوجد مرشد روحى فى أحد الأديرة يكون سبباً فى اجتذاب كثيرين للرهبنة تحت إرشاده مثال ذلك القمص متى المسكين فى دير أنبا مقار، ونيافة الأنبا صرابامون فى دير الأنبا بيشوى، وكان الراهب أنطونيوس السريانى (البابا شنودة الحالى) فى دير السريان.

٣- مبادئ الرهبنة وعناصرها

يمكننا القول أن الاتصال المستمر بين الحياة الروحية الأولى للكنيسة الرسولية والحياة الروحية للآباء الرهبان الأوائل هى القواعد الأساسية التى بنيت عليها قواعد الرهبنة الأولى وهى:

أ: البتولية أو العفة:

أو نذر التبتل إلى الله. والمقصود بالبتولية حياة العزوبية الاختيارية مدى الحياة وتفضيل عدم الزواج ليس هرباً من مسئوليات الزواج وواجباته، ولا كراهية له ولكن من أجل الاهتمام الكلى بخدمة الله، والتفرغ له. وقد أشار السيد المسيح إلى البتولية ولكنه لم يفرضها على الناس بل جعل الإقبال عليها حسب إرادة الإنسان واختياره فقال "ليس الجميع يقبلون هذا الكلام".[١] كما أن بولس الرسول نفسه عاش بتولاً.[٢]

والمقصود بالبتولية كما ورد فى كتاب "أصول الحياة الروحية" هى الطهارة الداخلية القلبية، الطهارة بالمعنى الكلى للكلمة، والبتولية ليست فضيلة فى حد ذاتها بل هى واسطة ترتقى بها إلى شئ أعظم.[٣]

1 - إنجيل متى إصحاح ١٩ عدد ١١.
2 - الرسالة كورونثوس الأولى (إصحاح ٧ من عدد ٨-١٠)
3 - رهبنة دير مارى جرجس الحرف، أصول الحياة الروحية، لبنان- منشورات النور، ١٩٧١، من ص ٢٩-٣٣.

والمقصود بالطهارة أن يحفظ الفرد كل كيانــه (الجســدى والأخلاقــى والروحى) على السواء طاهراً غير ملوث أى لا يسمح للخطيئة بالدخول إليه.

والبتولية تؤكدها الرسالة الأولى إلى أهــل كورونثــوس "فــإن غيــر المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب، أما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى امرأته. إن بين الزوجة والعذراء فرقاً".[١]

ويدّعى بعض الناس أن فى البتولية قضــاء علــى الجــنس البشــرى وانقراض للبشرية، ولكن هذا الطريق لقلة فقط وليس للجميع.

وقد تعرض القديس أوغسطينوس لهذا السؤال: أليست البشرية معرضة للزوال والانقراض إذا سادت البتولية؟ فأجاب القديس هذا الكلام صحيح نظريــاً، ولكن عملياً ليس الجميع يحتملون هذه المعيشة فاطمئن لا يمكــن للبشــرية أن تنقرض لأنه لا يمكن لجميع البشر أن يعيشوا فى بتولية.[٢]

وقال القديس جيروم رداً على نفس السؤال اطمئن فالبتولية شئ صعب، ولذلك فهى نادرة لأنها صعبة إذ لو كان الجميع يستطيعون أن يكونوا بتوليين ما كان الرب قال "من استطاع أن يقبل فليقبل".[٣]

ولحفظ البتولية لا بد حد أدنى من النسك والنظام الواقى والانضباط فــى الطعام وفى الكلام وفى الفكر ولكن الشرط الأساسى لحفظ البتولية يبقى الصلاة: صلاة القلب المحب لله، فلا بتولية بدون حب "والإنسان الطاهر هو الذى أحــل الحب الإلهى محل الحب الجسدى".[٤]

---

1 - الرسالة كورونثوس الأولى (إصحاح ٧ من عدد ٣٢-٣٨)
2 - Nicene & Post Nicene Fathers; 1st Series, Vol. III. P.28.
3 - الأنبا شنودة الثالث: شريعة الزوجة الواحدة فى المسيحية، دار العــالم العربــى، طبعة ثالثة، ١٩٧٨، صـــ ٩٤.
4 - رهبنة مارى جرجس الحرف: أصول الحياة الروحية، صـــ ٣٣.

ونجد في الإسلام أن رابعة العدوية أفضل مثل للمرأة التي عشقت حياة العزوبية ونذرت نفسها لله. فقد عاهدت الله أن تعيش حرة من كل شهوات الدنيا حرة مما يستعبد الناس من بريق الحياة، عبدة لمولاها وخالقها، لن يملك قلبها شئ مما يملك قلوب الناس فهي ترى أن أي فرد ينظر إلى العالم أو أي شئ في الوجود فهو إنسان تعس، ولذا نذرت نفسها لله لن يشغلها عنه البيت السعيد أو الزوج الكريم ولا المال الوفير، وهي لا تُحرم الزواج فهو سنة الإسلام وشريعة الحياة،[1] ولكنها لا تشعر برغبة لشئ في الدنيا، فلقد ملأ عليها حبها الإلهي كل وجودها وشغلها هذا الحب عن عباده، ولذا نذرت نفسها للمحاريب ووهبت نفسها للتسبيح وأقبلت بكل كنوز قلبها على المناجاة في ساحة القرب والحب والرضا، ولذا تركت العالم إلى حياة العزلة المليئة بالتسبيح والتهليل والاستغفار، المليئة بالتأمل والتفكير في الملكوت الأعلى.[2]

ويقول عنها العطار: أنها ذات الخدر الخاص المتقدة بنار الشوق والعشق والاشتياق المتحرقة إلى القرب والاحتراق، الفانية في الوصال كأنها مريم ثانية، عذراء بتول صافية، إنها رابعة العدوية.

ولقد جعلت رابعة محبة الله سر الحياة وطابعها وهدفها الأعلى، ومن محبة الله تنبثق محبة كل ما في الوجود، فقد كانت صوفية يدفعها حب قوى دفاق، الحب الذي لا تقيده رغبة سوى حب الله وحده. وقد علمت الناس أن الحياة محبة، محبة للناس جميعاً وهي أول من استعمل هذه اللفظة استعمالاً صريحاً في الإسلام فيما كانت تناجي به ربها، ومن أجل ذلك أطلق على رابعة رائدة الحب الإلهي، وهي ترى أن المحبة والزهد واليقين والثقة بالله والشكر والتواكل والصبر والمعرفة كلها تنتقل بالنفس في طريقها إلى الله. أما إذا فتحنا

---

1 - عبد الرحمن البدوي: شهيدة العشق الإلهي "رابعة العدوية" مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة. صـ ١٧.

2 - المرجع السابق.

أبواب الشهوات بركوننا إلى خواطر النفس، انهمرت علينا ظلماتها ظلمة فوق ظلمة وشهوة تدفع إلى شهوة حتى تهوى النفس.[1]

وقد ظهرت نظريات عديدة فى الحب الإلهى فى الإسلام وكلها أجمعت أن الله هو الهدف وأن محبته خير طريق مؤدية إليه وإن اختلفوا فى تصوير العلاقة بين الحب المحبوب، والصلة بين المحبة وغيرها من مظاهر الحياة الروحية.

ويذكر أبو العلا عفيفى عن رابعة أنها تتحدث عن نوعين من الحب الإلهى:

حب له من أجل غرض تنشده، ومنفعة تطلبها أو هو حب أنانى تسميه "حب الهوى" والحب الثانى حب الله تعالى من حيث هو حب الإيثار المنزه عن الأغراض الشخصية والشهوات وفى هذا الحب لم ترى رابعة شيئاً من الكون إلا ورأت فيه الله.

وقد أكدت رابعة العدوية سر الحياة الصوفية وجوهرها، وذلك السر هو إنكار الذات وفناء المُحب فى المحبوب. إذ لا يعرف الله المعرفة الحقة ولا يحب الله الحب الحقيقى وفى النفس أدنى شعور بذاتها وبالعالم المحيط بها. وهى تتفق بذلك مع جميع من تغنوا بنغمة الحب الإلهى من أصحاب الديانات الأخرى.[2]

ونورد فيما يلى بعض الآراء التى وردت فى نظرية العشق الصوفية "العشق الإلهى":

يقول سامى النشار أن البيرونى فى نظرية العشق الصوفية "الحب

1- طه عبد الباقى سرور: رابعة العدوية والحياة الروحية فى الإسلام، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٥٧، من صـ ٥٣-٥٩.
2 - أبو العلا عفيفى: التصوف – الثورة الروحية فى الإسلام، دار المعارف – طبعة أولى، ١٩٦٣، صـ ٢٠٢-٢١٢.

الإلهى" أو العشق الصوفية لها آثار هندية. إن تحديد الصوفية للعشق: "أنه الاشتغال بالحق عن الخلق" وأول عابد فى الإسلام أعلن هذا الحب الإلهى هو عامر بن قيس قال: "أحببت الله حباً سهل على كل معصية، ورضانى بكل قضية، فما أبالى مع حبى إياه ما أصبحت عليه". وهناك أيضاً قبله زاهداً من نفس قبيلة عامر بن قيس وهو خليد بن عبد الله العصر يقول "يا أخوتاه هل فيكم من أحد لا يحب أن يلقى حبيبه، ألا فاحبوا ربكم وسيروا إليه سيراً كريماً".[1]

كذلك نادت بالحب عابدة من كبار العابدات عرفت أيام الحسن البصرى باسم بردة الصريمية كانت دائماً تردد "أصبحنا أضيافاً منتجعين بأرض غربة تنتظر الداعى" فكانت أول من أعلن صرخة الحب وسبقت رابعة فى أقوالها. كانت تقوم بالليل بعد أن تسكن الحركات وتهدأ العيون تناجى بها.

وما لبثت فكرة الحب أن سادت الحياة الروحية لعابد من أكبر عباد البصرة وهو عبد الواحد بن زيد الذى انفلت من قيود الفكرة العذابية النارية التى كانت تسيطر على العابدين متصيداً للوجه الإلهى، وذكر عنه الذهبى "أنه شيخ الصوفية وأعظمهم" وقد سمع صوتاً يقول له: رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء وهى صوفية، وكان يرى أن الغاية النهائية من العبادة هى المحبة الإلهية الممتزجة بالتأمل الحزين، وكان دائماً يطلب أن يصل الإنسان خلال عبادته إلى تودد الله وتشوقه، لرؤية وجهه الكريم أى يتكلم عن الشوق والقرب والصبر.. وأشرف درجة هى درجة الرضا وهى رأس المحبة فكان عبد الواحد بن زيد من أوائل من نادوا بالمحبة الإلهية وصورها على أنها نهاية طريق العابدين، ولذا أعتُبر الصوفى الأول لأنه أثر فى الصوفية من بعده. ويقال أنه

---

1 – على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، الجزء الثالث، دار المعارف، ١٩٦٩، صـ ٤٧، من ٢٣٤–٢٩٥. طبعة أولى.

هو الذى أبان طريق المحبة لمعاصرته رابعة القيسية المشهورة برابعة العدوية بل كان أستاذها.[١]

ب: الفقر الاختيارى:

اختيار الفقر طواعية بإرادة الإنسان هو نتيجة طبيعية لمن زهد فى الحياة الدنيا وزخارفها، ومن ابتعد عن أباطيلها وارتضى أن يبتعد عن محبة المال الذى يقف فى طريق من يتعلق به فلا يقدر أن ينصرف إلى الله إنصرافاً تاماً، وإن لم يكن الفقر شرطاً مفروضاً أو مطلوباً ولكن السيد المسيح أوصى به هؤلاء القلقين بسبب ممتلكاتهم، من أجل هذا اشترطت الرهبنة على من يرغب فى الدخول إليها عليه أن يرضى بالفقر الاختيارى حتى يقنع بحياة الكفاف ويعيش من عمل يديه.

والمشكلة فى المال أننا أحياناً نظن أننا نملكه فإذا به هو الذى يملكنا، يملك القلب والعقل والعاطفة، ويصرف حياة الإنسان، ولذلك قال ميخائيل أبو نعيمة فى كتابه "مردات" قل ما أملكه، قل ما يملكنى "زاد ما أملكه زاد ما يملكنى".

والبعض يظن أن الرهبنة هى طريق الفقراء الذين لجأوا للدير هرباً من أعباء وتكاليف الحياة ولكن تاريخ الرهبنة القديم يمدنا بأن كثيرين منهم كانوا من ذوى الثراء وفى أسمى المناصب ومع ذلك آثروا الفقر مع التعبد، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر القديس أنطونيوس الكبير وكما يطلق عليه "أبو الرهبان" فقد كان يملك ٣٠٠ فداناً من أجود أطيان بنى سويف، القديس باخوم أو كما يسمى، "أبى الشركة" كان قائداً فى الجيش، القديس أرسانيوس "معلم أولاد الملوك" كان ابن أحد قضاة روما، القديس مار مينا

---

1 - المرجع السابق.

العجايبى كان ابناً لحاكم مريوط، القديس مكسيموس ودوماديوس "كانا ابنى ملك الروم" القديسة دميانة كانت ابنة حاكم البرلس والزعفران.

هذا وقد عاش السيد المسيح ليس له أين يسند رأسه[1]، كما عاش بولس الرسول فقيراً وأعلن ذلك فى قوله "كفقراء ونحن نغنى كثيرين .. كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ".[2]

وفى كتاب "أصول الحياة الروحية" يرى أن الفقر هو جزء من الجهاد النسكى فى حرب الراهب النسكية للوصول إلى هدفه، فالفقر هنا هو تنازل اختيارى عن خيرات العالم- وليس ذلك احتقاراً للعالم بل تفضيلاً لما هو أفضل منه، وهو الله خالق العالم.

وهناك درجة أعمق من الفقر تحدث عنها مار اسحق السريانى وهى العوذ فالفقير قد يعيش فى الكفاف الضرورى. أما المعوز فأنه يبحث عن الضروريات فلا يجدها. وغالبية الذين عاشوا فى داخل البرارى عاشوا فى حياة العوذ.

وكانت القلنسوة التى يلبسها الراهب فى زى الرهبنة طويلة ومطروحة وراءه إشارة إلى طرح العالم كله خلفه.

وحتى حينما يصير الراهب أسقفاً أو بطريركاً فأنه يظل على نذره لا يملك شيئاً، وكل ما يصل إلى يديه يعتبر ملكاً للكنيسة، وليس له، يرثه من يخلفه فى نفس المنصب، وليس أقاربه بالجسد.

والفقر الحقيقى عاشته الجماعة المسيحية الأولى فى أورشليم، فلم يكن لأحد شئ خاص به، بل كان كل شئ للكنيسة ولذا فهذه الجماعة هى مثال لكل شركة رهبانية، والنساك المنعزلون عاشوا بدورهم حياة الفقر، وكان الفقر

---

1 - العهد الجديد- إنجيل متى (إصحاح ٨- عدد ٢٠).
2 - الرسالة لأهل كورونثوس: إصحاح ٦ عدد ١٠.

بالنسبة لهم وسيلة للتجرد الذى يقربهم إلى الله.[١]

وحالياً غالبية الرهبان كانت لهم وظائف كبيرة تركوها بكل إيرادها لكى يحيوا حياة الرهبنة. وبعض الرهبان كانوا من أسرات غنية ولهم ميراث تركوه أيضاً.

ونلاحظ أن الرهبان فى الدير لا يتقاضون مرتبات أو مصروف، إنما يكتفون بما يقدمه الدير لهم من الغذاء والكساء والاحتياجات الضرورية، ولا يوجد أحد منهم له رصيد فى أحد البنوك.

كما أنه إذا كان للراهب شئ يملكه، فإن هذا الشئ يُعتبر ملكاً للدير. والراهب لا يرثه أحد من أقاربه البيولوجيين لأنه لا يملك ما يورث، وقد اعترفت المحاكم بهذا الوضع. ونفس الوضع ينطبق على الآباء البطاركة والمطارنة والأساقفة لأنهم رهبان.

جـ: الطاعـــــة:

من أهم أركان الرهبنة فهى "الدرس الأول" التى يجب أن يتعلمها كل طالب رهبنة وإلا إختلت حياته كراهب وأثبت فشله وعدم صلاحيته لمثل هذا النوع من الحياة. وقد دعا إليها الكتاب المقدس بقوله "أطيعوا مرشديكم".[٢]

وبنذر الطاعة يلتزم الراهب أن يطيع رؤسائه ومرشده الروحى ويطيع الكل على قدر الإمكان داخل حدود الحياة الرهبانية والإرشاد المعطى له أى يكون سهل التعامل مع الناس غير معاند، متنازلاً عن إرادته الذاتية.[٣]

وأوضحت الدراسة الحقلية أن الراهب الجديد يقبل على حياة الرهبنة فيرى نفسه أمام حياة جديدة يحتاج فيها إلى خبرة الذين سبقوه، وفهموا طبيعة

---

1 – رهبنة دير مارى جرجس الحرف: أصول الحياة الروحية، من صـ ٣٤-٣٨.
2 – رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبى، العهد الجديد، إصحاح ٣ عدد ١.
3 – رهبنة دير مارى جرجس الحرف، صـ ٤٠-٤٤.

هذه الحياة وما يلزمها من منهج روحى، ومن طرق التعامل فى هذا المجتمع الرهبانى. ومن تدرج فى الحياة الرهبانية حتى يصل الراهب إلى مستويات الروحانية بهدوء بدون قفزات عالية تصيبه بالغرور، ودون تباطؤ يعلمه الكسل، كما أنه يحتاج إلى إرشاد من جهة حروب الشياطين وحيلهم التى يتعرض لها الراهب.

ولهذا كله هو فى حاجة إلى راهب قديم مختبر له معرفة ودراية بالطريق الرهبانى. وحياته نفسها قدوة عملية فى هذا السلوك يتعلم منه الاتضاع والوداعة والطاعة وحُسن التعامل مع الناس، كما يتعلم الصبر والاحتمال، ويتدرج معه فى الصلاة إلى أن يصل إلى الصلاة الدائمة، وإلى الصلاة بالروح، وبغير طياشة فكر، وبفهم وتأمل وحرارة وإيمان. ويعلمه أيضاً الصوم ويتدرج معه فى ساعات الانقطاع عن الطعام حتى تسير سهلة عليه، ومنهجاً يسير عليه فى حياته كلها، وبحيث يصوم دون أن يشتهى شيئاً، كما يعلمه الوحدة والسكون والهدوء والصمت، وسائر الفضائل الرهبانية.

ولا تكفى الكتب لتعلم الراهب لأنها ربما تُقدم معلومات نظرية دون أن تشرح الأسلوب العملى فى التطبيق، كما أن غالبية سير القديسين تشرح أخر ما وصلوا إليه من كمال عملهم الرهبانى دون أن تشرح التدرج الذى ساروا فيه إلى أن وصلوا لهذه الدرجة.

ويلزم للراهب الجديد أن يطيع هذا المرشد فى اتضاع شاعراً أنه يفهم أكثر منه وقد اختبر الحياة الرهبانية أكثر منه، مُدركاً أيضاً أن عدم الطاعة لا يوصله إلى إتقان الفضائل. كما أن عدم الطاعة لا يجعله يكسب رضا مُعلمه فى الرهبنة وراحة قلبه من جهته. كما أن عدم الطاعة غالباً ما يكون لوناً من اعتداد النفس واعتمادها وتمسكها برأيها الخاص.

والراهب يحتاج أن يتخلى عن هذا كله، وأن يسلم نفسه "عجينه" طيعة فى يد معلمه ليأخذ بركته وإرشاده ... ويسمى هذا المرشد فى الرهبنة بالأب الروحى. وسنوضح علاقة طالب الرهبنة والراهب بأبيه الروحى فى الفصل التالى.

على أن الطاعة فى الرهبنة ليست قاصرة على الأب الروحى فقط، وإنما تشمل آخرين أيضاً، فالراهب مطالب بأن يطيع رئيس الدير، وأن يطيع أمين الدير وأن يطيع المشرفين عليه فى عمله بالدير. وعلى الأب الروحى أن يعلمه كيف يطيع هؤلاء جميعاً.

كما أن الراهب فى حياته مع الناس يسلك بقدر إمكانه فى حياة الطاعة، فى حدود روحياته، ومنهجه الرهبانى والإرشاد المقدم إليه. ويكون بالتعبير العامى "إنسان مهاود"، بمعنى أنه لا يكون كثير الجدل والمناقشة فى كل أمر، ولا يكون معانداً فى معاملاته أو صلب الرأى، وإنما يكون آنسانا وديعاً سهلاً. طالما أن ما يصل إليه من أمر أو طلب لا يخالف وصية الله، ولا يخالف المبادئ الرهبانية ولا يخالف إرشاد أبيه الروحى.

ويدخل فى حدود هذه الطاعة أيضاً احترامه لشيوخ الدير، ولمن هم أكبر منه رهبانية وتنفيذ ما يطلبه منه فى الحدود السابقة.

وتاريخ الرهبنة يوضح لنا أن طاعة التلميذ إلى معلمه وأبيه الروحى كانت تتسم بالغرابة والطابع غير الاعتيادى، فمهما كان الأمر غريباً فى عينيه فعلى الراهب أن يطيع، والآباء يسمون الطاعة "جحد المشيئة الخاصة" والتخلى عنها ليحل محلها مشيئة الأب الروحى الذى يثقون أنه يرشدهم بما يريده الله فى حياتهم.

وإن كانت مثل هذه الأمور الغريبة لم تعد تحدث فى هذه الأيام، ولكن الطاعة ضرورية وواجبة على الراهب داخل الدير. وأيضاً الذي يعيش حياة

الوحدة يجب أن يطيع أباه الروحى أو أى أمر يصدر إليه من قداسة البابا.

وقد تكلم الشيخ صفى أبى حامد الغزالى عن ترك الإرادة ويرى أن ترك الإرادة بالقلب لأجل الله وعظيم ثوابه هى من أصعب الأمور، وهى صعبة جداً إذ كم تارك لها بظاهرة محب مُريد لها بباطنه فهو فى مكافحة ومقاساة شديدة من نفسه "تلك الدار الآخرة تجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً".(١)

ويقول يوحنا الدرجى فى كتابه المشهور "سُلم الفضائل" فى باب الطاعة أن الطاعة أو قهر المشيئة هى نوع من الاستشهاد.

والطاعة فى بداية طريقها قد تكون قهراً للمشيئة الخاصة ولذا فهى من الأمور الصعبة جداً كما يقول الغزالى، أو من الاستشهاد كما يقول الدرجى، ولكن الإنسان إذا كانت له كل الثقة فى الشخص الذى يطيعه. وإن كان مؤمناً أن ما يسمعه من إرشاد هو لخيره. حينئذ لا تكون الطاعة صعبة عليه بل يجد لذة لأنه يشعر أنها توصله إلى الحياة الروحية التى يشتهيها. والطاعة تحتاج إلى تواضع يشعر فيه الراهب أنه جديد على الطريق لا يفهم دروبه ومسالكه. وأن ما يفهمه المرشد أفضل من فهمه الخاص مهما كان بسيطاً، ولا تنسى عبارة القديس أرسانيوس معلم أولاد الملوك فى بدء رهبنته "أننى تعلمت اليونانية واللاتينية أما الألفا – بيتا التى يتقنها هذا المصرى الأمى ما أدركت منها شئ بعد. أى أنه لم يدرك مبادئ الحياة الرهبانية ومسالكها الروحية، كما يشرحها له ذلك الأب الراهب الأمى" الذى كان هو الأب أشعياء الأب الروحى للإسقيط".

فى الجيل السابق كما يروى رهبان الأديرة الحالية، كانت هناك طرق تبدو غريبة لتدريب الرهبان على الطاعة بأن تصدر إليهم بعض أوامر إما غير عادية أو غير مفهومة لاختبار طاعتهم مع توبيخات بألفاظ قاسية لاختبار

---

1 – الشيخ أبى حامد الغزالى، منهاج العابدين، مرجع سابق، صــ ٢٠.

احتمالهم ومن أمثلة ذلك أن يأمر الأب أحد الرهبان بأن يكنس الدير كلـــه، فــإذا تعب فى كنسه يأمره أن يرشه بالماء، وبذلك يختبر مدى طاعته واحتمالـــه. أو أن يلقى فى طريقه "بخبزة" فإن أهملها يوبخه لأنها نعمة الله وأن نقلهـــا مـــن موضعها فى الطريق يوبخه لأنه تدخل فيما لا يعنيه والقصد مـــن كـــل ذلـــك أن يختبر هذا الراهب هل يغضب، هل يثور، هل يشكو من سوء المعاملـــة، أم أنـــه يقبل ذلك فى صمت وفى هدوء ويتدرب على الفضيلة.

أما الآن فإن اختبار الطاعة فى الأديرة لا يأتى بطرق مقصـــودة، إنمـــا يظهر فيما يعهد إلى الراهب من مسئوليات أو أوامر طبيعية. وتظهر الطاعة فى عمل ما يطلب منهم، وفى القيام به بسرعة دون إبطاء ودون نسيان، وفى عـــدم المناقشة والمجادلة فيما يصدر إليه من أوامر، وفى معرفة ما إذا كان الراهـــب يسلك بحسب استحسانه الخاص أم بحسب ما يقال له. والرهبنـــة لا توافـــق أن يسلك الراهب حسب هواه، بل حسب إرشاد.

وينقسم الرهبان فى هذا الأمر "الطاعة": ينقسم الرهبان فى اختبـــار الطاعة إلى أنواع نوع يستشير فى كل أمر ويطيع. ونوع يستشير ويطيع جزئياً، أى ينفذ ما يقدر عليه أو ما يوافق عليه فقط. ونوع لا يستشير إطلاقاً ويسلك حسب استحسانه الخاص، ونوع يفكر أولاً قبل أن يستشير، ثم يطلب المشـــورة فى الأمور التى يثق مسبقاً فى الموافقة عليها، وكـــل هـــذه الأنـــواع يـــدركها ويكتشفها الأب الروحى وخصوصاً فى مجتمع محدود تظهر فيـــه أعمـــال كـــل أعضائه.

والأب الروحى يتولى كل هؤلاء بالتعليم والتدريب حتى يتقنوا الطاعـــة ويشعروا بفائدتها، ويقطعوا مشيئتهم الخاصة لكى ينفذوا ما يصدر إلـــيهم مـــن إرشادات، ويعرضوا كل فكر يعرض لهم حتى الذين كانت لهم وظائف فى العـــالم يدبرون فيها غيرهم، ويقومون بمسئوليات تحتاج إلى عمق تفكير، وسرعة فـــى

البت وحكمة فى التصرف، وكانوا يرأسون عدد كبير من المرؤوسين.

والطاعة فى الرهبنة فضيلة ينمو فيها الراهب. ربما لا يبدأ بصورتها المثالية وتكون له فيها نقائص، ولكن المهم أن ينمو فيها. والطاعة عموماً تحتاج إلى تواضع قلب، وإلى إنسان يثق بمرشده، أكثر مما يثق بنفسه.

ولهذا فإن المرشد يدُرب أولاده الروحيين على الطاعة والتواضع لأنهما فضيلتان متلازمتان.

كذلك من التدريبات التى تبدو صعبة فى الطاعة أن يتدرب الراهب على طاعة من هو أصغر منه سناً أو رهبنة إن كان ذلك فى نطاق مسئولية هذا الصغير.

فقد يدخل المائدة والمسئول عن المائدة راهب صغير. أو إلى حديقة الدير والمسئول عنها راهب مبتدئ. ولكن لا بد أن يحفظ له نظامه فى مسئوليته، أو قد يحمل إليه راهب مبتدئ أمراً من رئيس الدير أو أمين الدير وعليه أن يطيعه ولا يقابل تكليفه بكبرياء. أو قد يكون من يأمره أصغر منه كثيراً فى السن، أو أقل منه كثيراً فى المعرفة ولكنه أقدم منه فى الرهبنة.

ثانياً: انتقال الرهبنة المصرية إلى بلاد العالم

يذكر أحمد أبو زيد فى كتابه "المفهومات" أنه قد استرعى أذهان بعض العلماء قدرة الثقافة على الانتشار من مجتمع لآخر وانتقالها عبر الحدود السياسية. وهذا يرجع بالتالى إلى ما يوجد من تشابه فى السمات الثقافية لدى كثير من المجتمعات المتباعدة فى المكان والتى تؤلف وحدات سياسية وسلالية ولغوية متمايزة.

واختلف العلماء حول تفسير تشابه السمات الثقافية فهناك رأيين:

- الأول يرد تشابه السمات الثقافية فى مختلف المجتمعات إلى تشابه

الظروف الطبيعية السائدة فى تلك المجتمعات. على أساس وحدة التفكير الإنسانى فى كل زمان ومكان نتيجة لتشابه التكوين العقلى، وهذا ما يعرف باسم "مدرسة النشأة المستقلة" ومن علمائها أدولف باستيان الذى يرى أنه إذا توافرت ظروف طبيعية وجغرافية معينة لظهرت أنواع معينة بالذات من الاختراعات والابتكارات.(١)

- الثانى يرد التشابه الثقافى إلى انتشار السمات الثقافية من مجتمع لآخر نتيجة لاتصال هذه المجتمعات بعضها ببعض عن طريق الحروب والغزوات. أو عن طريق الهجرة أو التجارة. ويُعرف هذا الاتجاه باسم "مدرسة انتشار الثقافة" **Diffusion of Culture** وقد ظهرت تلك المدرسة فى كل من ألمانيا وبريطانيا كرد على آراء مدرسة النشأة المستقلة، ويعتبر اليوت سميث، وبيرى ريفرز من أكبر أنصارها فى بريطانيا. وقد يتخذ الانتشار الثقافى شكل الهجرة الشاملة، بمعنى أن ينتقل المركب الثقافى بكل ملامحه وسماته وعناصره من مجتمع لآخر. وقد تكون الهجرة جزئية فقط أى تنتقل بعض العناصر منه فقط.(٢)

ويذكر عاطف وصفى أن المدرسة الانتشارية توجد فى كل من الأنثروبولوجيا الثقافية والأنثروبولوجيا الاجتماعية ولكنها تتخذ فى كل منهما صورة خاصة. فتطبيق الاتجاه الانتشارى فى الأنثروبولوجيا الثقافية يتعلق بالعناصر الثقافية التكنولوجية، الاجتماعية والفكرية.

أما تطبيقه فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية فقاصر على العلاقات والنظم فى المجتمع وهذه المدرسة تفترض أن النظم الاجتماعية والعادات، انتشرت من مجتمعات معينة هى المنبع الأصلى الذى ظهرت فيه تلك النظم لأول مرة. ولا

---

1 - أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى: المفهومات، جـ٢، طبعة خامسة، مطبعة الكرنك، ١٩٧٦، صـ ٢٠٩-٢١١.

2 - المرجع السابق.

شك أن النظم تتغير خصائصها أثناء عملية الاستعارة والاندماج فى المجتمعات الأخرى، وبالتالى تتغير خصائص تلك النظم من مجتمع لآخر.(١)

أى أن النظم الاجتماعية تُستعار وتنتقل من مكان لآخر، فتشابه النظم والعادات فى المجتمعات المختلفة لا ينشأ عن النمو التلقائى الناتج عن تشابه الإمكانيات الاجتماعية والطبيعية الإنسانية كما تقول مدرسة النشأة المستقلة.(٢)

أيضاً روجيه باستيد يقول أن فان جنب يرى أن الأساطير تنفصل عن بيئتها الاجتماعية لكى ترتحل إلى بيئات اجتماعية أخرى، ولكى تحيا فى هذه البيئات الأخيرة حياة مستقلة. فالجنود وقوافل التجار والرقيق والمبشرون والرواد ينقلون فى ركابهم قصص بلادهم الأصلية فتتقبلها شعوب بعيدة كل البعد وتطبعها بطابعها الخاص. مثال ذلك الأساطير الهندية تسربت إلى أرخبيل "الملايو" وإلى الصين واليابان.

وهذا الانتقال من تربة إلى أخرى يعتبر مظهراً واضحاً بسبب امتزاج الشعوب والحروب الكبيرة وانهيار الإمبراطوريات.(٣)

وتطبيقاً لهذه الآراء يمكن تفسير ظاهرة الرهبنة المسيحية التى تنتشر فى معظم أرجاء العالم المسيحى باستثناء البروتستانت. بتطبيق التفسير الذى تميل إليه مدرسة التاريخ الثقافى التى تُرجع أوجه التشابه إلى انتقال إحدى الظواهر من شعب إلى شعب آخر بطريق مباشر أو غير مباشر. ساعدها فى ذلك ما يتصف به العقل الإنسانى من اتحاد فى الطبيعة البشرية وتشابه فى التفكير الإنسانى.

---

1 - عاطف وصفى: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، صـ ٧٣.

2 - المرجع السابق.

3 - روجيه باستيد: مبادئ علم الاجتماع الدينى، ترجمة محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، أبريل ١٩٥١، صـ ٨٧، ٨٨.

فانتشار الرهبنة يرجع إلى انتقال العادات النسكية والنظم الرهبانية من مصر المنبع الأصلى الذى ظهرت فيه تلك الظاهرة النسكية المسيحية لأول مرة فى تاريخها. وقد انتقلت عن طريق رهبانها أو سير-قديسيها، كسيرة القديس أنطونيوس وكذلك عن طريق الدارسين والباحثين الأجانب والزوار الذين تتلمذوا على أيدى الرهبان المصريين ثم نشروا الرهبنة فى بلادهم.

وإن وجد اختلاف بين سمات الرهبنة القبطية والرهبنة الغربية الآن، فهذا يرجع إلى تغيير بعض السمات والخصائص أثناء عملية الاستعارة والاندماج فى المجتمعات الأخرى مما أدى إلى اختلافها عن الشكل الأساسى للرهبنة القبطية. وهذا يرجع إلى عدة عوامل منها: ظروف تلك المجتمعات التى انتقلت إليها، طبائعها وعاداتها وثقافتها، فضلاً عن التطور والمدنية التى اتسمت بها المجتمعات الأوربية. لذا فقد طبعتها البلاد الغربية بطابعها الخاص وطورت فى نظمها بما يتمشى مع ظروف الحياة التى ارتحلت إليها، وبالتالى أدى ذلك إلى إتباع أساليب ووسائل مختلفة فى الرهبنة، فأصبحت تتميز بسمات وصور مختلفة شتى عن الصورة الأصلية التى استقت منها تعاليمها، وهى الرهبنة القبطية فى الوقت الذى حافظت فيه مصر على طابعها الخاص بقدر الإمكان. على الرغم من مرور أجيال وعصور، وعلى الرغم من الظروف التى واجهتها.

وإن كان هذا لا يعنى أن الرهبنة الغربية منتقدة، أو أنها انحرفت عن المنبع الأصلى الذى استقت منه الظاهرة، وإن كان هناك اختلافات فهو اختلاف فى الصورة والشكل، أو اختلاف فى الأساليب أو الوسائل ولكن جوهر الرهبنة والهدف الأساسى منها واحد. وأيضاً يمكن القول أن الرهبنة مدارس متنوعة تتبع كل منها الأسلوب والمنهج الذى تراه يحقق هدفها.

لذا نجد أن الرهبنة الغربية أصبحت رهبنة عاملة فى كثير من المجالات والميادين مثل المستشفيات والملاجئ والمدارس وخدمة القرى، وخدمة الكنائس بينما ظلت الرهبنة القبطية قاصرة على الأديرة وإن امتدت بعض الشئ إلى خدمة الكنائس فى مصر وبلاد المهجر ولكل منهم مبرراتها فى المنهج الذى تنتهجه.

وقد كان ينظر إلى مصر فى القرنين الرابع والخامس كبلاد للتقوى والورع بسبب انتشار الرهبنة بكل صورها، وكان لذلك أثره على العالم الخارجى فى الشرق والغرب. وعن ذلك تقول ايريس المصرى فى كتابها "قصة الكنيسة المصرية" من مصر انبعثت الرهبنة ففى رحاب صحرائها نشأ واضعو أسس الرهبنة المسيحية فقد وفد إليها جميع طلاب الحياة النسكية فى القرون الأولى. ثم امتدت من مصر إلى آسيا وأوروبا[١] وهذا ما نقلته عن كتاب فيندر بيترى حيث يقول: "كانت مصر هى القناة أو الوسيلة التى قدمت بها الرهبنة إلى النسق المسيحى".

وقد انتقلت الرهبنة بعدة طرق:

- الزوار الأجانب الذين سمعوا عن الحياة الرهبانية فى مصر، وأتوا ليروا بأنفسهم ما سمعوا عنه وأيضاً للتبرك ولسماع كلمة منفعة من قديسى مصر.
- الرهبان الذين تتلمذوا على يد الرهبان المصريين وعادوا لبلادهم.
- الكتب التى ترجمت عن سير القديسين المصريين.
- عن طريق الرهبان المصريين.[٢]

---

1 - ايريس حبيب المصرى: قصة الكنيسة القبطية، جـ١، مطبعة الكرنك بالإسكندرية، ١٩٦٩، صـ ١٣.

2 - المرجع السابق.

ويذكر هنرى شادويك Henry Chadwick فـى كتابـه "الكنيسـة الأولى" أن بعض الأفراد اعتادوا زيارة آباء البرية فى مصر فى منتصف القرن الرابع بصفة مستمرة ليسألوهم السؤال التقليدى "قل يا أبى كلمة لكى أحيا" أى كلمة منفعة، ثم يجمع هؤلاء الأفراد الإجابات ويسجلونها، وخرجت هذه الكتابات فى شكل كتب عن الرهبنة القبطية، ذكروا فيها قصص الآبـاء الرهبـان الأول، وبعض أقوالهم النسكية ونشروها فى بلادهم.(١)

ويقول القمص تادرس يعقوب أن هذه الأقوال ظهرت فى عـدة كتابات منها:(٢)

التاريخ اللوسيوسى الذى كتبه بلاديـوس(*) "لأحـد النـبلاء المـدعو لوسيوسى Lousius وقد عرف هذا الكتاب باسم فـردوس الآبـاء أو بسـتان الرهبان The Paradise of the Fathers.

- تاريخ رهبان مصر، غير معروف مؤلفه، حُفظ باليونانية واللاتينية وقام بترجمته روفينوس.
- ما ورد من سير الآباء الرهبان فى كتب التاريخ الكنسـى لسـقراطيس وسوزومين وغيرهما من كُتاب القرن الرابـع. ومـا ورد فـى كتـاب مشاهير الآباء للقديس جيروم.
- المناظرات أو المؤتمرات Conferences للقـديس يوحنـا كاسـيان

---

1 - Henery Chadwick; The Early Church; Cox & Wyman Ltd.' 1969. P. 178.

2 - القمص تادرس يعقوب: أقوال الآباء وكتاباتهم، الباترولوجى، جـــ١ إسـكندرية مطبعة الكرنك، ١٩٧٤، صـ ٦٦، ٦٧.

* - بلاديوس هو أحد الرحالة الأجانب الذين زارو مصر فى القرن الرابع وقد رسم فيما بعد أسقفاً على أسيا الصغرى، وقد أطلق الفردوس على كتاب وضعه يشمل مجموعـة سير وكتابات للرهبان، نشر فى مجموعة كتابات "المسيحيين القدامى" باسم التـاريخ اللوسيوسى أو كما تسميه بعض الكتابات اللوسيانى والأخرى اللوزياكى.

.John Cassian

- المعاهد Institutes.
- أقوال الآباء المأثورة Apopthegmata Patrum (*) وقد جمع فى القرن الخامس غالباً ويسجل مجموعة أقوال شفوية لمشاهير الآباء والنساك وصورة لفضائلهم.

ب- جاء كثيرون للتلمذة على أيدى الرهبان المصريين كما يقول عزيز سوريال عطية "جاء آباء الكنيسة من مناطق عديدة فى العالم إلى هذه البيوت الدينية (الأديرة) للتلمذة فى فن الرهبنة،[1] من هؤلاء يوحنا كاسيان مؤسس الرهبنة فى مرسيليا[2] والقديس هيلاريون تلميذ الأنبا أنطونيوس ومؤسس الرهبنة فى سوريا، والقديس أوجين مؤسس الرهبنة فى العراق فقد عاد ومعه رهبان من الأقباط وأنشأوا الأديرة فى فلسطين".[3]

كما أكد عزيز سوريال عطية "أنه وجد داخل الأديرة بجانب العدد الضخم من الأقباط الذين يعيشون فى نظام الشركة رهبان من دول مختلفة: يونان، كبادروك، ليبيون، سوريان، من بلاد النوبة، أثيوبيين ومن بلاد أخرى".

---

1 - Atiya. A. S.; History of Eastern Christianity; U. of Notredams. Press, Indiana, 1967. P. 65.

2 - Cross, F. L.; The Oxford Dictionary of the Chrstian Church; Oxford, 1974. P. 246.

3 - مراد كامل: القبط فى ركب الحضارة العالمية، رسالة مار مينا الخامسة، مطبعة النهضة بالإسكندرية، ١٩٥٤، صـ ١٥.

*- أقوال الآباء "أبوفثجماتا باتريم" "أبو فثجماتا" كلمة يونانية معناها "قول مأثور" وكلمة "باتريم" لاتينية يقصد بها نسبتها إلى الآباء. ويرجع تاريخ هذه الأقوال إلى الأصول الأولى للرهبنة المسيحية التوحدية فى برارى مصر. وقد بدأت هذه الأقوال تحمل طابعاً خاصاً يميزها عن بقية المؤلفات الآبائية الأولى. كما يقول القمص متى المسكين فى كتابه "الرهبنة القبطية"، فهى ليست ذات هدف تاريخى أو مجرد سرد لسير القديسين أو تسجيل المواعظ، وإنما بدأت فى شكل كلمات للمنفعة نطق بها شيوخ مختبرون لتوجيه أولادهم الخاضعين لإرشادهم.

وبلا شك كان لهؤلاء الرهبان الأجانب أثرهم على بلادهم، كما سنذكر عند انتقال الرهبنة القبطية إلى بعض بلاد العالم.

وإلى عهد قريب كان يوجد عدد من الرهبان الأحباش فى أديرة وادى النطرون. وكانوا هم يمثلون العنصر غير المصرى فى الأديرة ومن هؤلاء الراهب عبد المسيح الحبشى المنعزل بجوار دير البراموس، الراهب عبد مريم الحبشى، والراهب ميخائيل الحبشى بدير السريان.

ولا يوجد عناصر أخرى غير مصرية ترهبنت فى أديرة وادى النطرون إلا الراهب نعوم السريانى الذى صار فيما بعد أسقفاً باسم الأنبا إيسيذوروس وتوفى منذ أكثر من أربعين سنة.

وحالياً لا يوجد راهب واحد غير مصرى من أى جنس فى أديرة وادى النطرون، ولكن يوجد راهبان أثيوبيان التحقا بدير العذراء بالمحرق. كما حضر راهب أثيوبى آخر إلى دير البراموس وتركه راغباً فى الرهبنة بالدير المحرق بالصعيد. ودير المحرق له أهمية كبيرة عند الأثيوبيين ويسمون منطقته باسم جبل (قسقام) وهذا الاسم معروف حالياً فى المنطقة. وقد أخذوا شيئاً من ترابه ووضعوه فى أديرتهم تبركاً. ولعل السبب فى هذا هو ما يعرف عن دير المحرق من أن العائلة المقدسة قد زارته. ولا يوجد فى تاريخنا الحديث إلا مثالاً آخر هو الأسقفين الفرنسيين اللذين انضما إلى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية سنة ١٩٧٤، وعادوا لرعاية شعبها فى فرنسا، قد ترهبا أيضاً فى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون عند انضمامهما إلى الكنيسة القبطية وهما الأنبا مرقس أسقف الكنيسة فى مرسيليا وطولون، ومساعده الخورى أبسكوبس الأنبا أثناسيوس، ونذكر أيضاً أن راهبين هنديين أرثوذكسيين أتيا إلى مصر وقضيا سنة فى دير الأنبا بيشوى، لدراسة الحياة الرهبانية المصرية وممارستها وكان ذلك فى سنة ١٩٧٩.

وكان الرهبان الأثيوبيين يتعلمون اللغة العربية ويتخاطبون بها فى الأديرة ولكنهم يحتفظون بكتبهم الخاصة بالصلاة فى قلاليهم باللغة الأمهرية ولغة الجيز.

أما الراهبان الفرنسيان فكانا لا يتكلمان فى الدير إلا باللغة الفرنسية أو الإنجليزية مع من يفهمهما من الرهبان. وقد قاما بترجمة الطقوس القبطية وكتب صلواتها إلى اللغة الفرنسية لاستخدامها فى فرنسا . وفى صلوات الكنيسة كانا يصليان بالفرنسية.

أما الراهبان الهنديان فكانا يتكلمان الإنجليزية ولكن بلهجة سريعة لا يفهمها إلا القليل.

جـ- جاء أفواج من المسيحيين للزيارة من الشرق والغرب لنوال البركة، ولم يقتصر ذلك على الرجال فقط، بل أن كثيراً من النساء أتوا لهذا الغرض نذكر منهم إحدى شريفات روما. التى جاءت لزيارة القديس أرسانيوس، كما وفدت إلى مصر القديسة باولا الرومانية التى أبحرت إلى قبرص ومنها إلى إنطاكية حيث لحق بها جيروم وسافرا سوياً إلى أورشليم حيث واصلت حياة النسك والطهارة وأسست ديراً رأسته، ثم بعد وفاتها رأست الدير يوستسوخيوم ابنتها.[١]

ويقول القمص صموئيل تاوضروس السريانى أن المرأة الأولى التى غامرت بالمخاطر وأتعاب الطريق هى القديسة ميلانيا الأسبانية الأصل، التى تركت روما وأقلعت مع روفينوس إلى الإسكندرية سنة ٣٧٣م. ومنها إلى نيتريا وقابلت كثيرين وفى مقدمتهم القديس بموا، وأقامت ستة شهور فى البرية ولكن قبض عليها البطريرك الأريوسى عندما أغار على وادى النطرون ونفاها خارج

1 - Benedicta Ward; Saving of the Desert Fathers; Michigan, 1975.

البلاد فذهبت إلى أورشليم وأنشأت بها ديراً ضم أربعين عذراء.[1] وهذا ما أكده منسى القمص فى كتابه "تاريخ الكنيسة القبطية" من أنها مكثت بأحد أديرة مصر حتى قبض عليها الأريوسيون ونفوها وفى أواخر القرن الخامس اشتد إعجاب القديسة إيلاريا ابنة الملك زينون (٤٧٤- ٤٩١م) بحياة الرهبان فتزيت بزى الرجال وجاءت إلى شيهيت قادمة من القسطنطينية وترهبت فى دير القديس مقاريوس باسم الراهب إيلارى.[2]

وهناك مثال آخر وهى القديسة أنسطاسية التى خطبها الإمبراطور يوستنيان فرفضت أن تقترن به أو بغيره، وهربت إلى الإسكندرية ومنها إلى شيهيت فى زى أمير بيزنطى، والتقت بالأنبا دانيال قمص البرية وأطلعته على أمرها فكتم سرها ووضعها فى مغارة تحت تدبيره، وكلف أحد الرهبان أن يحمل إليها جرة ماء ويتركها عند باب قلايتها وينصرف، ولم يعرف أحد من أمرها شيئاً إلا عند تكفينها. وهذا ما ذكره القمص صموئيل تاوضروس السريانى نقلاً عن كتابات بلاديوس وروفينوس.[3]

١ – انتقالها إلى بلاد الشرق

أ- فلسطين:

انتقلت الرهبنة من مصر على يد القديس هيلاريون من أبناء غزة ولد سنة ٢٩١م وتخرج من مدرسة الإسكندرية وكان تلميذاً للقديس أنطونيوس

---

1 - القمص صموئيل تاوضروس السريانى: الأديرة المصرية العامة، الطبعة التجارية الحديثة، طبعة أولى، ١٩٦٨، من صـ ٨٠-٨٢.

2 - الشماس منسى القمص: تاريخ الكنيسة القبطية- طبعة أولى، مطبعة اليقظة بالفجالة، ١٩٢٤، صـ ٢٢٦.

3 - القمص صموئيل تاوضروس السريانى: الأديرة المصرية العامرة، مرجع سابق.

الذى أسماه "نجمة الصبح" لأنه أول من جاء من الغرباء ليتتلمذ على يديه.[1]

ويذكر يوسف إلياس الدبس فى كتابه "من تاريخ سورية الدنيوى والدينى" أنه تتلمذ لمدة ثلاثة شهور ثم عاد إلى بلاده سنة ٣١٧م واتخذ له ديراً بقرب من غزة وتقاطر إليه الناس من فلسطين،[2] وبلغ عدد الرهبان نحو ثلاثة آلاف راهب وكانت وفاته سنة ٣٧١م[3].

ب- العـــــــراق:

أما العراق فقد انتقلت إليها الرهبنة بواسطة (مار أوجين) وهو راهب سريانى تتلمذ فى الأديرة المصرية بالصعيد ثم رحل ومعه سبعون راهباً قبطياً من أولاد أنطونيوس وأقاموا فى برارى بلاد ما بين النهرين. وبنوا أديرة الموصل وبشروا فى كافة النواحى.[4]

جـ- سوريـــــا:

نجد إفرام السريانى قد استقى رهبنته الأولى فى أسقيط مصر (وادى النطرون) وعاش مدة مع القديس بيشوى أحد أولاد القديس أنبا بموا ثم عاد إلى بلاده وكان أشهر رهبان السريان.[5]

وكما يقول القمص متى المسكين أن رهبنة جبل أثوس فى اليونان بجملتها هى نقل حرفى لنظام وقوانين القديس باسيليوس الذى عاش لمدة

---

1 - يسطس الدويرى: موجز تاريخ المسيحية، مطبعة ملجأ الأيتام الخيرى، القاهرة، ١٩٤٩، صـ ٢٢٨.

2 - يوسف إلياس الدبس: من تاريخ سورية الدنيوى والدينى، المجلد الرابع، ١٨٩٩، صـ ٢٢٦- مكتبة دير السريان رقم ٢٢٢٨ح/ تاريخ عام.

3 - Cross, F. L., The Oxford Dictionary of the Christian Church; Oxford; 1974. P. 648.

4 - المرجع السابق + مراد كامل: حضارة مصر فى العصر القبطى، القاهرة صـ ٢١٩، غير مبين السنة + القمص متى المسكين، مقال أثر الرهبنة القبطية فى بلاد العالم صـ ١١ تحت الطبع.

5 - القمص متى المسكين، الرهبنة القبطية فى عصر القديس أنبا مقار، صـ ٢٣١.

سنوات فى القرن الرابع فى صعيد مصر، وتتلمذ على يدى القديس باخوميوس نفسه وتلاميذه العديدين[1] ويتفق معه فى هذا ما ذكره أيضاً مراد كامل.

ويذكر أيضاً مراد كامل فى كتابه "حضارة مصر فى العصر القبطى" أن بلاديوس زار مصر للمرة الأولى فى أواخر القرن الرابع حيث عاش مع رهبان شيهيت لدراسة الحياة النسكية ثم عاد إلى بيت لحم ثم إلى أورشليم ورسم أسقفاً لهليوبوليس سنة ٤٠٠م.

ولما رجع من زيارته الثانية لمصر حوالى سنة ٤٢٠م كتب تاريخاً عما رآه وسمعه عن رهبان الأسقيط كما سبق أن ذكرنا باسم "بستان الرهبان" وكان هذا الكتاب سبباً فى انتشار الرهبنة فى جهات كثيرة من العالم. [2]

وقد جاء إلى مصر أيضاً القديس يوحنا الدرجى رئيس دير طور سينا وعاش بين الرهبان الأقباط فى دير الباخوميين شمال شرق الإسكندرية المدعو "دير كانوب" وهو دير الماطونيا أو الميطانيات، أى دير التوبة للطبانسيين، وهو الدير الذى أقام فيه القديس أرسانيوس، وقد أثنى الدرجى على نظام هذا الدير ورهبانه ونقل طريقة حياتهم ومعيشتهم إلى دير طور سينا.

ويقال أن القديس يوحنا القصير بنى ديره على بعد ١٥ كيلو جنوب غرب دير أنبا مقار وقد تجمع فى هذه البقعة مختلف الجنسيات وعاشوا كل فى ديره ملاصقاً للآخر فى وحدة روحانية وألفه.

ولا شك أن وجود رهبان من أقطار متباعدة بهذه الكثافة كان له الأثر فى نقل كل التراث القبطى سواء كان رهبانياً روحياً أو طقسياً إلى كافة هذه الأقطار.

---

1 - القمص متى المسكين، المقال السابق، صـ ١٢.
2 - مراد كامل، حضارة مصر فى العصر القبطى، صـ ٢١٩-٢٢٣.

د- الحبشة:

دخلت المسيحية إلى الحبشة على يد فرومنتينوس وهو مصرى كان يتاجر فى صور، ولفظ فرومنتينوس لفظ قبطى معناه "رجل الله" وعند عودته إلى مصر رسمه البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية أسقفاً على عاصمة الحبشة سنة ٣٢٩م، وعلى يديه اعتنق المسيحية ملك الحبشة أولاً ثم تبعه رجال البلاط فالشعب.[١]

ويذكر مراد كامل فى كتابه "صفحة من تاريخ القبط" أن مصر أرسلت بعد رسامة أول أسقف على الحبشة رهباناً فى أواخر القرن الخامس عشر لنشر المسيحية عُرف منهم تسعة اشتهروا بالقديسين التسعة. وهذا ما يؤكده أيضاً فى كتابه "حضارة مصر فى العصر القبطى".[٢]

ويتفق معه الأب متى المسكين فى مقاله "أثر الرهبنة القبطية فى بلاد العالم" ويقول القس يعقوب بطرس فى كتابه "الرهبنة بين الشرق والغرب" أن هؤلاء التسعة هم تلاميذ الأنبا باخوم.[٣]

نخلص من ذلك أن الكتابات أجمعت على أن الذى نشر المسيحية والرهبنة فى الحبشة هم "القديسون التسعة المصريين".

٢- انتقال الرهبنة القبطية إلى القارات الأخرى

يذكر الأنبا يوأنس أنه بواسطة الزائرين والرحالة والرهبان والكتابات المختلفة عبر السنين تكون جسر ضخم نقل إلى أوربا أنظمة الرهبانية والديرية

---

1 - مراد كامل، حضارة مصر فى العصر القبطى.
2 - مراد كامل، حضارة مصر فى العصر القبطى، صـ ٢٢١.
+ مراد كامل، صفحة من تاريخ القبط.
3 - القس يعقوب بطرس، الرهبنة بين الشرق والغرب، المطبعة الفاروقية، أسيوط، أغسطس ١٩٥٣، صـ٢٠-٢٣.

المصرية وما لبثت أن ظهرت آثارها على يد الراهب بندكت في القرن السادس.[1]

أ- إيطاليا وفرنسا وجنوب ألمانيا:

انتقلت تعاليم رهبان مصر إلى إيطاليا وألمانيا عن طريق القديس أثناسيوس الرسولي، ومن خلال كتابه "حياة أنطونيوس" الذى جاء رداً على رسائل أساقفة الغرب يسألونه عن رهبنة مصر وقديسها الأول أنطونيوس.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد حمل أثناسيوس معه إلى أوربا الغربية التعاليم الرهبانية في رحلتين، وهكذا انتشرت الرهبنة القبطية ووصلت إلى روما وفرنسا وحتى إلى حدود ألمانيا (تريف) المنفى، الذى عاش فيه القديس أثناسيوس مرتين ولمدة طويلة، حيث ذهب ومعه راهبان مصريان نقلا معهما كل تراث وتعاليم النظام الرهباني الذى كان قد ملأ برارى نيتريا (جنوب الإسكندرية) وكل منطقة القلالي (جنوب بحيرة مريوط)، وكل أسقيط مقاريوس (وادى النطرون).

وقد تم بناء الأديرة الأولى هناك طبقاً لنظام الوحدة في مصر.

وقد أتى كاسيان أوكاسيانوس (الراهب الفرنسى) ٣٦٠-٤٣٥م وتتلمذ على أعاظم رهبان مصر في برية تانيس جنوب بحيرة المنزلة، ونيتريا جنوب الإسكندرية، ثم الأسقيط في برية بحيرات وادى النطرون ثم عاد إلى بلاده فرنسا حيث أنشأ ديرين في مرسيليا (جنوب فرنسا) على نفس طقس رهبان برية شيهيت، وبعد ذلك كتب تراجم الآباء المصريين وتعاليمهم والقوانين، التى وضعوها تلك التى استقاها منه القديس مارتينوس في فرنسا وأسس ديره الكبير، في تو تبعاً لطقس النظام الرهباني الذى ذكر بها، ثم جاء تلميذ

---

1 - الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، غير مبين السنة أو الناشر صـ٧١.

مارتينوس المدعو مكسيموس وأسس ديره علـــى النظـــام الكاســـيانى القبطـــى بالقرب من ليون.

وعلى أساس كتابات كاسيان تأسست الرهبنة البندكيتية بواسطة القديس بندكت "أب رهبان الغرب" الذى عاش فى مونت كاسيو، وأسس ١٢ ديراً على نظام رهبان الأقباط طبقاً لكتابات يوحنا كاسيان التى استقاها من رهبـــان مصـــر ومن قوانين القديس باسيليوس التى نقلها هو الآخر عن النظام القبطى.(١)

جاء أيضاً من إيطاليا جيروم وعاش لمدة طويلة مع رهبان برية نيتريا وشيهيت وقابل القديس مقاريوس الكبير، ثم رحل إلى أورشليم حيث ألف كتابـــه عن تاريخ الرهبان. كما ترجم قوانين وتعاليم باخوميوس إلـــى اللاتينيـــة ســـنة ٤٠٤م ونشرها بين الرهبان الإيطاليين.

وفد روفينوس من شمال إيطاليا سنة ٣٧١م وأقام مـــدة بـــين رهبـــان نيتريا والقلالى وشيهيت وتتلمذ على أكابر الآباء مقاريوس وإيسيذوروس وبموا وسجل أعمال الآباء وأقوالهم، وتراجم حياتهم، كما قام بترجمـــة كـــل التـــراث القبطى من اللغة اليونانية إلى اللاتينية ومن بين ما ترجمه كتاب غير معـــروف مؤلفه يسمى "تاريخ رهبان مصر".(٢)

كما قام راهب غربى آخر يدعى ديونيسيوس الصـــغير بترجمـــة حيـــاة ونظام وقوانين القديس باخوميوس إلى اللاتينية.

وهكذا انتشرت رهبنة مصر بكل تراثها الثقافى فى فرنسا وإيطاليا.

ب- <u>آسيا الصغرى واليونان:</u>

نزل القديس بالديوس المؤرخ الرهبانى المشهور المولود فـــى آســـيا الصغرى (بيزنطى) ضيفاً على القديس إيسيذوروس بالإسكندرية ســـنة ٣٨٨م.

---

1 - Hallett; P. E.; <u>Acatholic Dictionary</u>; London, 1951.   P.71.

2 - القس تادرس يعقوب: <u>أقوال الآباء وكتاباتهم</u>، ج١ الإسكندرية، ١٩٧٤، صـــ٦٦.

الذى سلمه إلى رهبان الدير الخامس بظاهر الإسكندرية، ثم انحدر إلى نيتريا وظل يتنقل بين الرهبان متعلماً ومسجلاً لأقوالهم. ثم اتجه إلى شيهيت (برية القديس مقاريوس) ومكث هناك تسع سنوات أخرى كاملة بين آباء شيهيت ثم انحدر إلى صعيد مصر، وأخذ شيئاً من الرهبنة على يد القديس يوحنا الأسيوطى، ومن هنا عاد إلى آسيا الصغرى حيث رسم أسقفاً ونشر تعليمه فى كل ربوع آسيا الصغرى، ملازماً للقديس يوحنا ذهبى الفم.

كما نجد أن أوغريس (إيفا جريوس البنطى) الذى كان أحد مشاهير معلمى الرهبنة المسيحية، قد تتلمذ على يد القديس مقاريوس الإسكندرى فى منطقة القلالى لمدة طويلة وكان له تأثير كبير جداً ليس على آسيا الصغرى فحسب (موطنه)، بل امتد إلى بلاد اليونان[1] بسبب إرشاده الروحى الذى أخذه عن رهبان نيتريا، وألف كتاباً ضخماً عن حروب الأفكار، محفوظ فى ميامر مشهورة بمكتبات أديرة وادى النطرون ومنها مكتبة دير السريان.[2]

جـ- شمال أفريقيا:

نجد القديس أوغسطينوس (٣٥٤- ٤٣٠م) أسقف مدينة هيو، من ضواحى قرطاجنة بشمال أفريقيا، امتد أثره على مدى التاريخ حتى اليوم فى الغرب والشرق وقد تغيرت حياته عندما قرأ "حياة القديس أنطونيوس" للبابا أثناسيوس الرسولى وصار راهباً، ثم أسقفاً، وتدرج حتى صار من أشهر الكتاب المسيحيون فى العالم وهو يدين بحياته الروحية للرهبنة المصرية.

د- إنجلترا وأيرلندا:

ذكر القمص متى المسكين فى مقاله "أثر الرهبنة القبطية على العالم"

---

1 - Cross, F. L.; The Oxford Dictionary of the Christian Church; 1974. P. 484.

2 - ميامر مار أوغريس: مخطوطة، مكتبة دير السريان.

أن المؤرخ "ستانلى لان بول" ذكر عن علاقة رهبان مصر بإنجلترا:[١]

إلى الآن لم نعرف كما ينبغى- نحن سكان الجزر البريطانية- كم نحن مدينون جدا لهؤلاء النساك (الأقباط السبعة) الذين يعيشون فى الوحدة.

لأن الأمر هو أكثر من أن يكون احتمالاً من حيث الكرازة الأولى فى إنجلترا إذ كانت بفضل هؤلاء الأقباط، حيث كان القانون الرهبانى المصرى هو السائد قبل عصر أوغسطين أسقف كانتربرى (٦٠٤ - ٦٠٥م) ولكن ما هو أكثر أهمية من ذلك، هو أن المسيحية فى أيرلندا- والتى كانت العامل المؤثر الأعظم لانبعاث المدنية فى مستهل القرون الوسطى لكل الدول الشمالية فى أوروبا. باعتقادنا وليدة الكنيسة المسيحية المصرية ويوجد "بصحراء أوليخ" سبعة رهبان مصريون مدفونون هناك. وهذا ما يؤكده ميناردوس فى كتابه: مصر المسيحية قديما وحديثا"[٢]

هـ - قـبرص:

يذكر مراد كامل أن الرهبان الأقباط أسسوا على الجبال الشمالية بالقرب من قرية بلاكان ديرا أطلقوا عليه اسم دير القديس مقاريوس، وكان للأقباط هناك أسقف يمتد اختصاصه على جزيرة قبرص ورودس.[٣]

و- سويسرا:

أشتهر فى سويسرا فى مدينة زيورخ شهداء أقباط ضمن الذين بشروا المدينة، كما اشتهر فى سويسرا القديس موريقى (موريس) وأخته وارينا.[٤]

من هذا يتضح أن النظام الرهبانى المصرى بكل أشكاله المختلفة فى

---

1 - القمص متى المسكين: مقال له تحت الطبع اطلعت عليه أثناء وجودى بالدير فى دراستى الحقلية.

2 - OTTO. Meinardus: Christian Egypt Ancient and Modern: The American University in Cairo Press. 1977. P.25.

3 - مراد كامل: حضارة مصر فى العصر القبطى، القاهرة صـ ٢٢٤

4 - المرجع السابق، صـ ٢٢٥

كافة الكنائس فى أنحاء العالم المسيحى يشهد لفضل أقباط مصر وتأثيرهم على العالم كله.

ثالثاً- أنماط الرهبنة "النظم الرهبانية"

أخذت الرهبنة نُظماً ثلاثة ظهرت جميعها فى مصر فى أواخر القرن الثالث والرابع الميلادى.

١- نظام العُـزلة Monasticism

لما كان نظام العزلة والوحدة يقضى أن يعيش الراهب منفردا حتى ينتقل إلى العالم الأخر، دون أن يعرف أحد عنه شيئاً، لذا فكثير من حالات الوحدة لم تعرف لحدوثها فى الخفاء، ولأن أساس الديانة المسيحية إنكار الذات وعدم المبالاة بالعبادة والتقشف، لذا كان الرهبان الذين يعيشون حياة الوحدة يحتفظون بحياتهم سراً مكنوناً لا يعلمه إلا الله.[١] على أنه كانت هناك حالات نُسكية سَبقت الرهبنة كنظام، كالجماعة التى قادها فرومنتينوس وتتكون من ٧٠ راهباً تركوا العالم وخرجوا إلى الصحراء[٢].

وعلى الرغم من أن الأنبا بولا أول من عاش فى حياة الوحدة، إلا أن الفضل يرجع إلى القديس أنطونيوس فى ظهور الرهبنة ووجودها كهيئة لها نظام.

ويذكر رؤوف حبيب أن الأنبا بولا ترك الصعيد الأوسط، وتوغل فى الصحراء الشرقية وسكن إحدى كهوف الجبال المطلة على البحر الأحمر، وظل به حتى بلغ العام الثانى عشر بعد المائة.[٣] وذكرت بعض الكتابات أنه عاش فى

1 – يسطس الدويرى: موجز تاريخ المسيحية فى مصر، أكتوبر ١٩٤٩، صـ٢٠٤
2 – حكيم أمين: تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مطبعة رمسيس بالجيزة القاهرة صـ ١٣ نقلا عن أعمال القديسين.
3 – رؤوف حبيب: تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر. مكتبة المحبة. ١٩٧٨، صـ٣٦

الصحراء ما بين ٨٠ ، ٩٠ عاماً فى النصف الأول من القرن الثالث[1]، إلا أن الأنبا أنطونيوس اعتبر مؤسس الحركات الرهبانية فى العالم كله، فهو الذى أسس هذا الطريق ولقنه لآخرين، ولذا اعتبر أول معلم للرهبنة، وأبا روحياً لجميع الآباء الأول الذين قادوا الحياة الرهبانية، فقد تتلمذ على يديه القديس مقاريوس أب برية شهيت،[2] القديس ببنودا أب أديرة الفيوم الذى كتب له الرسالة رقم عشرين[3] والأنبا بموا، والأنبا آمون أب جبل نيتريا[4] والأنبا بلامون معلم القديس باخوميوس[5] وقام بزيارة الفيوم لرسامة كثير من الرهبان[6].

وقد خلف الرهبانية، وعظات فى الحياة النسكية، وفى حروب الشياطين، أصبحت قواعد الحياة النسكية تضاف إلى تعليمه الشفوى الذى لقنه الآباء الذين ذكرناهم وكانت له علاقات قوية مع قادة الكنيسة[7] "الأنبا أثناسيوس" بابا الإسكندرية، ومدير المدرسة اللاهوتية "ديدموس الضرير"، مما كان له أثره فى نشر الرهبنة.

---

1 – متى المسكين: الرهبنة القبطية اسكندرية، طبعة أولى، ١٩٧٢، صـ ٤١.
+ ايريس المصرى: قصة الكنيسة القبطية، جـ ١، مطبعة الكرنك، ١٩٥٢، صـ ٨٧.
+ C.Aziz Sorial: The History of Eastern Christianity. U.S.A. 1968. p.60

2 – دير السريان: الثلاثة مقارات القديسين: أبريل ١٩٦٢ ، دير السريان، صـ ٢٣

3 – الأنبا أنطونيوس، روضة النفوس فى رسائل القديس أنبا أنطونيوس، مطبعة التوفيق بالفجالة، ١٨٩٩، صـ١٢٠.

4 – يوسف حبيب: أباء البرية القديسون، جـ ١ ، ١٩٦٨ القاهرة، صـ ٧ ، ٣٠

5– رؤوف دواود تاوضروس: تفسير سيرة أنبا بلامون، مطبعة الأمانة ١٩٥٠، صـ٧.

6 – يوسف حبيب: القديس أنبا صموئيل المعترف، مارى جرجس إسكندرية ١٩٧٠، صـ ١٧ – ٢٠

7 – Benidicta Ward: Saying of the Desert Fathers: Michigan . 1975.

وقد استتب النظام الأنطونى قبل النظام الباخومى على الأقل بحوالى عشرين سنه تقريباً، فقد كان الأنبا باخوميوس تلميذاً لأحد تلاميذ الأنبا أنطونيوس.

ولذلك أطلق على الأنبا أنطونيوس أب أباء الرهبان، وأنه كوكب البرية فهو أب للرهبنة ليس فى مصر فقط بل فى كل أنحاء العالم. فعنه اقتبس حياة النسك الكثيرين من الرهبان فى الشرق والغرب، حتى قيل عنه فى دائرة المعارف البريطانية أنه "أول راهب مسيحى وأنه أب الرهبنة المسيحية"[1]

وقد تناول رؤوف حبيب فى كتابه "تاريخ الرهبنة والديرية" المنهج الأنطونى بقوله "قوام الرهبنة الأنطونية فى عصرها الأول كان ينطوى على العزلة الفردية التامة وعلى الزهد".

وأفضل مثل لذلك حياة الأنبا أنطونيوس ذاتها ومنها يتضح الأدوار التى مرت بها حياته.

بدأ الأنبا أنطونيوس حياته بالمعيشة خارج القرية يتردد فيها على النساك يمتص منهم الفضيلة التى يتقنها كل منهم، فيتعلم من أحدهم الصلاة، ومن التالى الوداعة والهدوء، ومن الثالث الصمت، ومن الرابع الزهد وهكذا.... الخ.

ثم تدرج فى الوحدة، وأصبح يعيش فى إحدى المقابر بعيداً عن القرية ثم دخل إلى الجبل، وأغلق على نفسه فى مغارة عشرين سنة، اضطر بعدها أن يفتح بابه أمام إلحاح الزائرين وبعد ذلك تحول إلى مُعلم وكان على الرغم من وحدته يقبل القادمين إليه ويرشدهم.

- <u>علاقاته الاجتماعية بالعالم:</u>

على الرغم من العزلة والوحدة اللذين اشتهر بهما أنطونيوس، إلا أن ذلك لا يعنى عدم اهتمامه بالآخرين، أو لم يقطع محبة الآخرين من قلبه إذ أنه

---

[1] - أثناسيوس الرسولى: حياة الأنبا أنطونيوس: ترجمة القس مرقس داوود، المطبعة التجارية الحديثة، ٢٠ مايو ١٩٥٠ صـ ٩

ترك العزلة مرتين:

أولا: ترك قلايته أثناء الاضطهاد الذى حل بالكنيسة أيام مكسيميانوس فى عام ٣١١م. والذى استشهد فيه القديس بطرس خاتم الشهداء، فاضطر إلى الذهاب إلى الإسكندرية، حيث كان يرافق الشهداء حتى ساحة القضاء ليشدد من عزيمتهم.(١) وعندما لم ينل إكليل الاستشهاد عاد إلى قلايته بعد انتهاء موجة الاضطهاد. وكانت نتيجة هذه الرحلة التوغل بشكل أعمق فى البرية.

الثانية: نزل إلى العالم مرة ثانية عندما أكد الأريوسيين(*) كذباً أن أراء أنطونيوس تتفق مع آرائهم، وإزاء ذلك اضطر إلى العودة إلى الإسكندرية سنة ٣٣٥م. لكى يقاوم تلك البدعة بجانب البابا أثناسيوس الرسولى(٢) ثم عاد بعدها إلى الصحراء مرة أخرى.

- علاقته بالرهبان أولاده:

(فى منطقة بسبير وارسينوى بين النيل والفيوم وهى منطقة النقلون)

كان يتفقد أولاده الرهبان من حين لآخر ويتحدث إليهم كأخ أكبر يشاركهم معرفته ويعلمهم خبراته واختباراته، ويحثهم على المثابرة فى الحياة النسكية دون أن يكلوا أو يتراجعوا إلى الوراء، ويحذرهم من حيل الشيطان. وقد انتشرت جماعاته فى الصحراء الشرقية والغربية ونيتريا وطيبة وحول الإسكندرية، كما حرصوا على زيارة معلمهم للاستماع لنصائحه والعودة سريعاً إلى قلاليهم.(٣)

1 - رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية، مرجع سابق.

2- Jean Danielou: The Christian Centuries: London 1964 p. 273

3 - حكيم أمين: مرجع سابق، صـ ٢١.

* الأريوسية نسبة إلى أريوس الذى قاد بدعة ضد الإيمان المسيحى، وقد قاومه البابا أثناسيوس فى ذلك الوقت.

ولكن عندما وجد نفسه محاطاً بالكثيرين اعتزم الذهاب إلى مناطق لا يعرفه بها أحد، وكان يَقبل بعض الأرغفة من الاخوة، ورحل إلى الصحراء الداخلية. وفى نفس الوقت كان يأخذ من النخيل قليلاً من البلح. ولما وجد أنه يسبب مشقة للبعض منهم الذين يحضرون له الأرغفة. ولكى يوفر هذا على الرهبان طلب منهم أن يحضروا إليه جاروفا وفأساً وقليل من الحنطة حيث قام بزراعتها فى بقعة صغيرة لكى لا يكون عبئاً على أحد. بل أنه بدأ بزراعة قليل من الخضراوات حتى يجد من يذهب إليه قليل من الغذاء بعد عناء السفر.(١)

وعلى الرغم من قلة المصادر والمعلومات التى عرضت للتوحد، إلا أننا من عرض سيرتى الأنبا بولا، والأنبا أنطونيوس يتبين لنا صورة عامة عن تلك الحياة النسكية التى كان يحياها المتوحدون، فمنها استطعنا أن نلقى بعض الضوء على المنهج التوحدى، وأن نتعرف على الأسس الرئيسية لحياة الوحدة، كما يتضح منها أيضا أن الرهبانية بدأت حركة فردية غير منظمة، ولم تنشأ أو تنبع عن تنظيم كنسى، لأنها نابعة من مشاعر روحانية تميز بها أشخاص قلائل لم تتوفر فى جميع الأفراد، فهى تعبير عن ميول واستعدادات معينة لدى البعض قال عنهم الأنبا إغريغوريوس أنهم عاشوا فى عزلة تكاد تكون كاملة، متفرقين فى الصحارى والجبال يحيا كل منهم فى مغارة أو كهف متبعاً نظاماً خاصاً به فى صلاته وصومه وملابسه وطعامه وعمله، وهذا هو النظام الأول الذى صار عليه الآباء الرهبان الأولون، وحين كانوا يحتاجون إلى مشورة يذهبون إلى "الأب".(٢)

---

1 – الأنبا أثناسيوس الرسولى: حياة الأنبا أنطونيوس صـ ٧٠

2 – الأنبا إغريغوريوس: الدير المحرق، مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة. غير مبين السنة.

أى أن التنظيم كان بسيطاً فقد كان هناك أب عام ليس رئيساً، ولكنه مرشد وقدوه، ولم يكن هناك قوانين مثل قوانين الأنبا باخوميوس، إنما كانت هناك أسس روحية للحياة الرهبانية، ونصائح للسلوك الرهبانى وضعها القديس أنطونيوس ولقنها لتلاميذه. كما لم يكن هناك مراكز أو درجات أو رتب يتدرج فيها الناسك.

٢ – نظام الشركة: Coenobion

تسمى باليونانية Coenobion كينوبيون وتعنى المعيشة المشتركة بين الاخوة فى مجمع الدير.

وقد شعر بعض الذين يحيون حياة الوحدة أن نظام العزلة له صعوبته ولا يناسب الجميع، ولهذا بدأ يظهر اتجاه رهبانى يتجمع فيه كل الرهبان ليعيشوا معاً داخل أسوار دير فى حياة جماعية كاملة، وكان قائد هذه الحركة هو القديس باخوميوس الذى كان رجلاً عسكرياً.

وقد أنشئ أول دير فى العالم كله "بنظام الشركة" على يد القديس باخوميوس سنة ٣٢٥ م. وهو دير طبانسين أو تبنسين، أو تابنيس وباخوم أو باخوميوس هو الذى أسس نظام الشركة أو ما يسمى "الحياة الديرية" حيث يعيش مجموعة من الرهبان فى دير، وهذا الدير يتكون من كنيسة أو عدد من الكنائس يحيط بها مجموعة من القلالى داخل سور واحد، وتخضع لنظام معين ودقيق. ويرجع تعدد الكنائس إلى إقامة أكثر من قداس فى اليوم الواحد.[١]

وعندما كثر عدد الرهبان بهذا الدير، فقد بلغ عددهم بعد سنوات حوالى ٢٥٠٠ راهب، غلب اسم طبانسين على أماكن أنبا باخوم التى يقال أنها امتدت

---

1 – القمص تادرس يعقوب: "باخوميوس أب الشركة وتادرس تلميذه" – مطبعة الكرنك بالإسكندرية ١٩٦٧.

من إسنا إلى أسوان. حتى عاد الرهبان الباخوميين بالرهبان الطبانسيين- فأخذ في بناء مجموعة أخرى من الأديرة. في منطقتى قنا وطيبة تسير على نظام واحد تحت رقابة الدير الرئيسى وهو دير "بافو". ثم أنشأ ثالثا دير "شيتوفيسكيا" أى أرض الموز ورابعاً دير "منخوسين" وتشعبت من هذه الأديرة أديرة أخرى. إلى أن بلغ عدد الرهبان سبعة آلاف راهب.[١]

وقد ذكر القمص المسعودى أن القديس باخوميوس وأولاده بنوا ١٧ ديراً ولكنه لم يذكر أسماءهم وأماكنهم.

وعلى الرغم من محبة باخوم لنظام الشركة أو الحياة الديرية لأنه يناسب الكثيرين، إلا أن هذا النظام لم يلغ نظام الوحدة، بل أن باخوم نفسه كان مرناً فمتى رأى آنسانا قادراً على الوحدة، كان يهيئ له فرصة للوحدة دون أن يخضع للنظام الموضوع.

وقد وضع القديس باخوميوس (٢٩٠-٣٤٨) مجموعة قوانين يعيش بمقتضاها الرهبان داخل دير واحد.[٢] وقد ترجمت تلك القوانين إلى عدة لغات حتى يتمكن من استخدامها الرهبان الأجانب الذين اتبعوا نظام باخوميوس من مختلف الجنسيات، إلا أن هذه القوانين لم تحفظ بكاملها إلا في النسخة اللاتينية التى قام بترجمتها من اليونانية القديس ايرونيموس.

وتشمل هذه القوانين على أربعة أقسام رئيسية وتضم ١٩٤ قانوناً.[٣]

---

1 - القمص عبد المسيح المسعودى: أب رهبان دير البراموس، أنبا باخوميوس القاهرة، ١٨٩١ م.

2 - مراد كامل: حضارة العصر القبطى، مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة غير مبين السنة.

3 - الأب جيرارفيو: قوانين الأنبا باخوميوس، أب الشركة، الكاروز، شبرا مصر ١٩٧٤ ص ٢٠-٣٤.

مُلخص النظام الباخومى

- طالبو الرهبنة:

ذكر القمص تادرس يعقوب أنه يشترط فيمن يرغب الانضمام إلى الأديرة الباخومية أن يقضى ثلاث سنوات تحت الاختبار فى بيت خاص بطالبى الرهبنة قرب باب الدير، يشرف عليهم شيخ يهتم بهم. كما أنه نص فى القانون رقم ٤٩ على أنه إذا تقدم أحد إلى باب الدير بهدف العلم والدخول فى مصاف الاخوة لا يؤذن له فى الدخول، حتى ينبه أب الدير، وإذا قبل أب الدير يسمح بدخوله،[1] عليه فى فترة الاختبار هذه، أن يتعلم القراءة والكتابة إن كان يجهلهما، وكذلك يحفظ مزامير الصلوات، ويلقن تعليمات الدير التى يجب عليها إتمامها والخضوع لها سواء فى المجمع الذى يجمع كل الاخوة، أو فى المسكن الذى سيرسل إليه، أو فى حجرة المائدة، وبعدما يتقن الأعمال الموجودة فى الدير ينضم إلى الاخوة، وبعدئذ تتغير ملابسة العالمية ويرتدى الزى الرهبانى وينتقل من بيت طالبى الرهبنة إلى قلالى الرهبان داخل الدير.[2]

- زى الرهبان:

يذكر القمص تادرس يعقوب فى كتابه "الكنيسة القبطية" أنه كان يمتاز بالبساطة ويتكون من جلباب وحزام جلدى، وتغطى الرأس بقلنسوة، وعلى كتفيه وظهره يعلق فروة من فراء الخراف أو الماعز، ويضع عليها عباءة فضفاضة تحجب جزء من جبينه، وتزدان بصليب يكشف بلونه عن الدير الذى ينتمى إليه، ويحتذى فى قدميه حذاء مفتوح "صندل".[3]

---

1 - القمص تادرس يعقوب: باخوميوس أب الشركة، مرجع سابق صـ ١٣٢.

2 - المرجع السابق.

3 - Fr. Malaty Tadros Y.: The Coptic Curch; Church of Alexandria. March. 1978. p 143.

- الطعـــام:

كان يقدم الطعام الجماعى مرتين فـى اليـوم فـى الظهـر والمسـاء. والحضور غير إلزامى، وهو طعام بسيط، ولا يـأكلون اللحـوم إلا فـى حالـة المرض. يدخلون القاعة حُفاة حتى لا يحدثون أصواتاً، وفى أعلى القاعة يقـرأ أحدهم فصلاً من الكتاب المقدس وأثناء الطعام يغطون رؤوسهم بقلنسواتهم، لئلا يقع نظر أحد الاخوة على الآخر وهو يمضغ الطعام، وغيـر مصـرح للراهـب بالكلام أثناء الوجبات، كما لا يجعل عينية تتجول خارج طبقه أو منضدته. وقبيل تناول الطعام مباشرة كان يرتل مزمور قبل الصلاة.(١)

- القلايـــات:(*)

كانت القلالى تضم "مصاطب" لرقاد الرهبان ويقال أن الباحثون عثروا على بقايا لآثار دير (الأنبا هيدرا) القديس سمعان العمودى على الجبل المقابـل لأسوان، حيث وجدوا أن لكل مصطبة منها رأس مرتفعة من الطين على شـكل وسادة.

وكانت هناك مواعيد ثابتة للاستيقاظ بالليل يقوم فيها الراهـب ليصـلى ويسبح حتى الصباح. وفى الصيف كان يسمح لهم بالنوم على أسطح القلالى.

- التعليـــم:

كان النظام الباخومى كما ذكرنا يهتم بالتعليم فمعرفة القراءة والكتابـة كانت شرطا أساسياً فى الرغبة للانضمام إلى الأديرة الباخومية.(٢)

وكان يوجد ثلاثة أنماط من الفصول فى الأديرة الباخومية.

---

1 - Ibid. p. 143.

2 - القمص تادرس يعقوب: باخوميس أب الشركة صـ ١٣٤.

+ مراد كامل: حضارة العصر القبطى صـ ٢١٠- ٢١١.

* - القلايات: جمع "قلاية" سيأتى شرحها فيما بعد.

١- فصول للمبتدئين الأميين.

٢- فصل أعلى لمن لديهم فكرة عن القراءة والكتابة.

٣- أثناء التعليم، دروس خاصة للمتخصصين وتشمل تعليمات وموضوعات دينية وروحية. كانت تعطى ثلاث دروس فى اليوم للمبتدئين(**) فى الساعة الواحدة والساعة الثالثة والساعة السادسة، أما الذين ترهبنوا فيحضرون دروساً عمومية فى التفسير والتعاليم الإلهية يعطيها رؤساء الأديرة بأنفسهم خلال صوم يومى الأربعاء والجمعة. وكان حضور هذه الاجتماعات إجبارياً، وكانت مكتبات الأديرة مفتوحة دائماً لكل راغب فى القراءة. (١)

- <u>العبادة</u>: تنقسم إلى:

أ- عبادة جماعية يحضرها جميع الرهبان ثلاث مرات يومياً، فى الصباح والظهر والمساء وجميعهم يجب عليهم الاشتراك فى صلاة القداس.

ب- عبادة انفرادية يؤديها الراهب داخل قلايتة الخاصة وتحت إشراف أبيه الروحى.

جـ- يقام القداس يومى السبت والأحد ويشترك جميع الرهبان فى هذه الصلاة العامة.

- <u>الجزاءات:</u>

من الضرورى لأى مجتمع أن يضع الجزاءات والعقوبات لهؤلاء الذين يحيدون عن القوانين، <u>والعقاب فى نظام الشركة كان ضرورياً وعلى ثلاث درجات:</u>

---

1 - Farag Rofail Farag: <u>Sociological and Moral Studies in the Field of Coptic Monaticism</u>: Ledin F . J Brill. 1962. Cairo p .31.

**- حسب التوقيت الشرقى (أى الساعة السادسة والتاسعة صباحا والثانية عشر ظهراً.

أ- اللوم والتوبيخ العلنى أى التعيير العام، وهذه للأخطـاء المكشوفة مثـل الضحك والنظر يميناً وشمالاً أثناء الأكل أى أنه كان لأقل الأخطاء.

ب- عدم السماح للراهب بالخروج من قلايته.

جـ- الحرمان والطرد من الدير لمن لا يرجى فيهم إصـلاح مثـل المتشـبثين بالعصيان والذين ثبت عدم صلاحيتهم.(1)

- الهيكل الإدارى:

تنقسم الإدارة إلى:

أ- إدارة محلية لكل دير:

توكل الإدارة المحلية لكل دير إلى مقدم أو رئيس الدير، ولكـل رئـيس نائب يساعده فى الإشراف على الأعمال اليومية العادية، ولكل دير أمين يسـمى "رُبيته" يهتم بجميع احتياجات الدير المادية، كما يوجد أمين مكتبة.

ويذكر الأب جيرار أن الاخوة يحترفون مهنة واحدة كانوا يقيمون فـى منزل واحد تحت مشرف خاص، كالنساجين، أو صانعى الحصر، وكل منزل كان يجمع حوالى أربعين أخاً حسب عدد رهبانه تتجمع كلهـا فـى ثـلاث أو أربـع مجموعات، وهذه المجموعات تذهب معاً للعمل حسـب دورهـا فـى الخدمـة الأسبوعية.

والمشرف يقدم كل أسبوع تقريراً عن أعمال مجموعته مـن الرهبـان لرئيس الدير ولهؤلاء الرهبان فى كل دير إدارات متنوعة حسب احتياج المهنة. ويخضع جميع رؤساء الأديرة لرئيس واحد يقيم فى دير بابو.

ولما كثر عدد الرهبان وتنوعت جنسياتهم استخدم نظام الأسر لكل أسرة رئيس من جنسها مثل: السريان واليونان واللاتين.. الخ. حتى يستطيع التفـاهم

---

1 - Fr . Malaty: The Coptic Church. Op. Cit. P 145

مع بنى جنسه وإرشادهم.[1]

ب ـ الإدارة المركزية:

كانت توجد قيادة مركزية محكمة تتمركز فى الدير الرئيسى الأول فى طبانسين، (بجوار دندرة)، ثم انتقلت إلى دير بافو. وكان لكل دير رئيس ووكيل يعاونه ويخضع الكل لرئيس عام الأديرة.

وكان الإشراف يتم بطريقتين:

أولاً: عن طريق الزيارة فقد كان الرئيس العام ينتقل بين الأديرة ليعلم بدقائق أمورها ويسد احتياجاتها.

ثانياً: أو عن طريق عقد اجتماعين عامين فى كل سنة فى دير بافو، أو الدير الذى به الرئاسة العليا إذا انتقلت إلى غيرة ويعقد الاجتماع الأول بعد عيد القيامة، والثانى لبحث الأحوال الداخلية للأديرة إذ يقدم رؤساء الأديرة للمشرف العام تقاريرهم. وهناك أيضاً نظم خاصة بالمرضى وأخرى خاصة باضافة الغرباء.[2]

- تقسيم العمل:

وضع الأب نظاماً معينا فى سائر أديرته فبجانب أنه عين لكل دير مقدم "أو رئيس" يساعده وكيل فقد قسم بقية الرهبان إلى فرق منها من يعمل فى الداخل، ومنها من يعمل فى خارج الدير: [3]

- ففى داخل الدير:

كون فرقا لملاحظة الطحن والعجن والخبز، وطباخين ومن يهتم بإعداد

---

1 - الأب جيرار فيو: قوانين الأنبا باخوميوس، مرجع سابق صـ ١١.
2 - المرجع السابق، صـ١٢.
3 -القمص عبد المسيح المسعودى، سيرة أنبا باخوميوس، القاهرة،١٨٩١، صـ ٢١ ، ٢٢

المائدة وخفراء لمخازن الخبيز والغلال وضفائر الخوص، وكذا مشرفون علـــى خدمة المرضى ونساخ للكتب ونجارون وحائكون، ووكل علـــى أبـــواب الـــدير حراساً لاستقبال الغرباء والاخوة المُقبلين، وعند الباب كان يوجد بيت للضـــيافة، وبيت أخر لإقامة طالبى الرهبنة.

- أما فى الخارج:

فهناك فرق لرعى الماشية، ورى البساتين والزراعة والحصاد والدرس والتخزين..الخ، كما حدد من يجمع عمل الرهبان ويقوم ببيعه، وأقام عليهم مـــن يهتم بأمورهم ويقدم لهم احتياجاتهم. وفرض عليهم الطاعة والإذعـــان بعضـــهم لبعض.

وكان يرى أن يُغير أصحاب الخدمة فى أوقات معينـــة ليحـــل غيـــرهم، وكان يقصد بذلك هدفين:

أولاً: أن يستفيد الراهب الجديد من أتعاب الخدمة وينال ثمارها الروحية.

الثانى: راحة الراهب الأول وسكونه من قلق العمل وقتاً ما.[١]

ويقول حكيم أمين أنه كان فى دير باخوميوس فى "طبانسين" بـــالقرب من دندرة خمسة عشر حائكاً وسبعة حدادين وأربعة نجـــارين وخمســـة عشـــر صباغاً وعشرون دباغاً وخمسة عشر إسكافياً وعشرون بستانيا وعشرة نساخ، كما ورد ذلك فى كتاب المسعودى "سيرة أنبا باخوميوس" وقد حدث فى إحدى المرات أن المشرف عليهم انصرف إلى العمل اليدوى وأهمل خـــدمتهم بـــدون استئذان، فعوقب حتى لا ينصرف إلى العمل اليدوى ويهمـــل الصـــلاة ورعايـــة إخوانه.[٢]

---

1 – القمص يسطس الدويرى، موجز تاريخ المسيحية، صـــ ٢٢٤

2 – حكيم أمين: دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، القاهرة ١٩٦٣

وهذا ما يؤكده أيضاً عزيز سوريال عطية من أن الدير الباخومى كان وحدة ذاتية متكاملة من خبازين وطباخين ونساجين وخياطين ومزارعين وطحانين وحدادين وبنائين ونجارين وإسكافية وميكانيكية ونساجون ومسجلى وثائق.

وعندما كان يغيب رئيس أو أب الدير أو مقدم الخدمة كان وكيله ينوب عنه ويخلفه ويهتم بالرهبان إلى حين عودة الرئيس، ويكون إشرافه بوداعة واتضاع إذ يجب أن يكون مقدم الرهبان قدوة لهم ومثال عنه يأخذون وبه يتشبهون.[1]

وهكذا سلم الأنبا باخوميوس إلى الرهبان قوانين للأعمال، وإن خالف أحدهم شيئاً منها يأخذ عقوبة عن مخالفته.

وما كان أحد منهم يستطيع أن يزور أخاه ويدخل إلى قلايته، ولابد أن يعمل شيئاً من الأمور كبر أم صغر دون استئذان المشرف المقدم عليهم.

وقد أمر الاخوة المختصين بأعمال الدير الخارجية أن لا يدخلوا شيئاً من الأخبار إلى المجمع بتاتاً. وإذا أعطى شخص من الخارج رسالة لأحد الرهبان لتوصيلها إلى قريبة الراهب بالجسد يمضى أولاً فيعرض الأمر على أب المجمع ويسلمه الرسالة فإذا كانت تنفع الأخ المرسلة له تُبلغ له، وإذا حدث العكس فتُخفى عنه.

وإذا كانوا سائرين فى طريق إلى موضع أو ماشين فى المجمع كانوا يتلون فى قلوبهم ما يحفظونه حتى لا ينشغل عقلهم بأفكار لا تنفعهم، وإذا ركبوا سفينة يهتمون بصلواتهم ويكملونها حتى لا يكونوا ناقصين عن الاخوة الذين فى المجمع فى شئ من الأمور.

---

1 - Sourial A.A.. Op. Cit. p. 64.

ولم يكن أى راهب يملك إلا ثوبه لا غير، أما الذهب والفضة أو أى شئ من ذلك فلم يكن لأحدهم شئ خاص به، وكثيرون من الرهبان انتهت حياتهم دون أن يمسك أحد منهم بدينار فى يديه، أو درهم، وإذا حدث أن حصل أحدهم على دينار ففى الحال كانوا يرفعونه إلى رئيس الدير الذى كان يصرفه فى احتياجات الدير عند الحاجة. وفى ذلك كان الأنبا باخوميوس دائماً يقول "الرهبان لابسو الزى المقدس المقيمون بالأديرة لا يليق بهم أن يقولوا لى ولك، فالجماعة المشتركة ليس لواحد منهم شيئاً خاصاً وإلا فما يليق بهم أن تدعى معيشة مشتركة، وإذا مرض أحدهم كان الآخرون يخدمونه حتى يتم له الشفاء".[١]

- الكهنـــوت:

على الرغم من كثرة عدد الرهبان فى عهد القديس الأنبا باخوميوس، إلا أنه لم يسمح أن يكون فيهم قسيساً واحداً يقوم بأعمال الكهنوت حتى لا تحاربهم محبة الرئاسة، ولكى لا ينشأ بين الاخوة حسد أو غيره وحينئذ تنجم الانشقاقات، ولقد استمر عدم رسامة قسوس بأديرة الأب باخوميوس أكثر من مائة سنة، وحين كانت الحاجة تدعو إلى خدمة القداس فى أيام الآحاد والأعياد كان الأب يستدعى قسيساً من القرى المجاورة يقوم بالصلاة.

ولكن الأنبا شنودة فى أواخر القرن الرابع الميلادى أدخل تعديلات على نظام الشركة الباخومى تصطبغ بالشدة والصرامة. ويذكر مراد كامل أنه قد وضع لرهبانه وراهباته بالديرين الأبيض والأحمر قرب سوهاج وأخميم قوانين وأنظمة أكثر شدة من تلك التى كانت تطبق فى الأديرة الباخومية[٢].

---

1 - المرجع السابق.

2 - مراد كامل: حضارة مصر فى العصر القبطى، مرجع سابق، صـ ٢١٢

وقد ترهب الأنبا شنودة سنة ٣٣٠م على يد خالة "بيجول" الذى كان رئيسا للدير الأبيض وهو أحد أديرة باخوميوس التسعة، وقد ألبسة إسكيم الرهبان وهو لم يتجاوز التاسعة من عمره، وانتخبه الرهبان رئيسا لذلك الدير الأبيض سنة ٣٨٣م.

ويذكر عبد النور أبو سيفين أن الأنبا شنودة رأس أيضاً الدير الأحمر بعد الأنبا بيشوى[1] ولكنه اختلف عن الأنبا باخوميوس فى عدة نقاط نوجزها فيما يلى:

- بينما ضمت أديرة باخوميوس أجناسا كثيرة من سريان وروم وغيرهم اقتصر هو فى أديرته على الأقباط وبذلك أصبحت أديرته مصرية فقط.[2]
- يقضى المُبتدئ فترة الاختبار فى بيوت معينة خارج أسوار الأديرة وليس بداخلها كما هو موجود فى النظام الباخومى، إلى أن يتم التأكد من نياتهم فى حياة الجهاد والمثابرة، وبعد تلك الفترة يسمح لهم بالدخول فى الدير، ويعين لهم مكاناً خاصاً لإقامتهم، وبعد فترة إذا ثبتت صلاحيتهم يصبح المبتدئون متساوون مع غيرهم من الاخوة حيث يرسمون رهباناً فى حياة الشركة ويقيمون بالقلالى.[3]
- استحدث الأنبا شنودة أمراً غريباً فى الرهبنة لم يكن موجوداً من قبل ذلك، أنه كان يأخذ إقراراً أو شرطاً كتابياً يلتزم فيه الراهب الجديد بطاعة القواعد والقوانين المعمول بها داخل الدير، وأن يكون متساوياً مع زملائه فى الحقوق والواجبات ولا يميز نفسه عن باقى الرهبان.
- بالنسبة للصلاة أدخل الأنبا شنودة أمراً جديداً فى نظام الأديرة ذلك أنه سمح

---

1 – عبد النور أبى سيفين، تاريخ القديس العظيم أنبا شنودة رئيس المتوحدين، المطبعة الاقتصادية، ١٩٥٩، طبعة أولى، الفصل الثانى، صـ ٤٣.

2 – مراد كامل: المرجع السابق.

3- Fr. Malaty, T.Y.; The Coptic Church. P.171

بفتح أبواب أديرته لسكان الجهات المجاورة والزائرين من الجهـــات البعيـــدة النائية الذين أتوا لحضور الصلاة والعظة فى قداس الأحد مرة كـــل أســـبوع وكانت الكنيسة تظل مفتوحة ومضاءة طوال ليلة الأحد، والزوار والمصـــلين فيها حتى خروج قداس الأحد، حيث يقيم بعدها مأدبة غـــذاء لضـــيوفه ثـــم ينصرفون إلى منازلهم، هذا بينما كانت كنائس بـــاخوميوس قاصـــرة علـــى الرهبان فقط.[١]

وهذه هى الصلاة الجماعية بالإضافة إلى الصلاة الانفرادية فى القلايـــة الخاصة بكل راهب والتى كان يصحبها عدد كبير من المطانيات (السجود الكامل إلى الأرض) يصل إلى أكثر من أربعمائة مطانية- إذ يختبر الراهب فـــى كثـــرة المطانيات انسحاقاً كاملاً أمام الله وإذلالاً للجسد الترابى مطيعاً فرصـــة للـــروح للانشغال فى الإلهيات، ويقال أن الأنبا شنودة كان يصلى ١٢ مرة فى اليوم[٢]

بينما نجد الأنبا باخوم يسمح بوجبتين للراهب يوميا فى أيـــام الصـــيام ونوع من الطعام الفاخر للمرضى من الرهبان، فرض الأنبا شنودة على الراهـــب أن يتناول وجبة غذائية واحدة فقط فى اليوم عند الغروب، وتتكون هذه الوجبـــة من الخبز والبقول والماء.

لم يقتصر نشاط الأنبا شنودة على رهبانه داخل الأديـــرة بـــل أصـــبحت أديرته من أكبر المعاهد العلمية فى ذلك العصر، فقد أنشأ مدرستين فـــى الـــدير الأبيض وشجع الرهبان على التعليم، لأنه كان يؤمن أن التعلـــيم هـــو الســـلاح الفعال ضد عادات الوثنية[٣].

1- التربية الكنسية بكنيسة مارى جرجس بالظاهر: القديس العظيم أنبا شنودة رئيس المتوحدين، المطبعة التجارية الحديثة، طبعة أولى أول ديسمبر ١٩٧٢ ، صـــ ٣٢

2 - عبد النور سيفين، مرجع سابق، صـــ ٤٧

3- FR.T Malaty T .Y p.171

امتد نشاط الرهبان خارج الأديرة فكثيراً ما يقومون بمواساة المرضى وضحايا الحروب ومساعدة الفقراء، وهذا ما أدخل فى أنظمة الشركة الرهبانية ولم يكن موجودا قبله. [1]

أما فيما عدا ذلك فرهبنة الأنبا شنودة لا تختلف عن الرهبنة الباخومية فجميع الرهبان يعيشون فى حياة الشركة فى كل شئ فى المأكل والملبس والعمل، ولا يختلف زى الرهبان فى أديرة الأنبا باخوميوس عن أديرة الأنبا شنودة، ولم يكن هناك اختلاف عن نظام العمل أو غيره. فالدير يعتبر مؤسسة تعمل على الاكتفاء الذاتى فى الزراعة والصناعة والنسج والتجارة والرعى.

وعلى هذا فإن الدير الذى أسسه الأنبا شنودة سنة ٣٨٣م وبه ثلاثون راهباً، أصبح مؤسسة كبيرة فقد تضاعف عدد الرهبان وتوسعت المبانى والإنشاءات والمصانع وخاصة مصانع النسيج وحفر الآبار وزراعة النخيل والزيوت والحصر إلى غير ذلك حتى أصبحت المؤسسة تشمل الدير الأصلى، ودير المشتغلين بالزراعة، ودير المستجدين، كما أن هناك ديرين للراهبات وبعض أديرة للرهبان فى صعيد مصر.

وقد امتلأت الصحارى المصرية وبقاع كثيرة من الوجه القبلى على الأخص، بالأديرة وقلالى النساك، وامتلأت بالرهبان والمتوحدين، حتى أن المسافر من الإسكندرية إلى أسوان فى القرنين الخامس والسادس الميلادى. لم يكن فى حاجة إلى أن يحمل زاداً فى الطريق، إذ أنه يستطيع أن يسد حاجته من تلك الأديرة والقلالى المنتشرة بكثرة على أطراف وادى النيل وصحراواته الشرقية والغربية. [2]

---

1 - عبد النور سيفين، مرجع سابق، صـ ٢٨

2 - المرجع السابق.

٣- نظام الجماعات أو "القلالى" أو الفردية المترابطة

لما كان الإنسان حيواناً اجتماعياً- كما يقول علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا- أمثال دوركايم وأوجست كونت وسبنسر وغيرهم- حتى فى حالة فراره وهروبه من المجتمع إلى الصحراء لذا تطور نظام العزلة الذى بدأه هؤلاء النساك إلى نوع من الرهبنة الاجتماعية المخففة فى أماكن أخرى، نظراً لما تفرضه الطبيعة الإنسانية فهى تتطلب نوعاً من المرافقة، ولذا أجبرت تلك الطبيعة الناسك فى بعض الأحيان إلى أن يختلط بأقرانه وبالعالم أيضاً.

فكانت الوحدة مع بعض التعديل أو التساهل لمواجهة الصعاب التى كانوا يتعرضون لها فى الصحارى والقفار الموحشة. وبدأت تظهر خطوة ثانية بعد الوحدة حتى فى أثناء حياة القديس أنطونيوس نفسه.

وهذه المرحلة تتوسط النظم الأنطوانية ونظم الشركة الديرية الباخومية، وهى عبارة عن تركيز الرهبان فى مناطق معينة حول الشخصيات الكبرى من الآباء الروحيين، وهو نظام نصف وحدة يقف فى المنتصف ما بين الوحدة المطلقة الذى يطلق عليه الرهبنة الأنطونية وبين الشركة أو الرهبنة الديرية التى تمثلها رهبنة باخوميوس، حيث يسكن فيه الرهبان كل فى مغارته أو قلايته[1] منفرداً مع احتفاظه بحياة الوحدة والعزلة داخلها، إلا أن قلاليهم كانت قريبة بعض القرب من بعضها إلى حد ما.

وتقوم حول قلاية الأب الروحى وهو أحد الشخصيات الكبرى من الآباء الروحيين الذين اهتموا بالقداسة والعلم.

قاد هذا النظام القديس مقاريوس الكبير، وكان مركزه برية شيهيت فهو

1- القلالى جمع قلاية وهى كلمة لاتينية الأصل Cellala تعنى منزل الراهب أو مسكن الأسقف أو البطريرك وقد تكون منحوتة فى الصخر بعوامل طبيعية أو مصنوعة بأيادى بشرية كما ورد هذا المعنى فى كتاب "الأديرة المصرية العامرة" ، القمص صموئيل تاوضروس السريان. صـ ٣٥

مؤسس الرهبنة فى شيهيت بوادى النطرون بالصحراء الغربية.

أهم المناطق التى تركزت فيها الجماعات الرهبانية:

أولاً: جماعات أنطونيوس:

تركزت تلك الجماعات فى منطقة بسبير بالصعيد الأوسط، ويقال أنها كانت واقعة فى الجبال التى تبعد بضعة أميال عن الحافة الشرقية من الوادى قريبة من بنى سويف، وهى المنطقة التى بدأ فيها أنطونيوس حياته الرهبانية قبل أن ينتقل منها إلى الجبال النائية التى تطل على البحر الأحمر. والمنطقة الثانية فى النقلون بالقرب من الفيوم.

وترجع أهمية هذه المنطقة إلى أنها تحوى الديرين الأولين وهما ديرى الأنبا بولا والأنبا أنطونيوس على البحر الأحمر.(١)

وقد قاد أنطونيوس فى هذه المنطقة أول جماعة من أولاده الذين يعيشون حياة الوحدة سنة ٣٠٥م اجتمعت حوله فى قلالى منفردة أو مغارات متباعدة عن بعضها البعض.(٢)

ثانيا: نظام الجماعات فى برية وادى النطرون:

تلك التى ظهر فيها هذا النظام الثنائى (الذى يقف فى المنتصف بين الحياة الديرية وحياة الوحدة) فى ثلاث مناطق (نيتريا والقلالى وشيهيت). وسنتحدث عن شيهيت فقط لأنها من ناحية مقر النظام الرهبانى الذى ساد فى التجمعات الأربعة التى نشأت فى شيهيت وهى (البراموس- أنبا مقار- أنبا بيشوى- يوحنا القصير) كما أن منطقة شيهيت أو كما يطلق عليها أحياناً وادى النطرون أو الأسقيط هى المنطقة التى تم اختيارها للدراسة الحقلية.

---

1 - رؤوف حبيب، المرجع السابق ذكره

2 - القمص متى المسكين، الرهبنة القبطية. مرجع سابق، صـ ٤٥

- شيهيت (الإسقيط) برية وادى النطرون

اختلفت الآراء حول تحديد منطقة شيهيت فيذكر القمص متى أنه قد تجئ كلمة برية الأسقيط أو برية شيهيت بمعنى محدود، وهو جبل النطرون أو وادى النطرون الآن، ولكن حينما تذكر كلمة الأسقيط أو شيهيت فقط فقد تأخذ معنى متسعاً جداً لتشمل منطقة القلالى ونيتريا أيضاً،[1] ويختلف معه فى ذلك منير شكرى إذ يعتبر أنه متى جاءت كلمة "برية" فهى تحمل معنى متسع يشمل القلالى ونيتريا أيضاً.[2]

ولكن الذى يهمنا هو أن برية شيهيت شملت أربعة مجامع هى (البراموس شمالاً- أنبا مقار جنوباً- بيشوى شرقاً- يوحنا القصير غرباً) هذه المجامع أو التجمعات الأربعة اكتملت فى حياة أنبا مقار. ولذا أطلق على البرية "أسقيط مقاريوس" فهو مؤسس أول تجمع رهبانى فى شيهيت وهو البراموس الذى يوجد به دير البراموس الحالى، والثانى هو مكان دير أنبا مقار الحالى، أما التجمعان الآخران هما الأنبا بيشوى ويوحنا القصير فالذى قام بتأسيسهما هم تلاميذ وأولاد الأنبا مقار.

- المراكز:

- أب شيهيت:

تميزت بوجود أب واحد ورئيس مدير على جميع الذين يعيشون حياة الوحدة بها، وكان هو المسئول عن الجماعة كلها أمام الكنيسة والبطريرك. وقد بدأ هذا التقليد بالأنبا مقار ولكن لما كثر عدد الرهبان فى برية شيهيت، وتعددت الجماعات الرهبانية وجد مركز (قمص شيهيت). وكمثال له تاريخ الأنبا دانيال فى القرن السادس، والأنبا يوحنا فى القرن السابع.

---

1 - القمص متى المسكين، الرهبنة القبطية، مرجع سابق.

2 - منير شكرى: مرجع سابق.

أى أن أول لقب أعطى لرئيس شيهيت هو قمص شيهيت.

- العلاقة بين الأب وتلميذه:

كان كل أب يعيش فى وحدة اشتهر بقداسته ينضم حوله مجموعة تلاميذ. وعندما كثر عدد التلاميذ كان الأب يضطر إلى تعيين أباء لإرشاد الاخوة.

وقد أوضح إيسيذورس فى شيهيت العلاقة بين الأب وتلميذه كل الذين يكونون تلاميذ عليهم أن يحبوا الذين يعلمونهم كآباء لهم وأن يهابوهم. وكانت تلك العلاقة قوية ووثيقة إذ كان التلميذ يطيع الأب ويخدمه.

"الرُبيته- صاحب الدياكونية- الأيكونوموس" ووظيفته الاجتماعية:

"الدياكونية" أى بيت الخدمة العامة، وكانت وظيفته "الأيكونوموس" أو "الرُبيته" تشمل كل الأمور الإدارية فى غيبة رئيس الدير. وقد بدأت فى شيهيت مع بداية الحياة الرهبانية فكان الأب هو المدير للشئون الروحية والجسدية معا، ثم بعد ذلك خصص أب ليكون مسئولاً عن كل احتياجات الاخوة.

وكان الإقنوم هو المسئول الأول عن العمل اليدوى للرهبان الذين يعيشون حياة الوحدة يستلمه منهم كل أسبوع ويُرسله للبيع، ثم يقوم بشراء الاحتياجات المادية للاخوة ويوزعها عليهم. أيضاً كان مسئولاً عن المرضى من الرهبان.

لذا كان الرُبيته يعرف من هم فى حاجه إليه حتى قبل أن يشعروا هم بهذه الحاجة، إذ أنه يجب أن يتوفر للراهب احتياجاته الجسدية حتى لا يوجه اهتمامه إليها بل عليه أن يتوجه بكل جهوده إلى احتياجاته الروحية من أجل تقدمه فى طريق الفضيلة.

- مائدة الأغابى:

كان جميع الاخوة والآباء يتناولون معاً عقب اجتماعهم الأسبوعى وجبة حتى النساك والذين يعيشون حياة الوحدة، وذلك يكون يوم الأحد يطلق عليها

"الأغابى" أى المحبة، وذلك بعد حضور صلاة القداس.

وتحمل كلمة أغابى أكثر من معنى ولكنها جميعها ذات صلة مشتركة:

- عندما يقال فى الرجاء المعتاد (اصنع لى أغابى) أى اصنع معى مروءة أو عملاً حسناً.
- يُقصد بها أحياناً الطعام وذلك كالآتى:

أ- أطلقت على المائدة الجماعية التى يقيمها الاخوة كل سبت وأحد "تدعى" (أغابى).

ب- كما تطلق على الطعام الرهبانى العادى من قبيل التساهل.

وأغابى كلمة يونانية تعنى محبة ولكن الرهبان يستخدمونها الآن حينما يمرون على بعضهم بعضاً، أو حينما يقرع أحدهم قلاية زميله، كما لو كانت ترادف كلمة سلام، وأحياناً تطلق على الاحتفال الكنسى، ولكنها فى الغالب أصبحت تستخدم كتحية حُب فيبدأ بها لقاء أو حديث.

- <u>العلاقات الاجتماعية والروحية بين مناطق تجمعات الرهبان:</u>

على الرغم من أن تلك التجمعات تطبق نظام الوحدة- إلا أنها ليست وحدة مطلقة فهناك توجد بعض العلاقات الاجتماعية والروحية التى تسود بين تلك المناطق وتؤدى إلى تماسكها، وبقاء استمرارها فترات طويلة من الزمن عبر الأجيال، فالرهبنة باعتبارها نوع من التلمذة فيها يتشرب الراهب المبتدئ فى رهبنته من الشيوخ روح الرهبنة، من أجل ذلك كان الرهبان يسعون باستمرار للاستفادة من الآباء الشيوخ، ولا سيما لو عرف عن أب معين أن له فضيلة معينة أو شهرة فى الإرشاد والتعليم، وكثيراً ما كان الرهبان يزورون بعضهم البعض لمعرفة نظام كل جماعة وكيف يسترشدون بنظامها النُسكى.

هذا بالإضافة إلى المقابلات التى كانت تحدث كل "عشية الأحد" يوم السبت مساءً، إذ كان الآباء يتجمعون من قلاليهم ليمضوا الليل كله فى الصلاة

والتراتيل حتى الصباح التالى تعقبها مائدة أغابى، وكان الرهبان الحديثين يسألون الشيوخ فى كل ما عنى لهم من سؤال، فمن الناحية الاجتماعية كان الآباء الشيوخ يوجهون الأحداث حتى فى عمل اليدين، ففى سيرة القديس مقاريوس يُقال أنه أتى إليه شابان رومانيان فعلمهما كيف يجدلان السعف وكيف يستدعيان أحد الأعراب لأخذها وتسويقها وإحضار احتياجاتهم لهم أو أن يعلم أحدهم الآخر قواعد الخط ومبادئ النساخة، كما كان مسموحاً للأخ أن يترك قلايته فى منتصف الأسبوع لو كانت هناك حاجة لمشورة فى أمر معين من أحد الشيوخ.(١)

واعتاد الآباء أيضاً الالتقاء فى مناسبات الأعياد العامة وأعياد القديسين كما أنه فى حالة مرض أحد من الآباء فى القلالى كان يحضر للدير ويكلف أحد الآباء الشبان بخدمته والتعهد به حتى يتماثل للشفاء.

ومن التقاليد التى كانت وما زالت موجودة حتى الآن، أنه لو شعر أحد الآباء بقرب رحيله من هذا العالم، كان يستدعى الآباء ليودعهم ويطلب منهم الصلاة لأجله، وكان الآباء يتجمعون يصلون المزامير حتى تفيض روح ذلك الإنسان.

هذه صورة عن العلاقات الاجتماعية التى كانت تسود التجمعات الرهبانية سواء كانت علاقات اجتماعية أو علاقات روحية.

- العمل اليدوى:

يعتبر العمل أساسياً بالنسبة إلى الرهبان فى المجمع، أو ما يطلق عليه الحياة المشتركة، ولكن يعفى الرهبان الذين يحيون حياة الوحدة من العمل، وكذلك كبار السن والمرضى دون أن يخل ذلك بحياة الرهبنة.

---

1 - كتاب بستان الرهبان "سيرة القديس مقاريوس"، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بنى سويف والبهنسا. ١٩٧٦، صـ ٤١

وعلى الرغم من أن العمل أمر هام وضرورى فى الرهبنة، إلا أنه ليس مبدأ من صميم الحياة الرهبانية. بحيث أنه إذا مرت فترة على الراهب لا يعمل فيها، لا يكون قد فقد صفته الرهبانية فى هذه الفترة. بل على العكس قد يكون فى هذه الفترة أكثر رهبنة من الذين يعملون، لتفرغه للعبادة والصلاة. وهى الهدف الأساسى لحياة الرهبنة.

أما العمل فهو مجرد وسيلة لتقضية الوقت ومنع الملل والحصول على القوت إن لم يكن هناك مصدر للحصول عليه كما كان قديماً. لذا كان العمل اليدوى إجباريا للقادرين عليه (وليس للذين يعيشون حياة الوحدة) حتى بالنسبة لرؤساء الأديرة فمن لا يعمل لا يأكل كقول الكتاب هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن العمل له فوائده الروحية فهو يشغل الراهب عن الشرود فى أفكار لا توافقه.

ويقول Jerome فى مصر كنت الأديرة تنظر إلى العمل كعامل أساسى ليس فقط لإعالة الجسد بل أيضاً لخلاص الروح[١].

أما حكيم أمين[٢] فيرى من أهم الفروض ضرورة لقيام الراهب بالعمل اليدوى وهو أمر اقتضته التعاليم الدينية وحاجات المعيشة.

والقديس أنطونيوس أول من وضع أساس العمل اليدوى للرهبان وحذا حذوه فى هذا رهبان وادى النطرون، وانحصر العمل اليدوى أولاً فى صناعة الحصر والسلال وبيعها بواسطة أحد التلاميذ، ثم امتد إلى استخراج النطرون وبيعه للقوافل. ومما هو ملحوظ أن جدل الحصير أو عمل السلة لم يكن أمراً سهلاً فى الصحراء، بل احتاج إلى صبر طويل وخصوصاً أن ذلك يتطلب ضرورة الذهاب مسافة طويلة إلى حيث ينمو النخيل لقطع أغصانه وأليافه، ثم حملها إلى

---

[1] – Fr. Tadros Y.M., The Coptic Church., Op. Cit.

[2] – حكيم أمين "دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية"، ١٩٦٣ من ص ١٠٠ – ١١١.

صوامع الرهبان ووضعها فى الماء مدة طويلة ليسهل العمل بها.

وكان الشيوخ يقومون بتعليم الشباب من القـادمين إلـيهم والطـالبين الرهبانية عندهم طريقة العمل اليدوى، وكان يحدد العمل فى أوقـات خاصـة. لا يجوز للديرى أن يتخطاها ولا أن يقوم بعمل أكثر مما هو مطلوب منه. والحكمة فى هذا أن يصبح القانون الذى وضعه الآباء منفذاً بواسطة أى ديرى شـيخ أو شاب، حتى لا يتعرض المخالفون للعقاب، وقد حدث أن أحد الرهبان قـام بعمـل عدد كبير من الحُصر أكثر مما هو مطلوب، ظناً منـه أن ذلـك سيرضـى الأب الرئيس أب الدير وأهمل عمله الأصلى، وهو تقديم الطعام للرهبان. وعندما علم الأب بذلك الأمر، أمر بإحضار جميع عمله وحرقه بالنار على مرأى من جميـع رهبان الدير حتى يطيع ما أمر به ولا يخالف مرة أخرى.

ولم يقتصر العمل اليدوى على ضفر الخوص بل تعـداه إلـى تحسـين الخطوط ونسخ الكتب المقدسة، ورعى الماشية والرى والزرع والحصاد وأعمال المخازن، وكانوا ينتجون أعمالهم اليدوية لسد احتياجات الدير والإحسان علـى المحتاجين أى أن العمل وسيلة لكسب القوت الضرورى ولكى لا يكون الراهـب عالة على المجتمع.

ويقول مراد كامل أن كل راهب كان يعمل فى المهنة التـى يتقنهـا،[1] والعمل اليدوى حالياً ليس إجباريا، وإذا كان أغلب الرهبـان يقومـون بأعمـال ولكن ليس بالضرورة يدوية مثل تدبير شئون الدير، ومكتبة الاستعارة واستقبال الضيوف والتعمير والزراعة.... وغيرها.

٤- خصائص نظم الرهبنة فى الوقت الحاضر

اتضح من الدراسة الميدانية أنه حالياً لا نستطيع إطلاقـاً أن نقـول أن هناك ديراً من أديرة وادى النطرون يتميز بخاصية منفردة من خصائص الرهبنة

---

1 - مراد كامل: مرجع سابق.

القديمة لا يحيد عنها. فلا يوجد دير هو صورة ثابتة للنظام الأنطونى أو المقارى أو الباخومى. إنما كل دير من الأديرة الأربعة قد أخذ بشئ من النظم القديمة واجتمعت فيه كل الصور معا.

نظام الوحدة الكاملة كما هو فى أديرة أنطونيوس القديمة غير موجود فعلاً فى أى دير من الأديرة. ومع ذلك نجد أن الوحدة مصرح بها لأفراد وليس كنظام عام للدير.

ففى دير السريان مثلاً نجد أنه قد بنيت كثير من القلالى المنفردة لمحبى الوحدة. يسكنها رهبان غير مكلفين بعمل من أعمال الدير أو بمسئولية من مسئولياته. كما خرج بعض الرهبان من الدير لكى يعيشوا فى مغارات فى بعض التلال المحيطة بالدير.

وكذلك نجد أن بعض الرهبان قد خرجوا لحياة الوحدة فى المغارات من دير البراموس وأنبا مقار والأنبا بيشوى. ولكن هؤلاء الرهبان الذين يعيشون حياة الوحدة فى المغارات لم يعيشوا كالآباء القدامى منفصلين عن الأديرة ويقتاتون من عمل أيديهم، أو مما يتركه لهم الزوار، وإنما كل الذين يعيشون حياة الوحدة يعتمدون على أديرتهم فى كل احتياجاتهم فيصلهم من الدير الماء والغذاء والملابس وكل ما يلزمهم من احتياجات فى معيشتهم. وغالباً ما يكون لكل من يعيش حياة الوحدة من هؤلاء راهب من الدير يتولى خدمته وإحضار ما يلزم له.

وأيضاً كل راهب من هؤلاء الذين يعيشون حياة الوحدة له قلاية فى الدير خاصة به، يأتى إليها حينما يريد الصلاة فى الدير وحينما يلزمه مرضه بالالتجاء إلى الدير، أو حينما يقضى فترة بين رهبان الدير يرجع بعدها إلى مغارته.

ويلاحظ حالياً أن كل الرهبان الذين يعيشون حياة الوحدة ينتسبون إلى أديرة. وفى بدء رهبنتهم لم يتتلمذوا على راهب يعيش فى الوحدة قديم يلبسهم الزى الرهبانى ويعيشون فى طاعته كما كان فى النظم الأنطونية، إنما ترهبوا كرهبان عاديين فى أديرة ثم تدرجوا إلى حياة الوحدة ولم يبدأوا بها.

فقد قام دير الأنبا مقار بإصلاح ٣٠٠ فدان زرعها بالبطيخ صُدر منه إلى الخارج وباع منه داخل مصر. ويحاول أن يقوم باستصلاح ألف فدان أخرى بالتعاون مع وزارة التعمير زرع فيها البنجر السكرى وقام فيها بتربية البهائم والدواجن والأغنام وبيع نوع معين من البيض من دجاج أستورد من فرنسا.(*)

وهذا العمل يستلزم مجهوداً جباراً من الرهبان فى أعمال الزراعة، وفى الماكينات الزراعية وفى أعمال الكهرباء، وفى أعمال التصدير والبيع والشراء، وفى الإشراف على أعمال البناء لا يمكن معه مطلقاً أن نصف الدير بحياة الوحدة، لأن مسئولياته تستلزم أن يقوم عدداً كبيراً جداً من الرهبان بالمساهمة فى عمل على هذا النطاق الواسع.

ومع ذلك لا نستطيع أن نقول أن الوحدة مختفية فيه فيوجد بعض رهبان يعيشون فى وحدة ولكنهم أفراد، فالدير طابعه باخومى فى عمله، وأنطونى فى بعض أفراده، وربما مقارى فى رهبان قلائل يعملون ويحتفظون بوقت لأنفسهم.

ودير الأنبا بيشوى يقوم بمشروعات فى البناء والعمران وتعمير الأرض على نطاق أقل بكثير. وهنا نقول أن بعضاً من رهبانه (ربما أقل من ربع رهبان الدير) يعملون بالنظام الباخومى من حيث العمل فى الزراعة والبناء والتعمير،

---

* - هذا كان وقت إجراء الدراسة الميدانية وحالياً جميع الأديرة بوادى النطرون تقوم بالتعمير العمرانى وإنشاء العديد من المشروعات الإنتاجية الغذائية متربية الدواجن والماشية ومنجاتها من البيض والألبان والأسماك وغيرها، فهى لم تعد تنطبق على دير أنبا مقار وحده بل أن الأديرة الأربعة سارت على نفس المنوال.

وجزء من رهبانه يحيا حياة الوحدة وجزء بالطريقة المقارية والمعروفة.

أما دير السريان والبراموس فالعمل فيهما أقل جدا وربما عبوؤه على راهبين أو ثلاثة فهو لا يتصف إطلاقاً بالنظام الباخومي، كذلك هو ليس أنطوانيا خالصاً مع وجود بعض الرهبان فى الوحدة.

ونستطيع أن نقول أن الصفة الغالبة هى النظام المقارى المتطور بما يناسب العصر الحاضر. فبدلا من عمل اليد الذى كان يقوم به الرهبان فى النظام المقارى فى العصور الأولى توجد حالياً الأعمال المشتركة التى تستلزمها حاجة الدير. مع بقاء كل راهب حراً فى يومه يتصرف فيه كما يشاء بعد القيام بمسئولياته اللازمة فى الدير.

- الخدمة خارج الدير:

كشفت الدراسة الحقلية أن الأديرة الأربعة جميعها تساهم فى خدمة الكنيسة خارج الدير. وهذا الأمر لم يكن موجوداً إطلاقاً فى نظام القديس الأنبا أنطونيوس ولا نظام الأنبا باخوميوس ولا نظام الأنبا مقاريوس. ولعله يرجع إلى احتياج الكنيسة إلى خدمة الرهبان. وإلى عدم انتشار حياة الوحدة فى الأديرة القبطية إلا بين القليل.

وقد بدأت الكنيسة فى الاستعانة بالرهبان فى الخدمة منذ قرنين من الزمان وحالياً خدمتهم أقل بكثير من الجيل السابق الذى كان فيه غالبية كهنة القرى من الرهبان. الأمر الذى اختفى حالياً، وأصبح نزول الراهب إلى الخدمة فى الأماكن التى لا تستطيع أن تقوم بتكاليف كاهن متزوج هو وأسرته.

- الــزوار:

بقى النظام كما هو فالرهبنة منذ عصورها الأولى وهى تسمح بمجئ الزوار إلى الدير لمنفعتهم الروحية ولطلب البركة والصلاة عنهم، والتاريخ أيضاً ذكر كيف أن السواح يفدون من الخارج لزيارة رهبان مصر والكتابة عنهم

ونشر أقوالهم الروحية. وما يزال الأمر كما هو حيث تفتح الأديرة أبوابها للزوار فيما عدا فى مناسبات معينة كأيام الصـوم مـثلاً ليحـتفظ الرهبـان بوحـدتهم وهدوئهم.

وسنعرض فى الفصل التالى الحياة الاجتماعيـة فـى وادى النطـرون وأديرته، والعوامل الأيكولوجية التى ساعدت على قيام الحياة الديرية فـى تلـك المنطقة، والصراع بين الإنسان والطبيعة، وكيف تغلب الرهبان علـى مشـقات الحياة، وعوامل الطبيعة حتى استطاعوا السيطرة عليها. وكيف نشـأت الأديـرة بتلك المنطقة ثم كيفية الانخراط فى الرهبنة، وأهم المراكز والأدوار الموجـودة فى الحياة الديرية، ثم نتطرق إلى العمل أهميته وتقسيمه وفلسفته.

الفصل الرابـع

الحياة الاجتماعية
فى أديرة وادى النطرون

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية فى أديرة وادى النطرون

عرضنا فى الفصل السابق للرهبنة كنظام مسيحى نبع من تعاليم الديانة المسيحية مباشرة، وقد خضعت لمختلف ضروب التطور التى تتعرض لها عادة كافة الحركات الدينية والاجتماعية وما إليها. من حيث أنها بدأت بحياة العزلة الفردية، ثم تدرجت إلى حياة التعاون المحدود إلى أن انتهت إلى حياة الشركة الديرية.

وسنعرض فى هذا الفصل الحياة الاجتماعية فى وادى النطرون وأديرته، والعوامل الايكولوجية(*) التى ساعدت على قيام الحياة الديرية فى تلك المنطقة، والصراع بين الإنسان والطبيعة وكيف تغلب الرهبان على مشقات الحياة وعوامل الطبيعة حتى استطاعوا السيطرة عليها. وكيف نشأت الأديرة بتلك المنطقة وتاريخ تأسيس الأديرة العامرة الآن، ثم نعرض درجات الرهبنة وشعائر التكريس، أما فى القسم الثالث من هذا الفصل فسنتعرض للمراكز الموجودة بالدير والأدوار التى يقوم بها الرهبان الذين يشغلون هذه المراكز ثم نتطرق إلى العمل أهميته وتقسيمه.

أولاً: ايكولوجيا الحياة الديرية:

يذكر أدولف ارمان فى كتابه "ديانة مصر القديمة"، أن ديانة أى شعب تتأثر بطبيعة البلاد التى يسكنها ذلك الشعب، وبالحياة التى يحياها. فبيئة الإنسان الذى يسكن شواطئ البحار تختلف كل الاختلاف عن بيئة ذلك الذى يسكن الغابة أو السهل، كذلك فليس من شك فى أن الشعب البدائى الذى يعيش

---

* - الايكولوجية: هى الظروف والأحوال البيئية والجوية.

مستقراً في حقوله[1] الخصيبة يفكر في آلهة تختلف في كنهها عن تلك التي يتخيلها شعب فقير ينتقل من مكان لآخر.

ومن هنا اتخذت الديانة المصرية لنفسها طابعاً خاصاً يتفق مع طبيعة الحياة الهادئة والعمل المستمر الذي تحتمه البيئة التي يعيش فيها المصري، الذي يزرع أرضه ويرعى ماشيته، وبجانب ذلك حوت مصر ظاهرة أخرى استرعت انتباه سكانها وهي الشمس التي تشرق فجأة وراء جبال الصحراء، كذلك لاحظ المصري النجوم تملأ الفضاء أثناء الليل ومن بينها القمر، وكانت تنتاب مصر أيضاً من حين لآخر بعض العواصف الشديدة مصحوبة بالصواعق. وفي تلك الحالة تختفي الشمس. كل هذه كانت تثير ذهن المصري فاعتقد أن كل هذه الكائنات ما هي إلا آلهة كبرى بل هي أكبر الآلهة التي تهيمن على العالم ويؤكد ذلك روجيه باستيد في أن للبيئة الأيكولوجية والظروف الجغرافية أثر كبير في تشكيل الحياة الدينية فإن كان المناخ بارداً حاراً يؤدي إلى إضعاف الإنسان، لذا كانت ديانات الشرق أكثر ثباتاً وأن كان المناخ بارداً يقهر المرء على الحركة لكي يشعر بالدفء، لذا كانت ديانات الأقاليم الشمالية أكثر قابلية للتغير.[2]

وتزداد الجماعات الدينية التأملية بازدياد الحرارة، وقد كتب فريزر أن الدين خضع كباقي النظم الأخرى- لتأثير العوامل الطبيعية المحيطة به.

وهذا ما يؤكده روجيه باستيد من أن طبيعة الأرض تؤثر في اختيار أماكن المقابر والمعابد، وقد اضطر المصريون (القدماء) إلى اختيار أماكن بعيدة

---

1 - أدولف ارمان: ديانه مصر القديمة، ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكرى وزارة المعارف العمومية، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر غير مبين السنة. الفصل الأول.

2- روجية باستيد: مبادئ علم الاجتماع الديني . ترجمة محمود قاسم مطبعة الأنجلو المصرية. ١٩٥١، صـ ١٦٦

عن النيل لقبورهم بسبب فيضانات النهر. وكان لهذا رد فعل فى فكرتهم عن العالم الآخر.

إذن تتدخل العوامل الجغرافية والأيكولوجية فى تحديد نمط الحياة الدينية، ولكن هذه العوامل تبدو هامة بصفة خاصة فى الماضى ولكن تغيرت بسيطرة الإنسان على الطبيعة وتغيير معالمها.

ويرى علماء الاجتماع أن هناك علاقة بين النماذج الدينية وبين مختلف التركيبات الاجتماعية، فكما قسم علماء الأجناس من الألمان الديانات إلى "ديانات شعوب زراعية، وديانات الرعاة" ديانات المتحضرين أى على أساس أسلوب الجماعة فى الحياة.

نجد هناك تصنيفاً آخر على أساس اتساع الجماعة فيقول: المذاهب الدينية للعشائر (التوتمية)، والمذاهب القبلية والوطنية (تعدد الآلهة لدى الإغريق) الديانات العالمية (كالمسيحية والإسلام).

ولكن د. أحمد أبو زيد يقول أنه على الرغم من تأثير البيئة والنسق الأيكولوجى على البناء الاجتماعى باعتباره جزء منه. وتأثيره فى الحياة الاجتماعية، إلا أنه من الخطأ الزعم بأنه يصل إلى حد تشكيل حياة الناس كلها وتوجيهها بطريقة معينة بالذات، فى اتجاه محدد بالذات. كما أن الظروف البيئية الواحدة كثيراً ما تجد استجابات مختلفة من الجماعات المختلفة. وتختلف أيضاً وسائل السيطرة على الطبيعة من جماعة لأخرى.[1]

وتبعاً لذلك يمكن القول أن ما تتمتع به الصحراء من هدوء وسكينة وجو حار قد ساعد على ظهور الحياة النسكية الرهبانية، أى نمط الحياة الصوفية القائم على التأمل الباطنى، وعلى الرغم من أن الأديرة تقع فى الصحراء، وتصادفها كثير من المشقات إلا أن الرهبان يحاولون التغلب على

---

1 - د. أحمد أبو زيد: الأنساق، البناء الاجتماعى، مرجع سابق، جـ ٢، صـ ٨٤

الظواهر الطبيعية.

أيضاً وليم هـ. ورل يؤكد أن الظروف الأيكولوجية فى مصر ساعدت على ازدهار ونمو الحياة الرهبانية النسكية بأشكالها المختلفة سواء كانت الوحدة أو الجماعات أو حياة الشركة.(١)

فمصر من البلاد القليلة التى يستطيع فيها المرء أن يعيش فى الخلاء فى أى وقت يشاء، ولا يعوزه لذلك سوى أن يستقر بجوار نبع ماء، أو يأوى إلى مغارة أو قصر قديم، أو كوخ من الأحجار، كما أنه يستطيع الحصول على ما يسد به رمقه عن طريق المقايضة على ما كان يصنعه من سلال وحبال كما رأينا. بعكس الحال فى بعض البلاد الأخرى التى كانت طبيعتها الأيكولوجية تقف عائقاً فى طريق النسك.

إذ يذكر وليم رول فى مقاله "موجز تاريخ القبط" أنه نتيجة للظروف الأيكولوجية الجوية فى أوربا ظلت حياة التنسك بوجه عام تقليداً مكتوباً، بينما أصبحت الحياة الرهبانية فى مظهرها الجماعى هى الشكل الذى ساد فى أوربا.

أى أنه يقصد أن ظروف البيئة فى أوربا لم تساعد على حياة الوحدة المطلقة، تلك التى اشتهرت بها مصر، وللصحراء أهمية كبرى فى ذلك فهى التى ساعدت الناسك المصرى على الوحدة بسحرها الذى لا يدرك كنهه إلا من اختبره، وبالهدوء والسكينة اللتين تتوفران فيها.

وعلى الرغم من صعوبات الصحراء، إلا أن أيكولوجية منطقة وادى النطرون ساعدت على قيام الحياة الديرية هناك، وإلى توطن الجماعات النسكية بها لما تتمتع به من هدوء وسكون من جهة، ووجود المقومات الطبيعية لقيام أى حياة فيها كالماء والزراعة ومواد البناء.

---

1 - وليم هـ. ورل: موجز تاريخ القبط، رسالة مارمينا الخامسة. ١٩٥٤. صـ١٣٧.

فمن جهة الماء التى هى مطلب أساسى جوهرى لكل من يقيم سواء فى الصحراء أو فى أى منطقة تتوفر فى المنطقة، لذا فإن القبائل الرحل كانت تحـط رحالها حيث يوجد الماء وحيث تتوفر الأماكن المعيشية طبيعياً.

ويوجد الماء فى وادى النطرون على صورتين، أمكن للأديرة الانتفـاع بهما:-

١- الماء الجوفى السطحى:-

ويوجد فى المناطق المنخفضة على بعد متر واحد أو أقل، حيث يمكـن حفر بئر والانتفاع بالماء لشرب الإنسان والحيوان، وعلى هـذا المـاء يمكـن زراعة البطيخ البعلى الذى ترتوى جذوره من تلك المياه الباطنية القريبـة مـن السطح ويزرع فى خطوط محفورة، ومع البطـيخ تـزرع بعـض الخضـراوات والنباتات الأخرى.

٢- الماء الجوفى الخاص بالآبار الارتوازية:-

تختلف طبيعة الأرض فى وادى النطرون من مكان إلى آخر حتـى فـى الدير الواحد فتوجد طبقات أرضية طفليه، وطبقات أخرى من الحجـر الجيـرى، وطبقات من الحصى وأخرى رمليه هى التى تحتفظ بالماء فى مسامها، وبخاصة المناطق ذات الرمل الخشن. وتعتبر منطقة دير الأنبا بيشوى ودير السـريان – وهما ديران متجاوران– من أفضل المناطق الديرية التى يوجد بها ماء صـالح. أما منطقة دير أنبا مقار ومنطقة دير البراموس فنسبة الملوحة فى كثيـر مـن جهاتهما عالية. وهذا لا يمنع من وجود بعض مناطق بها مياهها صالحة.

وقد أنشئ فى كل دير من الأديرة الأربعة فـى وادى النطـرون آبـار، ولذلك فإنه يوجد فى كل دير بئران على الأقل أثريان. أحدهما بئر فـى منطقـة قلالى الدير، والثانى بئر داخل الحصن الذى كان يختبئ فيه الرهبان أثناء غارات البربر، فلابد من أن يكون لهم مصدر للمياه داخل الحصن. وفى دير أنبا بيشوى

يوجد بئر ثالث. وقد حفر دير الأنبا بيشوى بئرين فى الحديقة المنشـــأة حــديثا، عمق الواحد منها ٢٦ متراً، والآخر ٤٤ متراً يجتمعان معاً حيث توجد ماكينـــة للمياه، ترفع الماء من هذه الأعماق إلى صهريج مياه بُنى إلى جوارهـــا يغــذى الدير كله بالماء النقى.

أيضاً تم حفر آبار أخرى بطرق أحدث عن طريــق شــركة "ريجــوا"، وشركة "مصر للبترول" عمق أحد هذه الآبار ٨٠ متراً، وعمــق الثـــانى ٩٢ متراً، وعمق الثالث ١٢٠ متراً وكلها أخرجت ماءً عذباً صالحاً للرى، وللشـــرب وأعمال البناء. وأقيمت إلى جوارها زراعات تعتمد عليها. والدير بصــدد بنـــاء صهاريج أخرى للمياه لتغذية مناطقه الأخرى.

وعلى الرغم من أن الصحراء وإن كانت بعيده عن نهــر النيــل، فـــلا تغذيها ترع متفرعة منه، إلا أنها غنية بالمياه الجوفية على أعمـــاق متفاوتـــة. وهذا يوضح علاقة الراهب بالبيئة الطبيعية وكيف تغلب على الصــعوبات التـــى تواجهه واستطاع أن يطوعها ويستغل مواردها الطبيعية. ليس فقط عن طريـــق الآبار، بل تم حفر ترع للاستفادة من تلك المياه الجوفية، فحَفــرَ اثنتـــين المـــاء فيهما على عمق ثلاثة أمتار تقريباً وعرض كل منهما ٨ أمتار، وطول أحــدهما ١٥٠ متراً، الثانية ثلاثمائة وثلاثين متراً (٣٣٠م) وتسمى هذه الترعة فى الدير (جابيه). وعلى كل من هاتين الترعتين ماكينات لرفع المياه، يبلغ عــددها ســت ماكينات.

والملحوظ أن مياه الترعتين على كثرتها لا يمكن أن يســتخدمها الــدير للشرب على الرغم من جودتها وعذوبتها، ويرجع ذلـــك إلـــى أنهـــا مكشــوفة ومعرضه للتلوث، لذلك فهى تستخدم لرى المزروعات، كمـــا أنـــه تربـــى فيهـــا الأسماك وهذا شئ جديد فى الصحراء ويمكن فى المستقبل أن تدر ثروة كبيـــرة، وأن تكون مصدراً للغذاء بالنسبة للدير ورهبانه وزواره.

أما مياه الشرب فتؤخذ من صهاريج المياه التى تأتى من أعماق تحت الأرض فى مواسير نقيه.

- المناخ والرياح:-

مناخ وادى النطرون صحراوى، شديد الحرارة نهاراً وصيفاً، شديد البرودة ليلاً وشتاءاً. وكثيراً ما تهب العواصف الرملية الشديدة، فتردم المزروعات والأبنية أيضاً. ولذلك فإن الأديرة التى قاومت الرياح واستطاعت أن تصمد هى تلك الأديرة الضخمة ذات الأسوار العالية التى تبلغ حوالى ١٥ متراً مع احتياطات معينة فى البناء بهندسة خاصة لصد تلك الرياح.

إذ أن الأسوار المنخفضة يمكن أن تردم إذا واجهتها الرياح الغربية، فأشد أنواع الرياح صعوبة فى الصحراء هى التى تهب من الشمال ومن الغرب. ولهذا فإن الأبنية تقام بحيث توجد نوافذ قبلية للتدفئة. وفى الصيف يلزم وجود نافذة من الناحية البحرية ولذا فإن غرف المسكن تتجه غالبها اتجاهاً بحرياً قبلياً. ويبذل الرهبان جهوداً شديدة لمقاومة عوامل الطبيعة، وردم الرمال لمساكنهم ومزروعاتهم. ومن هنا ينشأ الرهبان على درجة من الصلابة التى تصلح لمقاومة الطبيعة، وليس سهلاً على المرء العادى أن يستيقظ فى نصف الليل من دفء الفراش، لكى يواجه الرياح الباردة والعواصف بالليل وهو سائر فى طريقه نحو الكنيسة لتأدية صلاة نصف الليل والستار وباكر، ولكن الرهبان قد تعودوا على هذا الوضع.

- طبيعة الأرض:-

الأرض غالبيتها رملية تتخللها بعض مرتفعات وتلال صغيرة. والتلال لا تصلح للزراعة لأنها مغطاة بالحصى، وبعضها تتكون من أحجار جيرية وطفلة لا تصلح للزراعة. أيضاً لا تصلح الأراضى الطفلية حتى إن لم يكن بها المرتفعات مثل كثير من الأراضى المحيطة بدير البراموس.

أما الأراضى الرملية فتصلح لزراعة بعض النباتات والأشجار. وأول مزروعات قام الدير بزراعتها هو شجر الكازورينا وشجر الكافور، وله أهمية رئيسية فى مقاومته الشديدة للرياح فهو يصد تلك الرياح التى تحيط بالمزروعات وتردمها بالرمال، فهو إذن مصدات للهواء والرمال. كما أنها تحيط بالمزروعات فى الجانبين فتقوم بتدفئتها من الرياح الباردة ليلاً، والباردة شتاءاً. كما أن هذه الأشجار توجد ظلالاً تخفف من حرارة الصحراء وترطب الجو وتوحى للإنسان بأنه فى واحة وسط الصحراء.

بالإضافة إلى أنها تكون ثروة خشبية يمكن استغلالها. وعلى الأقل يستفيد منها العمال الذين يعملون بالدير فى إشعال النار للتدفئة ويلتفون حولها لشرب الشاى "الراكية".

والأرض الرملية أيضاً صالحة لزراعة أشجار النخيل والزيتون والموالح. وكثير من أشجار الفاكهة والموز والرمان الخ. وأشهر مزروعات البرية فى العصور الأولى للرهبنة هو النخيل فيستخدم التمر كطعام، والخوص فى صنع السلال، والليف فى صنع الحبال وربط السلال. ولذا نجد فى كل دير كمية من النخيل يرجع عمرها إلى أكثر من ٥٠ سنة.

- مواد البناء:-

توجد فى الصحراء كثير من مواد البناء. ففيها على الأقل الرمل والحصى اللازمان لكل بناء خرسانى. وفى العصور القديمة كانوا يعتمدون على الأبنية الحجرية لوجود الحجر الجيرى بكثرة فى الصحراء. يمكن قطعة من المحاجر، كما توجد الطفلة "الطين" التى تصلح للمونة. وحالياً يمكن استخدام الطفلة فى صنع الطوب الطفلى، كما يمكن صنع الطوب الرملى بسهولة. وتوجد فى الصحراء الخامات الصالحة لصنع الطوب، وأيضاً الجبس والمصيص وكلها من مواد البناء.

ولعل توفر مواد البناء هذه هو الذى ساعد على بناء هذه الأديرة الضخمة من القرن الرابع، حيث يبلغ عرض ا لسور فى كثير من أجزائه مترين أو أكثر. ولعل هذه الضخامة من الأسباب التى ساعدت على بقاء هذه الأديرة عبر الزمن.

على أن بعض مواد البناء هذه كانت تحتاج إلى كميات كثيرة من الحطب لحرق خاماتها، فى أفران تصنع بطريقة خاصة تسمى "قمينة" مع سحقها ثم غربلتها. وكانوا يجمعون هذا الحطب من الوادى أيضاً فهو متوفر من الأعشاب والشجيرات البرية الكثيرة. ومن هنا كان الوقود متوفراً فى الصحراء.

- الملاحات:-

توجد فى منطقة وادى النطرون ملاحات أى بحيرات صغيرة مالحة يستخرج منها الرهبان وسكان المنطقة ما يلزمهم من ملح.

والملح فى وادى النطرون مثل الرمل والحصى والطفلة يأخذ منه كل من يحتاج بدون ثمن. ويوجد بين الملاحتين الكبيرتين طريق يسمونه مفصل.

من هذا يتضح أنه على الرغم من طبيعة القفر الواضحة التى تتميز بها الصحراء، إلا أن بها عوامل طبيعية كثيرة ومقومات ساعدت على قيام حياة ديرية، من حيث توفر المواد الضرورية اللازمة لقيام حياة أيضاً لما تتمتع به من فضاء واسع وسكينة، كما أن له آثاراً من الناحية الفيزيقية إذ يجعل سكان الصحراء أقوى بصراً لأن نظرهم لا يصطدم بشئ على مسافات بعيدة، أما من الناحية الفكرية فيؤدى بالإنسان إلى أن يتجه فكره إلى اللامحدود. وهذا ينعكس على الرهبان كما ينعكس على سكان الصحراء، فهى تمنح الرهبان هدوءاً للطبع وصفاء للنفس. ولذا أحياناً نجد بعض الرهبان إذا نزل أحدهم إلى المدينة يضيق بازدحامها وضوضائها، ويشتاق إلى العودة سريعاً إلى ديره وإلى قلايته. ولذلك أيضاً فكثير من الأساقفة الذين تخرجوا من الأديرة يأتون إليها من حين لآخر.

وأحياناً يقضون بعض الأصوام القصيرة فى الدير، ويرونها فترة للرجـوع إلـى هدوء النفس والأفكار. كما أنها تكون فترة للتأمل والعبادة. والعودة إلى الحيـاة البسيطة التى يعيشها الراهب التى لا تكلف فيها ولا رسميات، تشـعر الإنسـان بالزهد فى الحياة، وفى الماديات. ولهذا تأثيره فى حياة الرعاة الروحيين أيضـاً نجد قداسة البابا لا يمض عليه أسبوع إلا ويذهب إلى الدير.

ويمكن أن نلخص الظروف الايكولوجية لأديرة وادى النطرون فيما يلى:-

أولاً: مظاهر الاتفاق:

١- اختار مؤسسوا هذه الأديرة مواقع لها تتميز أولاً بوجود منبع للماء يعيشون حوله كمثل أية واحة فى الصحراء تجتمع فيها الحياة حول الماء. لذلك نجد فى كل دير بئراً أو أكثر يصلح ماءه للشرب.

٢- وعلى الرغم من أن وادى النطرون مشهور بوجود بعض الملاحـات فيـه يُستخرج منها الملح والنطرون، وعلى الرغم من وجـود أراضـى ملحيـة كثيرة فى هذا الوادى لا تصلح للزراعة. إلا أن أماكن الأديرة بالإضافة إلـى وجود الماء العذب فيها، توجد حولها أراضى تصلح للزراعة ممـا سـاعد الرهبان على استصلاح تلك الأراضى والاستفادة بها فى معيشتهم.

٣- توجد حول الأديرة مصادر أخرى تساعد على الحياة، فهناك الحجر الجيـرى الذى يساعد على البناء والذى منه بنيت أسوار الأديرة وقلاليهـا القديمـة. كما توجد "الطفلة" أى (الطين) التى تستخدم بدلاً من الأسمنت فـى البنـاء (المونة).

وفى أعمال البناء توجد أيضاً فى هذه المنطقة كميات من الزلط والرمل فى كل مواقع الأديرة الأربعة تساعد فى أعمال الخرسانة.

٤- فى بعض المناطق من الوادى كانت توجد مناطق للجير وللجـبس تسـاعد على طلاء المبانى بعد حرقها بطريقة خاصة.

٥- وتنمو فى الوادى أيضاً بعض الأعشاب البرية وهى كثيرة يمكن أن تجتث وتصلح حطباً للوقود وقد استخدمتها الأديرة قديماً وإن كانت حالياً لا تستخدم هذا النوع من الوقود.

٦- وتعد مناطق الأديرة من الناحية الفيزيقية صالحة للسكنى إلا فى بعض الأيام التى تهب فيها الرياح العاصفة التى تزداد فيها الرمال والتى يتقى الرهبان عنفها بزراعة الأشجار العالية كمصدات للرياح والأتربة.

ثانياً:- مظاهر الاختلاف:

مظاهر الاختلاف قليلة جداً، حتى لتكاد تكون نادرة. ومن أمثلتها طبيعة الأرض فغالبية الأرض المحيطة بدير البراموس مثلاً هى أرض طفلية لا تصلح للزراعة ولذا يختار الرهبان ما يمكنهم زراعته من الأراضى الرملية.

كذلك الملح يترسب فى أعماق تلك المنطقة، والمعروف أن الملح يهبط إلى العمق والمياه العذبة تصل إلى السطح ولذلك فقد حفر الدير بئراً على عمق ٧٠ متراً وكانت مياهها مالحة تماماً كمياه البحر، ثم تنبه إلى الحقيقة العلمية فحفر آباراً أخرى على عمق ٣٠-٦٠ م فأعطت ماءاً عذباً.

ويعتبر دير الأنبا بيشوى هو أصلح هذه الأديرة من جهة الماء، يليه دير السريان فدير أنبا مقار وآخرها دير البراموس. وقد أدى هذا إلى اختلاف وتنوع الأعمال الزراعية وأمكن بالطرق العلمية السيطرة على تباين طبيعة الأرض فى باطنها من منطقة إلى أخرى، حتى فى الدير الواحد قد توجد منطقة لا يمكن أن يستخرج منها ماء وعلى بعد مئات من الأمتار منطقة أخرى تصلح لاستخراج الماء، وهذا يحتاج إلى صبر وخبرة حتى يتوصل إلى طبيعة الأرض. كما قد يوجد منطقة لا تصلح فيها مستودعات الماء السطحية "الترانشات" (الجوابى)، بينما قد تصلح فيها المياه الارتوازية بآبار على عمق ٤٠، ٧٠، ١٠٠م حسب طبيعة الأرض.

كذلك تختلف هذه الأديرة من حيث تعرض بعضها للرياح ومدى ما يحيط بها من تلال مجاوره أو ما تحيط بعضها من كثبان أو رمال، وأكثرها تعرضاً للرمال هو دير البراموس الذى يوجد فى أقصى الشمال الغربى من المنطقة، وأيضاً غرب دير السريان وقد قامت الأديرة لمواجهة تلك الرمال بغرس الأشجار العالية من الكافور والكازورينا بقدر الإمكان.

أديرة وادى النطرون

تذكر مطبوعات دير السريان أنه من اليسير أن نتعرف فى وادى النطرون على ثلاث مناطق كانت فيما مضى، ولا زالت مراكز أساسية للرهبنة. يوجد الآن فى كل منها دير أو أكثر آهلاً بالرهبان. وعدد من الأديرة المندثرة.

ففى الشمال الغربى نجد أن الدير العامر هو دير السيدة "براموس" وعدد من الأديرة المندثرة من أهمها دير أنبا موسى.

وفى الوسط يوجد دير أنبا بيشوى، والسيدة العذراء الشهير بالسريان وبعض أطلال أديرة أخرى.[١] ويذكر عمر طوسون أن هذا المكان الثانى يقع شرق الدير الأول بمقدار ساعة ونصف سيراً على الأقدام. وبجوارها أطلال أديرة القديس يؤنس القصير، ويؤنس كاما، وأنبا بنوب ودير الأرمن، وجبانة الرهبان. وفى الجنوب الشرقى بمقدار ثلاث ساعات سيراً على الأقدام يقع دير القديس مقاريوس وبجواره أطلال أديرة أخرى عرف منها دير أنبا زكريا.[٢]

ويذكر عمر طوسون أن التنسك فى العصور الأولى لم يكن على شكل تجمع فى أديرة محاطة بسور، كما هو الآن. بل كان الرهبان يعيشون منفردين فى قلالى منقورة فى الجبل أو صوامع من القصب والجريد. وحتى بعد غزوات

---

1 - دير السريان: سير الثلاثة مقارات القديسين، مكتبة مدارس التربية الكنيسة بالجيزة، أبريل ١٩٦٢.

2 - عمر طوسون: وادى النطرون "رهبانه وأديرته"، مطبعة السفير باسكندرية، صـ١٦٨، ١٦٩.

البربر. بدءوا ينتظمون فى شرانم. لكل منها دير قائم بذاته يتكون من كنيسة يصلى فيها الكل ومائدة كبيرة يتناولون فيها الطعام معاً كل أسبوع. وحصن يلجئون إليه فى غارات البربر.[1]

ويذكر روفينوس الذى زار مصر سنة ٣٢٧م (فى كتابه آباء الصحراء) أنه كان يوجد خمسون ديراً من هذا النوع.

ويؤكد بلاديوس فى تاريخ اللوزياك Histoire Lausiaqua أنه كان يوجد بصحراء نيتريا خمسة آلاف راهب يعيشون فرادى أو شرانم و ستمائة ناسك آخرين متفرقين فى الصحراء.

ويذكر المقريزى "فى خططه جـ١ ص١٨٦" أن وادى هبيب بعد الفتح العربى "كان به مائة دير للنصارى. ويذكر أنه خرج سبعون ألف راهب لاستقبال عمرو بن العاص بالطرانة يطلبون منه الأمان".

وعمر طوسون يُرجع اختلاف العلماء فى عدد الأديرة، وعدد الرهبان إلى اختلاف مفهوم ما يطلق عليه اسم الدير فى العصور المختلفة.

وروى اميلينو عن برية شيهات أن الأديرة المسماة بأسماء القديسين شيدت فى الأماكن التى يقطنون فيها. وأن جميع الأديرة الحالية وخرائب الأديرة التى نراها اليوم قائمة على أرض المنطقة التى تسمى برية شيهات.

أما كونبرج فيقول أنها مسماة بأسماء مؤسسيها وهم الأنبا مقار، والأنبا بيشوى والبراموس ويوحنا القصير. أما افلين هوايت فهو لا يجزم بأن الأديرة أخذت أسماءها فى وقت محدد، فقد ورد ذكرها فى قصص وأقوال الآباء فى القرن السادس. ولا يعنى هذا أنها سميت فى تلك الفترة فقط بأسماء هؤلاء القديسين، إذ أنهم كانوا مشهورين قبل ذلك التاريخ وعرفوا بأنهم مؤسسوا الأديرة.

---

1 - المرجع السابق.

١ - دير البراموس

تذكر جمعية مارمينا أن دير البراموس يقع فى الطرف الشمالى الغربى لوادى النطرون غربى الملاحات ويبعد مسافة ثمانية كم تقريباً عن قرية الهوكارية.[١] ويذكر القمص عبد المسيح المسعودى أنه أبعد أديرة برية شيهات فهو غرب ملاحات وادى النطرون بمسافة ساعة ونصف. ومن الشمال الشرقى له بنحو ٥٠ متر يقع دير أنبا موسى الأسود وهو خراب الآن.[٢] ويذكر القمص أنطونيوس الدويرى البرموسى أنه يوجد بجانب الدير من الناحية الشرقية البحرية بقايا أديرة خربه، وبالناحية الغربية القبلية قلالى خربة، وبجواره ديران خربان هما ديرا البراموس، وأنبا موسى الأسود، أما الدير العامر الآن يسمى دير السيدة العذراء براموس، وهو غير دير البراموس الأول. ويطلق على هذه البقعة "أولاد الملوك" ويقصد بها الأميران مكسيموس ودوماديوس ابنى فالنتينوس الأول إمبراطور الروم الذى حكم فى الفترة من ٣٦٤-٣٧٥م.[٣]

وسبب تسمية الدير باسم "براموس" يذكر افلين هوايت أنها مُعربة عن الكلمة القبطية Πⲁⲣⲱⲙⲉⲩ بـاروميئوس" Pa Romeos وهى تعنى الروم، فقد كتب الكتاب أن قلالى القديسين مكسيموس وذوماديوس اللذين أقاما فى تلك البقعة، أطلق عليها الأنبا مقاريوس قلالى الروم. نسبة إليهما. ولما توفيا بنى دير البراموس فى مكانهما.[٤]

---

1 - جمعية مارمينا العجايبى باسكندرية: الرهبنة القبطية، الرسالة الثالثة مطبعة رمسيس، ١٩٤٨، صـ٥٧.

2 - القمص عبد المسيح المسعودى: تحفة السائلين فى ذكر أديرة رهبان المصريين، مطبعة الشمس، ١٩٢٤، طبعة أولى، صـ٥٠.

3 - القمص أنطونيوس يسطس الدويرى: دير السيدة العذراء برموس، مكتبة المحبة القبطية ١٩٦٠، صـ٥٠.

4 - Huge Evelyn White: The Monastries of The Wadi N. Natrun: Aron Press Part II. P.98

وورد فـــى كتـــاب تحفـــة الســـائلين أن كلمـــة Παρωμεϒ "باروميئوس" ترجمتها "الذى للروم"، والمرجح من ذلك أنه سُمى بالبراموس نسبة إلى الأخوين الروميين. [١]

ويرجع افلين هوايت تاريخ تأسيس دير البراموس إلى تاريخ الكنيســة التى تحمل اسم القديسين، والتى بنيت بعد موتهما. وقد أطلق عليهـا القـديس مقاريوس "كنيسة الروم" نسبة إلى مجيئهما للإسقيط فى النصف الثـانى مـن القرن الرابع. [٢]

وبعض الآراء تؤكد أن الذى قام ببناء هذه الكنيسة الأنبا مقـاريوس[٣] عندما حضرا القديسان مكسيموس ودوماديوس إلى برية شيهيت "الأســقيط"، أسكنهما القديس مقاريوس الكبير مغارة فأقاما بها. [٤]

من هذا يتضح أن القديس مقاريوس بنى الكنيسة أثناء حياتهما، وكانا يُصليان فيها. وقد أطلق على الكنيسة اسم "السيدة العذراء" وسمى الدير المُقام معها (دير السيدة براموس)، وهو الدير الحالى، وكنيسته الأثرية المشهورة.

وقد أجمعت الآراء على أن دير البراموس هو أول تجمع رهبـانى فـى الأسقيط تحت قيادة القديس مقاريوس، حتى قبل إنشاء كنيسة الروم التى أطلقت على كنيسة مكسيموس ودوماديوس. ويذكر افلين هوايـت أن النتيجـة التـى يستخلصها من هذه الآراء أن البراموس هو أول تجمع أقامه القديس مقاريوس ٣٤٠م. وببنائه للكنيسة تجمع حولها بعض الرهبان من القاطنين مـن أمـاكن مختلفة فى الصحراء.

1- القمص عبد المسيح المسعودى: تحفة السائلين، مرجع سابق.
2- Huge Evelyn White: New York Op cit part II 1973 P.99
3 - مخطوط رقم ٧ : ٦ صــ ٤٢ بدير السريان.
4 - سنسكار ١٧ طوبة.

٢ – دير الأنبا مقار

يقع دير الأنبا مقار فى وادى النطرون على بعد ٥ كم غرب الكيلو ٩٢ فى الطريق الصحراوى من القاهرة إلى الإسكندرية. وهو يقع فى الجنوب الشرقى من ديرى السريان والأنبا بيشوى بمسافة ثلاث ساعات، ومن البراموس إليه خمس ساعات تقريباً. وقد قام بتأسيسه القديس مقاريوس بعد سنوات من بنائه لدير البراموس فى النصف الثانى من القرن الرابع.[١]

ويذكر افلين هوايت أنه بعد نياحة القديسين مكسيموس ودوماديوس أصبح القديس مقاريوس مشهوراً جداً، فغادر المكان الأول إلى مكان آخر وبدأ يبنى فيه كنيسة، وحفر بئراً. وهكذا بنى دير القديس مقاريوس فى موقعه الحالى.[٢]

وهذا ما يؤكده كتاب "سير الثلاثة مقارات القديسين" من أن القديس مقاريوس بعد أن أنشأ ديره الأول الذى دُعى باسم الروم. أنه انتقل إلى منطقة بيامون فى الجزء الجنوبى من الوادى. وعلى الصخر الواقع جنوب المنخفض أقام القديس، وأنشأ لنفسه قلاية وبنى كنيسة وأنشئت حول قلايته قلالى كثيرة منها أديرة صغيرة مثل قلاية أنبا زكريا أو الدنشيترى.[٣]

أيضاً سليم سليمان فى كتابه "مختصر تاريخ الأمة القبطية" يقول أن الأنبا مقاريوس عندما التف حوله كثيرون من الرهبان، بنى لهم ديراً لم يزل لليوم معروفاً باسم "دير القديس مقاريوس أو دير أبى مقار".[٤]

---

1 – دير أنبا مقار: مقال مطبوع " مرحبا بكم فى ديرنا"، مطبعة الدير غير مبين السنة.

2- Huge Evelyn Whit; Op. Cit. P. 104

3 – دير السريان: "سير الثلاثة مقارات القديسين"، صـ ٤ ، ٥ .

4 – سليم سليمان: مختصر تاريخ الأمة القبطية، صـ ٨ ، ٥.

ويذكر فى "سيرة الأنبا مقار" التى سطرها الأب سرابيون رئيس تلاميذ الأنبا أنطونيوس أن "الأب مقارد عاش حتى شاهد الأربعة ديوره معمورة جداً. وهى دير البراموس، دير أنبا مقار، دير يحنس القصير، ودير أنبا بيشوى[1] إلى الشمال الشرقى من أبو يحنس".

ودير يحنس القصير لا وجود له الآن، ولا يعرف بالضبط تاريخ إنشائه. ولكن افلين هوايت يذكر أن إنشاءه مرتبط بتأسيس دير الأنبا بيشوى معاً. فكل من يوحنا القصير والأنبا بيشوى كانا تلميذين للأنبا بموا المعاصر للقديس مقاريوس.

والقديس مقاريوس هو ابن كاهن يدعى ابر أهيم. ولد سنة ٣٠٠م، وكان يحمل النطرون على جمله من الوادى. وقد رُسم قساً. وفى سنة ٣٣٠م ترهب. وزار القديس الأنبا أنطونيوس وأسس رهبنه فى الأسقيط، بعد أن التف حوله جماعة كبيره من تلاميذه. وعاش حتى بلغ من العمر ٩٠ عاماً. وتوفى سنة ٣٩٠م. وبنى دير البراموس أولاً. ولما ضاقت كنيسته بالرهبان. بنى الكنيسة الثانية فى موقع ديره المعروف باسمه.[2]

٣ - دير الأنبا بيشوى

يحمل الدير اسم القديس الأنبا بيشوى الذى عاش فى القرن الرابع الميلادى وكان من تلاميذ الأنبا بموا المعاصر للقديس أنبا مقار الكبير مؤسس الرهبنة فى هذه المنطقة وأجمعت الآراء على أن القديس ولد سنة ٣٢٠م فى

---

1 - الأب سيرابيون: "سيرة أنبا مقار"، ميمر رقم ٥٣٦ (م) تاريخ مخطوط بدير أنبا بيشوى، صـ١٧٢.

* كلمة ميمر معناها قول أو مقالة، كما وردت فى كتاب تحفة السائلين، صـ٢١٧، ٢١٨.

2 - المرجع السابق.

قرية شنشا بالمنوفية[1]، وانطلق إلى برية شيهيت فى العشرين من عمره، ويذكر الأنبا بيمن أنه تنيح فى أبيب (١٥ يوليو سنة ٤١٧م) ودُفن فى حصن ليس بعيداً عن إنصنا "ملوى".[2]

وقد بدأ تعمير هذا الدير أيام القديس الأنبا بيشوى، ولما كان الرهبان فى ذلك الحين يعيشون حياة الوحدة فى قلالى متفرقة ومتباعدة فى الصحراء. لذلك كان أهم ما فى الدير وأقدم آثاره هو الكنيسة التى يجتمع فيها الرهبان للصلاة مرة كل أسبوع "مساء السبت وصباح الأحد" وربما لكثرة الرهبان كانت توجد أكثر من كنيسة. والدير فيه آثار كنيسة قديمة غير مستعمله، فى الجهة القبلية الشرقية من الكنيسة الكبرى، وكنائس أخرى مُلحقه بالكنيسة الكبرى.

وتوجد مائدة الطعام خلف الكنيسة مباشرة من جهة الغرب فى كل الأديرة الأربعة فى وادى النطرون. وهذا يرجح أن المائدة فى قِدم الكنيسة ذاتها، وترجع إلى القرن الرابع.

الجزء الثالث فى القِدم فى الدير هو سور الدير. وقد بُنى فى القديم لحماية الرهبان من غارات البربر التى زادت فى القرن الرابع وخربت الأسقيط. وأعيد بناء أديرته وكان لابد من وجود الأسوار، على أنه لا يُستبعد من الناحية التاريخية أن تكون بعض هذه الأسوار قد تهدمت بعامل الزمن وأعيد بناؤها فى تواريخ ترميم الدير.

والجزء الذى يلى الكنيسة والمائدة والسور فى القدم هو الحصن أو القصر القديم، والمعروف أن هذه الحصون بُنيت فى القرن الخامس فى عصر الإمبراطور زينون الذى ترهبت ابنته إيلاريه فى وادى النطرون متنكرة فى زى

---

1 - القمص بيشوى كامل: الأنبا بيشوى، مطبعة الكرنك بإسكندرية، ١٩٧٩، صـ ٨.
2 - الأنبا بيمن أسقف ملوى وإنصنا: سيرة القديس العظيم أنبا بيشوى، غير مبين السنة، صـ ٢٧.

رجل باسم الراهب إيلارى. فلما اكتشف الإمبراطور أمرها وأبدت له رغبتها فى البقاء فى الدير بنى حصناً فى الدير على النمط الرومانى، على الأقل حفاظا على ابنته. ولكنها طلبت منه أن يبنى حصوناً فى باقى الأديرة الأربعة فحقق لها رغبتها.

وهذا الحصن يوجد فيه بئر يستخدمه الرهبان أثناء هروبهم من البربر، كما توجد فيه كنيسة فى أعلاه على اسم الملاك ميخائيل على اعتبار أنه الملاك الحارس، لمن إلتجأو إلى هذا الحصن. وكانوا يضعون فيه بعضاً من الترمس الجاف أو أى نوع آخر من البقول لكى يكون طعاماً لهم إلى أن تنتهى إغارة البربر.

وهكذا كانت توجد فى الحصن إمكانيات للإقامة وللصلاة والأكل والشرب، وكان له باب يستخدم كجسر بين الدير والحصن، ويُرفع بسلك وبكر فيغلق الحصن من جهة ويفصله عن الدير من جهة أخرى.

أما باقى الأبنية فى الدير، فقد بُنيت فى عصور متفاوتة فى التاريخ. وبعضها حديث يرجع إلى أيامنا هذه.

وتوجد فى غالبية الأديرة المقبرة ويسمونها "طافوس" وهى كلمة يونانية الأصل، توجد فى الجهة الغربية من الدير على حسب عادة قدماء المصريين فى دفن موتاهم. وتوجد مقبرتين أو ثلاثة متجاورة، حتى إذا توفى راهب وكان راهب آخر قد دُفن فى المقبرة منذ أقل من سنة، لا تُفتح لأسباب صحية، وإنما يدفن فى المقبرة المجاورة لها. وذلك لأن الرهبان فى الدير لا توضع جثثهم فى صناديق كما يفعل الأقباط فى المدن وإنما يضعون الجثمان كما هو مُسجى على الأرض داخل حجرة المدفن ويسدون باب المقبرة بالحجارة. على أنه إذا كثرت العظام فى المقبرة بعد عشرات أو مئات السنين تنقل إلى مكان يسمى معضمة ويُغلق عليه.

ويوجد فى الدير أيضاً بئر أثرية عمقها حوالى ١٢ متراً ينظر إليها الرهبان بنوع من التقديس لأنه يُذكر عنها أن البربر غسلوا فيها سيوفهم بعد أن قتلوا مجموعه من الشهداء الرهبان فى القرن الرابع.

كما توجد بئراً أخرى فى الدير قديمة، وكان يستخدمها الرهبان للشرب وباقى احتياجاتهم، وحتى عهد قريب (من ٢٠ سنة تقريباً) كانت تستخدم هذه البئر عن طريق ساقيه " تديرها الحيولنات"، ولكن يوجد حالياً فى الدير ماكينة تدار بالكهرباء.

٤ – دير السريان

يقع بجوار دير الأنبا بيشوى وكلاهما يقعان فى الجنوب الشرقى من دير السيدة براموس بمسافة ساعتين[١].

وقد ذكره المقريزى بقوله دير بازاء دير أبو بشاى، كان بيد اليعاقبه[*] ثم ملكه رهبان السريان. وهذا الدير على اسم السيدة العذراء.

ويذكر عمر طوسون "أن هذا الدير القائم الآن به كنيسة يوحنا كاما فى الجانب الشرقى الشمالى". ولم يكن السريان هم الذين قاموا ببناء هذا الدير. ولكن المعروف أنه حوالى سنة (٧٠٠ش) ٩٨٤م، حضر جماعة من الرهبان وتوطنوا فى أحد الأديرة الموجودة فعندما أتى الرهبان السريان وحلوا بهذا الدير، أعطاهم الرهبان القبط كنيسة هذا الدير ليقيموا الصلاة فيها بلغتهم.[٢]

---

1 – القمص عبد المسيح المسعودى: تحفة السائلين، مرجع سابق، صـ٦٩.
2 – عمر طوسون: وادى النطرون "رهبانة وأديرته"، ١٩٣٥، صـ١٧٨ .
*-يعتقد المقريزى أن اليعاقبة هم الأقباط، ولكن فى الحقيقة أن اليعاقبة هم السريان وقد اختلط عليه الأمر.

ويذكر القمص صموئيل تاوضروس السريانى أن هذا الدير هو أصغر أديرة وادى النطرون.[1]

ثانياً : الانخراط فى الرهبنة

المُلاحظ فى أديرة وادى النطرون أن الاقبال على الرهبنة بدأ يزداد من المثقفين حتى أصبح يُمثل الغالبية من الرهبان. وقد بدأ دخول المثقفين فى هذه الأديرة منذ سنة ١٩٤٨. حيث توالى دخول الجامعيين فيها منذ الخمسينات، وبدأت تلك الظاهرة أى تزايد المثقفين أولاً فى دير السريان ومنه خرجت المجموعة التى عمرت دير الأنبا مقار ودير الأنبا بيشوى ودير البراموس، ومنه خرج قداسة البابا شنودة، والقمص متى المسكين أب رهبان دير أنبا مقار، وأيضاً الأنبا صرابامون رئيس دير الأنبا بيشوى الحالى، والأنبا أرسانيوس رئيس دير البراموس،(*) وكل هؤلاء ترهبوا بدير السريان، ثم انتشروا فى الأديرة وكونوا رهبانات حرصوا أن تتبع القواعد الرهبانية الأولى كما تعمقوا فى دراسة كتب الرهبنة. حيث نجد فى كل دير من هذه الأديرة الأربعة خريجين من مختلف الكليات الجامعية آداب وحقوق وتجارة وهندسة وطب وصيدلة وزراعة وطب بيطرى وعلوم وتقريباً كافة التخصصات.

وهذا التحول فى الرهبنة القبطية، وتوالى دخول المثقفين فيها فى أواخر الأربعينات وازدهار ذلك فى أواخر الخمسينات حتى الآن، كان له أثره الكبير على الكنيسة. إذ أصبحت قيادتها الكنسية من المثقفين أيضاً. وكثرت نسبة الجامعيين فى المجمع المقدس حتى أصبحت تشكل غالبيتهم. ولهذا كله

---

1 - القمص صموئيل تاوضروس السريانى: الأديرة المصرية العامرة، المطبعة التجارية الحديثة، ١٩٦٨، صـ١٣٩.

* - الأنبا أرسانيوس كان رئيساً لدير البراموس أثناء الدراسة، أما حالياً فيرأس الدير أنبا ايسيذوروس.

أثره فى العمل الرعوى. من هذا يتضح الأثر الفعال والدور القوى الذى يؤديه الدير للكنيسة مما يعمل على التضامن الاجتماعى وتماسك البناء الاجتماعى للمجتمع المسيحى.

وأمكننا أن نعرف شيئاً عن ثقافة بعض الرهبان من شهرتهم فى المحيط الكنسى قبل الرهبنة، وكان من الصعب الحصول على بيانات تفصيلية لحياة كل منهم من جهة الميلاد ومؤهلات الرهبان العلمية والدينية، والظروف الاجتماعية والمهنة السابقة. ولم يكن باستطاعتى معرفة هذه المعلومات عن حياة كل منهم السابقة للرهبنة، فالراهب يضع أمامه مبدأ هو أن يكون منسياً عند الناس ليكون معروفاً عند الله، فهذه الأمور يحرص الرهبان على أن تكون من أسرارهم الخاصة، ومن العسير أن يدخل أى فرد إلى هذا المجتمع ويتعرف على حياتهم الأولى، لأنهم يعتبرون حياتهم موتاً عن العالم وينظرون إلى حياتهم القديمة كأن لم تكن، كما أن روحياتهم يعتبرونها سراً بينهم وبين الله.

وفى هذا يقول الأنبا إغريغوريوس "أن المبدأ الأول الذى تعلمناه من الآباء مبدأ العمل الروحى فى الخفاء"، وهو أن الشخص لا يضفى على نفسه ما يجعل الآخرين يلتفتون إليه وينظرون إليه نظرة خاصة، ينال بها نوعاً من التحية والإكرام والإجلال من الناس، ولهذا كثيراً ما نجد من الرهبان من يسلكون تصرفات ينظر إليها الشخص العادى على أنها شاذة، كما لو كان من فئة المتخلفين عقلياً،[1] أو أنه يأتى بتصرفات تنتقد من الغير، وكل هذا ليحول الأنظار عنه أى أن السلوك الظاهر لا يعبر عن الحقيقة الكامنة فى النفس، فهو ينكر أو يخبئ النعمة التى فى قلبه ويدارى عليها، كما يقول المثل "دارى على شمعتك تنور".[2]

---

1 - محاضرة مسجلة للأنبا إغريغوريوس.

2 - المرجع السابق.

ومن أجل احتفاظ الرهبان بأسرار حياتهم بينهم وبين الله، لم أستطع الحصول على البيانات التفصيلية من الرهبان أنفسهم، ولكنى استطعت أن أعرف بعض المعلومات عن الرهبان الذين خدموا فى المدن، إذ لم يكن من العسير معرفة بعض الشئ عن حياتهم، وكذلك الرهبان الذين تقتضى طبيعة أعمالهم فى الدير الاختلاط بغيرهم، ولكننى تغلبت على هذه الصعوبة وحصلت على بعض المعلومات عن طريق رئيس الدير أو أسقفه، وحتى رئيس الدير كان يشعر بحرج شديد فى أن يتكلم عن كل شئ، فحياة الرهبان عنده سر يحرص عليه.

ولكى يصبح أى شخص راهباً وعضواً فى مجتمع الدير، لا بد أن يمر

١ – طقوس الرسامة أو طقوس التكريس.

والطقوس فى اللغة العربية، مُعربة عن الكلمة اليونانية Txʒ ıΓ (طاكسس) ومعناها النظام أو الترتيب، وإن كان مصطلح طقوس لا تقتصر على الطقوس الكنسية فهناك طقوس سياسية وأخرى تربوية أو عسكرية أو اجتماعية.

وتشمل كلمة طقس كنسياً، نظام الخدمة، وما يتلى فيها من صلوات حسب ترتيب أيام السنة فى المواسم والأصوام والأعياد، وما يقوم به المؤمن من عبادات وفرائض وعادات، إلى كل ما يتعلق بالكنيسة من مراسيم دينية وخدمات روحية، وتنظيم وترتيب الكنيسة من حيث بنائها وشكلها الداخلى وأدواتها ورتبها الكهنوتية وممارسة أسرارها.[١]

ولكل كنيسة طقسها الخاص، أى نظام وترتيب الخدمة وممارسة الصلوات والعبادة وهو الطابع الذى يميزها عن غيرها، فكما أن للكنيسة القبطية طقوسها الخاصة التى تميزت بها من بين كنائس العالم. يوجد أيضاً لكل من الكنيسة الرومانية، والكنيسة الإنجليزية والكنيسة اليونانية طقسها الذى عرفت به.

---

1 – القمص إبراهيم جبره: طقوس الكنيسة، مكتبة المحبة بالقاهرة، ١٩٧٥، صـ٩.

وتذكرها رينجتون فى دائرة المعارف البريطانية أن الشعائر فى كل المجتمعات عبارة عن شئ محدد، وهو نوع من السلوك يسير به الأشخاص، يرتكز على قواعد ثابتة معلومة أو تقليديه أو هو السلوك الشامل للإنسان.[1]

<u>وهناك ثلاثة مداخل نظرية عن طبيعة وأصل الطقس:</u>

- <u>المدخل الأساسى **Origin Approach**</u> هو أول مدخل وهو محاولة لوصف أو تعريف الطقس على أنه شئ دينى، أخذ فى اعتباره الأصول التاريخية، والغرض الأساسى لهذا المدخل أنه يدرس نشأة الأفراد وما يتسلمه الإنسان من معتقدات، وما يتلقاه وهو فى المهد.

ورالف بيلز يذكر أن "الطقس والاحتفال" يوجه نحو التضرع إلى القوة العلوية واسترضائها، ويفترض أن الطقوس والشعائر تعمل على إثارة الشفقة لدى الكائنات العلوية وتحريكها. وتعرف بأنها طرق مرسومة لأداء تصرفات دينية مثل الصلوات ترنيم بعض الترانيم المقدسة أو إعداد التقدمات والذبائح.[2]

- <u>الإتجاه الثانى هو المدخل الوظيفى</u>[3] والغرض منه شرح وتفسير السلوك الشعائرى على ضوء احتياجات الأفراد والتوازن ، والتواؤم فى المجتمع من الناحيتين الفيزيقية والاجتماعية، وكثير من الباحثين الدينيين أخذوا بهذا الرأى، كما أن كثيراً من الأنثروبولوجيين الأمريكان والإنجليز أخذوا بهذا ومنهم راد كليف براون ومالينوفسكى وايفانز بريتشارد وريموند فيرث وتالكوت بارسونز. وكانت كل التفسيرات الموضوعة هى محاولة التوفيق بين السلوك وبين الاحتياجات الضرورية لبقاء المجتمع.

---

1 - Harrington Paul: <u>Encylopoedia Britannica</u>: Ritual , Benton, H.H Vol, 15. p. 863

2 - رالف بيلز: <u>مقدمة فى الأنثروبولوجيا العامة</u>. مرجع سابق.

3: Encylopoedia Britannica, Ritual Vol. 15 <u>Benton, Helen . H</u>. Vol 15 1973 – 1974 P. 863

وميزة هذا المدخل وقوته تكمن فى كونه مبدأ عملياً وعقلياً، فهو يبحث فى معرفة أسباب ظهور الشعائر فى المجتمع ودورها فى بقاء واستمرار المجتمع. وهذا المدخل يناسب دراستنا للرهبنة إذ أنها منذ ظهورها اعتبرت موتاً عن العالم وكل ما فيه. ولذلك كان طقس تكريس الرهبان هى صلوات تتناسب مع هذا الوضع. أى مع إنسان مات عن العالم وما فيه واعتبر بالنسبة إلى العالم فى حكم ميت. لهذا كانت صلاة التكريس هى صلوات كالتى تتلى على الميت. ولكنها ليست نفس الصلوات، بل تشبهها بما يتفق مع هذا الوضع.

- <u>المدخل الثالث: المدخل التاريخى للأديان</u>:

يمثله الباحثين التاريخيين للأديان أمثال **Geradus van der Leeuw – Mercea Eliiade – E.O. – Rudeelf Otto.**

اللذين اتفقوا على أن السلوك الشعائرى يمثل أو يشرح المقدسات، ولكن هذا المدخل لم يهتم بوظيفة الشعائر.

وكما أن الرهبنة المسيحية هى موت عن العالم الحاضر، كذلك هى تعتبر انتقالاً من الحالة الدنيوية إلى الحالة الروحية، أو النسكية **Mystical**.

وفى الدراسات الأنثروبولوجية هناك طقوساً تعبر عن الانتقال من الحالة الدنيوية إلى الحالة الدينية.

<u>وقد أشار فان جنب إلى نوعين من هذه الطقوس</u>:-

- انتقال مادى من مكان إلى آخر.
- انتقال اجتماعى من طائفة إلى أخرى.

وشعائر المرور هى حالة احتفال معروفة، موجودة فى كل المجتمعات

وهى تعنى المرور والانتقال من مركز اجتماعى أو دينى إلى مركز آخر.[1] ويعتبر رسامة الراهب أو تكريسه نوعاً من شعائر المرور لأنه يعبر فيها من حالة دنيوية إلى حالة دينية يتغير فيها وضعه واسمه ومركزه، ويبدأ مرحلة جديدة من حياته مختلفة عما سبقها.

وكثيراً من الطقوس المشتركة والمهمة فى العبور ترتبط بالناحية البيولوجية للإنسان والتى تحدث تغيرات فى مراكز المجتمعات، وبالتالى تغيرات فى العلاقات بين الناس. ولا شك أن بطقس رسامة الراهب تحدث تغيرات فى علاقاته مع الناس ومع أسرته البيولوجية، إذ يعتبر بهذا الطقس أبا، كما أنه لا يصبح له حق الميراث أو الارتباط بوظيفة سابقة فى المجتمع.

وهناك شعائر أخرى للمرور ترتبط بالمتغيرات المشهورة للثقافة الكلية مثل عملية الدخول والاندماج فى مجتمع. وتعتبر شعائر المرور ظاهرة عالمية مثل شعائر الجنازة أو الدفن التى توجد فى كل المجتمعات ويمكن معرفتها عن طريق الآثار أو المخلفات، أو المقابر التى وجدت والتى تخبرنا أن الدفن قد ظهر منذ القدم.

هذه الشعائر جذبت انتباه الباحثين، وأول من وضع لها تقسيمات باعتبارها ظاهرة فى بداية القرن العشرين وبالتحديد سنة ١٩٠٩ باحث أنثروبولوجى هو فان جنب.

وتذكر علياء شكرى أن فان جنب عرض فى كتابه "طقوس العبور" لمختلف الطقوس التى يمارسها الإنسان. وإن كانت تتباين فى أشكالها إلا أنها تتشابه فى ميكانيزمتها. وأطلق عليها اسم "طقوس العبور" وحاول أن يميز بين الطقوس التى تصاحب الانتقال من حالة إلى أخرى ومن عالم إلى آخر

1- Erikson .N: Encylopoedia Britannica: The Rites of Passage; Benton, Helen . H.H: 1973 –74 Vol. 13 P.p. 1044-1052

(سواء كان انتقالاً من مكان لآخر، أو انتقالاً اجتماعياً من طائفة إلى أخرى).

وقد قسم الانتقال إلى ثلاثة مراحل مميزة:-

أ- طقوس انفصال Separation أو ما يسميها روجيه باستيد طقوس افتراق.

ب- طقوس هامشية Margin يسميها روجيه طقوس حاشية، وهى انتقال العقائد شفوياً.

جـ- طقوس تجميع وانضمام Aggregation .

وهذه المراحل لا تنمو بنفس الدرجة فى جميع المجالات،[١] فطقوس الانفصال تكون أكثر وضوحاً فى الشعائر الجنائزية، وطقوس التجميع تتضح أكثر فى احتفالات الزواج، بينما الهامشية تتضح فى فترة الخطوبة والحمل، كما أن طقوس الميلاد والتكريس والزواج ما هى إلا طقوس انتقال من حيث هى تأكيد تغير حالة أو انتقال.[٢]

وهذا ما يؤكده أحمد أبو زيد من أن نظرية فان جنب يقصد بها الطقوس والشعائر التى تمارس فى حالة انتقال الفرد من مرحلة معينة فى حياته الاجتماعية إلى مرحلة أخرى. وبين أن الانتقال يتم على ثلاث مراحل أو خطوات:

الأولى مرحلة الانفصال: وفيها ينفصل الفرد عن الوسط القديم، وعن مستواه الاجتماعى ويصاحب ذلك شعائر من نوع معين: تعرف باسم شعائر الانفصال. والثانية هى المرحلة الهامشية التى يمر بعدها بفترة يكون الفرد أثناءها فى حالة (محايدة) لا ينتمى فيها إلى أى مرحلة اجتماعية وليس له مركز ثابت فى المجتمع. ويخضع لبعض القيود الشديدة. والثالثة هى مرحلة الاندماج، يندمج

1 - علياء شكرى وآخرين: دراسات فى الفولكلور، دار الثقافة للنشر ١٩٧٢، صـ ٢٩٥.
2 - المرجع السابق.

فيها الفرد فى البيئة الجديدة ويدخل إلى المستوى الاجتماعى الجديد.[1]

وهذا التقسيم ينطبق على ما يحدث للراهب الجديد:

ففى تركه لأسرته البيولوجية، ولوظيفته ومركزه فى المجتمع، ولكل ما يمتلك من غنى ومال يمثل المرحلة الأولى التى هى مرحلة انفصال.

وفى الفترة التى يقضيها كطالب للرهبنة "تحت الاختبار"، إنما تنطبق عليه المرحلة الهامشية. فهو قد انفصل عن حياته السابقة ولم يندمج بعد فى الحالة الثانية وهى "الرهبنة".

أما عند رسامته راهباً، فيدخل فى مرحلة الاندماج والانضمام فى المجتمع الرهبانى ومن هنا يمكن القول أن طقس رسامة الراهب هو المدخل لانضمامه إلى المجتمع.

وطقوس انتقال الشخص من مرحلة إلى أخرى، ترمز للميلاد الجديد، للتسمية الجديدة[2] وهى موت وانفصال عن العالم، كما أنها أيضاً عن طريقها ينضم عضو جديد إلى المجتمع الرهبانى.

فهى تتضمن موتاً رمزياً، وانفصالاً من حالة أو شكل قديم للحياة، وميلاداً رمزياً للمرشح يسمى عند بعض العلماء بالميلاد الثانى، كما يحدث عند الهنود، وفى المسيحية عن طريق المعمودية. بل أن الموت قد لا يعنى نهاية الحياة، وإنما فترة انتقال فقط، ووظيفة الطقس فى هذه الحالة خلق الصلة من جديد بين الأحياء والأموات.

وعند رسامة الراهب أيضاً يُصلى عليه صلاة الموت. ويتخلل الطقس موت رمزى، فيرقد الراهب على الأرض ويغطى بستر، ثم يعود إلى الحياة مرة أخرى، والموت الرمزى لأنه ليس هناك خروج للنفس البشرية لكنه موت عن

---

1 - أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى، مفهومات، مطبعة الكرنك، ١٩٧٦، صـ ١٠٠.

2- Encylopoedia Britannica: Ritual: Vol. 13 P.1044 Op. cit. Vol.15 P.863

العالم ومشتهياته وملذاته.

وروجيه باستيد يرى أن الموت ليس ظاهرة مفاجئة ولذا كانت طقوس الجنازة قديماً تمر بعدة مراحل.[٣] وهرتز يقول أن الموت لا يقضى فقط على الوجود الجسمي، بل يقضى أيضاً على الكائن الاجتماعي، فتنفصم العلاقات التى تربط الميت بأسرته وقبيلته وقريته.

وايفانز بريتشارد يذكر شيئاً مشابهاً لذلك عن شعائر الجنازة فهى تشمل ثلاث حركات وضع الجسد فى نعش إلى أن يتحلل، جمع عظام العائلة فى مكان خاص، الثالثة يؤدى إلى انفصال الخلف عن أى ارتباط بالسلف الغائب.[٢]

ويذكر روجيه باستيد أنه إذا وجد مجتمع دينى له صفات خاصة إلى جانب الجماعات الدنيوية، فإن دخول هذا المجتمع ليس ممكناً فى أى وقت، بل يقتضى بالضرورة طقوساً تزداد تعقيداً كلما كان فى الانتقال تغيير لوضع الشخص. فالمرء يقبل فى هذه المجتمعات بعد طقوس خاصة. وهذه الطقوس تنطبق فى جملتها على الطقوس القبلية للاطلاع على الأمور الدينية. ففيها تظاهر بالموت والعودة إلى الحياة من جديد.

وفريزر يرى أن جوهر هذه الطقوس التى يتظاهر فيها من يطلع على أسرار الديانة بالموت ينحصر فى تبادل حياتين.

وهذه الطقوس تجعل الشاب ميتاً وهمياً عن طريق الإجهاد والعزلة. ثم تعيده إلى الحياة مرة أخرى، ويصبح كائناً جديداً فى هذه الحال، فذلك ما يقرره المجتمع عندما يفرض عليه اسماً جديداً.

اتضح أن هذه الآراء أجمعت على أن عبور أو انتقال شخص معين من مركز إلى آخر ومن حالة إلى أخرى، وخاصة فى المجتمعات الدينية. يتطلب

1 - روجية باستيد: مز صـ ١٤١ - ١٤٦.

2 - F.E. Evans Pritchard: Theories of Primitive Religion: Op.cit.

نوعاً من الشعائر للاعتراف بوصول هذا الشخص لذلك المركز أو تلك الحالة.

وهذا ما يحدث عند دخول راهب جديد لمجتمع الدير عن طريق إقامة شعائر الجنازة وطقوس الموت التى يمر بها، فهى تعبر عن انتقال الشخص وموته عن حياة العالم، وانفصاله انفصالاً تاماً، والدخول فى الحياة الروحية الرهبانية. وهى حياة جديدة، كما قلنا يدخلها باسم جديد وشكل جديد.

وهذه الطقوس التمهيدية تكسبه الوضع الرسمى لضمان سير الحياة الرهبانية.

وهذه الشعائر قد تتم فردية أو جماعية. إذ يذكر أحمد أبو زيد أنه يوجد نوعين من شعائر التكريس الخاصة بتكوين الطبقات، أو بإلحاق الشبان بطبقة عمرية جديدة هى:(1)

– شعائر جماعية . – شعائر فردية .

– <u>الشعائر الجماعية</u> وفيها الشبان هم الذين يطالبون بإقامة الحفلات الخاصة بتكريسهم ويحاولون الحصول على موافقة شيوخ القبيلة الذين بيدهم السماح، وكذلك موافقة طبقة المحاربين القائمة بالفعل والتى سيحلون محلها.

ويتعرض الشبان لأنواع كثيرة من التعذيب تختلف فى الشدة والقسوة من مجتمع لآخر، وكلها تهدف إلى اختبار قوة احتمال الشبان على ملاقاة الصعاب التى سيصادفونها لو أصبحوا محاربين.

– <u>أما الشعائر الفردية</u> فإنها توجد عند البوكرت الرعاة والتركانا، وهى لا تحتاج إلى تجمع الفتيان للمطالبة بتكريسهم وبإنشاء طبقة عمر جديده، وإنما تقام حفلة تكريس لكل منهم على حده ومنفرداً، ثم ينضم إلى الطبقة التى

---

1 – أحمد أبو زيد: <u>نظام طبقات العمر</u>: مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٥٩، من صـ ١٨٥ – ١٩١.

سيتم تكريسه بها.[1]

على أن شعائر التكريس فى الرهبنة غالباً ما تتم بطريقة فردية لقلة عدد الرهبان، ولكن هذا لا يمنع من أنه أحياناً يتم رسامة مجموعة قد تصل إلى خمسة أو سبعة معاً. ويتطلب فى رسامة الراهب الحصول على موافقة رئيس الدير، والأسرة الرهبانية التى سينضم إليها هذا العضو، أو هؤلاء الأعضاء الجدد بانضمامهم إليها، بشرط أن تسبقها فترة اختبار لمعرفة مدى قوة تحمل هؤلاء لحياة الرهبنة وما تتطلبه، إلا أن طالبى الرهبنة ليس لهم الحق فى المطالبة بإقامة حفلات تكريسهم، كما فى طبقة المحاربين. لأن هذا من اختصاص سلطة الدير. ولكن يؤخذ رأيهم فقط عند تحديد ميعاد رسامتهم، وما إذا كانوا يرون أنفسهم على استعداد لتلك الحياة أم لا.

وفى بعض المجتمعات توجد مواسم للتكريس محدده، وفى البعض الآخر تتم فى أى وقت، أما الرهبنة فلا يوجد مواسم محدده فى التكريس. ولكن يستبشر الدير برسامة راهب جديد فى عيد تذكار قديس معين، أو فى مناسبة كنسية لها أهميتها.

نخلص من ذلك أن شعائر التكريس يقصد بها الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وأن الخطوط الرئيسية متشابهة وإن اختلفت التفاصيل.

وإن كانت بعض المجتمعات لا تمارس شعائر للانتقال من وظيفة إلى أخرى، إذ يذكر جليفر أن التركانا لا يمارسون أى شعائر لتسهيل هذا الانتقال أو التقاعد عن وظيفة الحرب والبطولة.

إلا أن أحمد أبو زيد يرى أن هذا الانتقال حتى فى هذه الحالة، لا يحدث إلا بممارسة هذه الشعائر التى يمكن تسميتها شعائر الإحالة أو شعائر

---

1 - المرجع السابق.

التفاعد.[1]

- وظيفة الشعائر والطقوس:

تذكر دائرة المعارف البريطانية أن وظيفة الشعائر فى المجتمعات هى تحديد القواعد المناسبة للمواقف فى دائرة المقدسات. وهذه الوظيفة تختلف تبعاً للإشارات والرموز الدالة عليها، وعلى الرغم من أن هناك اتفاقاً مشتركاً فى أن للشعائر طبيعة رمزية، ولكن هذا الاتفاق ليس كاملاً، فهى توصف غالباً على أنها تعبير رمزى للعلاقات الاجتماعية القائمة والحالة الاجتماعية القائمة. أو أنها دور الأفراد فى المجتمع، وأحياناً توصف بنسبتها إلى الأشياء السامية والروحانية الحقة والقيمة العالية للمجتمع.[2]

وللشعائر دور إيجابى فهى تزود الأفراد بمعلومات وتوجيهات دورهم الجديد فتسهل لهم عملية التكيف مع المجتمع الجديد. فهى بمثابة دعائم اجتماعية تمنع انشقاق المجتمع. بالتخفيف عن الضغوط السيكولوجية التى يقع فيها الأفراد فى الوقت الذى يكون هناك تغير كبير فى حياتهم.[3]

ويرى ايفانز بريتشارد أن العلماء الذين وضعوا نظريات عن الأديان يقولون أن الشعائر ما هى إلا ترجمة للمعتقدات والإدراكات، وإن كان هناك رأى آخر يرى أن الشعائر هى الأعمال التى توضح وتحسم وتظهر حيوية الأديان،[4] ومن أنصار هذا الرأى دوركايم. الذى يرى أن هدف الشعائر وغرضها هى أن تجمع أعضاء العشيرة أولاً، وثانياً أن إعادة الشعائر وممارستها فى المناسبات والتجمعات تعيد الشعور بالوحدة والصلابة.

---

1 - المرجع السابق.

2- Encylopoedia Britannica: Ritual: Opcit Vol.15 p. 864.

3 - Ibid. "The Rites of Passage"

4 - E.E. Evans Paritchard: Theories of Primitive Religion. Op. Cit. P. 61 - 63

فالشعائر تولد ثورة فى فكر كل فرد عندما تكون قد أصبحت منسيه، هنا يشعر الناس بوحدتهم فى الفكر فى مقدساتهم، وعندما يفترق رجال العشيرة فإن الشعور بالوحدة أو الترابط يفقد تدريجياً، ولكنــه مــن وقــت لآخــر بتكــرار الممارسات الطقسية تقوى وتشجع روح الجماعة مرة أخرى. فالإنسان الذى لم يكن يعرف نفسه ويفهمها يشعر بنفسه قد تحول وانتقل تــدريجياً ويقــوم هــو بتغيير الظروف والمناخ المحيط به، وهذا لكى يتمشى ويتــواءم ويتوافــق مــع الأشياء التى يتعامل ويتلامس معها.[1]

والرهبان فى اجتماعهم فى شعائر ســيامة راهــب جديــد، كمــا فــى اجتماعهم فى باقى شعائرهم الدينية من صلوات وطقوس، فهى تعبر عن حياتهم الجديدة مثلما قال ايفانز بريتشارد، ويشعرون أيضاً بوحدتهم إذ يحيون معاً حياة بمبادئ واحدة، وأسلوب واحد فى العبادة ومناخ واحد يحيط بهــم. يتواءمــون ويتكيفون معاً.

٢- خطوات سيامة الراهب:

أ- طالب الرهبنة وشروط قبوله:-

يذكر أنبا إغريغوريوس أنه يسمى فى الرهبانــات الغربيــة "مبتــدئ" وبالقبطية الأخ، وهو الراغب فى الرهبنة، والذى لم يلبس بعد شكل الرهبنة.

- شروط قبول الراهب:-

ويذكر مينا ردوس بعض الشروط لقبول الراهب[2] وهى أيضاً تتفق مع قوانين الرهبنة والتى يتبعها الدير حالياً ومنها:-

- لا يقبل الدير إلا من أكمل الخدمة العسكرية، وهذا يعنى أن الداخلين إلــى

---

1 - Ibid.

2 - Meinardus OTTO: Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts: The American university at Cairo Press Appendix II Pp. 386- 387

الدير ليسوا فى سن متقلبة كسن المراهقة.

- أسقف الدير له الحرية فى قبول المتقدمين إلى الدير على ألا يكون متزوجاً أو أرملاً.
- لا يقبل الدير الأشخاص المرتكبين الجرائم، أو الذين صدرت ضدهم أحكام غير مسموح لهم بدخول الدير.
- أيضاً لا يقبل الأشخاص الدين يعانون أمراضاً معديه أو ضعفاء العقول.[١]

وقد ذكر افلين هوايت أنه فى العصور الأولى للرهبنة، قبل أن تتكون أنظمة الأديرة ورئاستها، كان يمكن أن يُرسم الراهب الجديد من أى راهب يعتبر من الآباء الكبار القدامى مثلما حدث أن القديس مقاريوس رُسم راهباً من القديس الأنبا أنطونيوس.[٢]

ب- فترة الاختبار:-

بمجرد أن يلتحق الشخص بالدير يصبح تحت الاختبار إلى أن يُرسم راهباً، وفترة الاختبار تختلف من شخص لآخر، ورئيس الدير أو أسقفه هو الذى يحدد موعد كل حالة على حده فعندما يصل الفرد لدرجة معينة فى الروحانية، يمكن رسامته فى درجة راهب.

ويمر الفرد قبل رهبنته بثلاث مراحل: المرحلة الأولى الانتصار على رغباته وطموحاته، والمرحلة الثانية مع أسرته، والمرحلة الثالثة مع الدير.

- المرحلة الأولى: الانتصار على رغباته وطموحاته: الانتصار على ذاته

كيف يمكن أن يزهد كل شئ وينتصر على جميع الرغبات: كيف يترك الأسرة ويبتعد عن الأقارب والأصدقاء ويترك الوظيفة والمناصب والألقاب،

---

1 - Ibid.

2 - Hugh G.Evelyn White: The Monasteries of the Wadi N Natron: part II. Printed in great Britain 19.73. P. 191

ويزهد المال والرفاهية وسهولة العيش، أو الحصول على درجات علمية ووظائف، كيف ينبذ فكرة الزواج وتكوين أسرة خاصة، إلى غير ذلك من الأمور التى قد تحارب طالب الرهبنة.

يضاف إليها تركه لبعض المسئوليات التى قد يشعر أنه مطالب بها، مثل المسئوليات العائلية، أو مسئوليته تجاه بعض أسر فقيرة كان يعولها -أو خدمة كان يقوم بها أو أى عمل آخر، كان يمكن أن يعمله فى العالم. والقديس الأنبا أنطونيوس نفسه حورب بمسئوليته نحو أخته، بعد أن انتصر على نفسه فى ترك مال أبيه الذى توفى بتوزيعه على الفقراء. وقد عالج هذا الأمر بإيداع أخته فى بيت للعذارى قبل أن يذهب إلى الرهبنة. وهذا القديس أيضاً حورب من أمواله وثروته (وكان قد ورث عن أبيه ٣٠٠ فدان من أجود الأطيان فى بنى سويف)، والحرب لم تكن من جهة المال، وإنما فى استخدام المال فى مشروعات للخير تعود على الآخرين بالنفع مثل (إنشاء مستشفى- ملجأ- بيت للمسنين- العجزة).

وقد يُحارب طالب الرهبنة بضرورة وأهمية الخدمة فى الكنيسة، إذ يعرض عليه أحد الآباء الأساقفة أن يتزوج ويُرسم كاهناً لرعاية إحدى الكنائس. ويظل يناقش فى داخله هذه الفكرة، أيهما أفضل أن يتزوج ويخدم الكنيسة ككاهن، أو يترك فكرة الزواج ويذهب إلى الدير، وربما يقع تحت ضغوط كثيرة من بعض أفراد الشعب، ويلحون فى رسامته لهم كاهناً متزوجاً. وكثير من الرهبان تعرضوا لهذه الحرب، ولكنهم فضلوا البتولية والرهبنة شاعرين أن تفرغهم أعمق فى صلتهم الشخصية بالله من انهماكهم فى مشغوليات عديدة ربما تعطلهم عن عمل الصلاة والتأمل.

<u>وهذه المرحلة من الانتصار على النفس والذات</u> من الداخل تجاه الأفكار والإغراءات الخارجية، تحتاج فى داخل الراهب إلى ثبات على الفكرة

الرهبانية. واقتناع كامل بها. وسموها فى نظره عن كل ألوان الأعمال المقدسة الأخرى. وتحتاج أيضاً إلى ردود داخليه فقد يستخدم فيها آيات الكتاب المقدس، أو قصص القديسين السابقين، أو إرشاد الأب الروحى، أو إرشاد رهبان قدامى له صلة بهم يثبتونه فى فكره.

ومن أمثلة ذلك: أحد الآباء الأساقفة حالياً، كان معيداً فى كلية الهندسة،(*) وبإمكانه أن يُكمل حصوله على الدكتوراه، ولكنه فضل أن يترهب عن أن يحصل على درجات علمية أو وظائف جامعية، وترهب فى دير السريان فى الستينات.

أيضاً أسقف آخر(*) كان معيداً فى كلية الهندسة بجامعة عين شمس، كما أنه حصل على درجات علمية أخرى فى أمريكا، وكان بإمكانه أن يُكمل مسيرته العلمية، ولكنه ترك كل هذا ليترهب.

وكثير من الرهبان عرضت عليهم فكرة الكهنوت والزواج قبل الرهبنة، ولكنهم رفضوا، وبخاصة لأن كثيرين منهم كانوا يخدمون الكنيسة قبل رهبنتهم، وكانوا معروفين فى مجال الخدمة، ويرحب الناس بسيامتهم كهنة لهم.

- <u>المرحلة الثانية: مرحلة الصراع مع الأسرة:</u>

غالبية الذين التحقوا بالحياة الرهبانية، كان من الصعب على أسرهم الموافقة على رهبنتهم، وبخاصة بعد أن تعبت الأسرة فى تربية ابنها وتثقيفه، وبعد أن حصل هذا الابن على درجات جامعية أو وظائف محترمة فى المجتمع. وتبغى الأسرة أن تزوجه، وأن يكون عائلة، ويحمل اسم أبيه وينجب أطفالاً يصيرون امتداداً للعائلة، ومجالاً لكيانها الحى وشهرتها وقوتها واتساعها وعزوتها.

---

* - نيافة الأنبا بيشوى أسقف دمياط وكفر الشيخ.
* - نيافة الأنبا ديسقورس بأمريكا.

وكثيراً ما تبكى الأم لفكرة الرهبنة التى تسيطر على ابنها، وربما تضغط عليه ضغوطاً عاطفية، أو قد يمرض أحد الوالدين لهذا السبب أو يتهدد بالمرض. وقد تمارس الأسرة ضغوطاً آخرى، فى أن توالى عروض الزواج على طالب الرهبنة. أو تتجه الأسرة اتجاهاً آخر فى أن تطالب الابن بمسئوليات نحوها، كأن ينتظر حتى يكمل باقى اخوته تعليمهم، أو حتى تتزوج أخواته الفتيات، أو ينتظر حتى يساعد والده مالياً فى بعض الأمور. وقد يحصل الابن فى هذه الأثناء على ترقيه معينة، فتزداد ضغوط الأسرة عليه، أو قد تعرض عليه فى هذه الأثناء بعثه أو وظيفة فى الخارج فى هذه الأثناء، أو مشروع يدر ربحاً كثيراً، وجميعها تمثل أنماطاً مختلفة من الضغوط التى تمارسها الأسرة على أبنائها الذين يرغبون فى الرهبنة للعدول عن الفكرة.

وبمجرد شعور الأسرة بأن هذا الابن سيتركها، وأنه سيحيا حياة من التقشف والزهد والحرمان الجسدى، أو أنه ستنتهى حياته بلا نسل يكون امتداداً لهذه الحياة. كل ذلك يُشكل ألاماً للأسرة ينعكس على طالب الرهبنة، ويبقى عليه أن يتولى اقناعهم، وغالبيتهم يرفضون الاقتناع، ويحدث هذا حتى فى كثير من الأسر المتدينة التى تتردد على الكنيسة وتحيا حياة فاضلة.

والملاحظ أنه بالنسبة إلى الفتاة طالبة الرهبنة، تكون الضغوط عليها أكثر وفى نفس الوقت تكون مقاومتها أقل، لأنها فتاة وقد تعجز أمام إصرار والديها، وأمام عروض الزواج التى تعرض عليها، واتهامها بأنها تضيع فرصاً ربما لا تتكرر.

<u>وقد اتضح من الدراسة الحقلية أن طالبى الرهبنة على نوعين:</u>

أ- <u>نوع يُصرح بفكرة الرهبنة قبل البدء فيها</u>، ويصارح الأسرة قبل أن يدخل الدير. <u>أو قد لا يُصرح</u>، ولكن الأسرة تستنتج هذا الاتجاه من كثرة زياراته للدير، أو من رفضه للارتباط بالزواج. أو من طريقة حياته

الخاصة قبل الرهبنة مثل كثرة أصوامه، أو عدم اهتمامه كثيراً بمظهره. أو رفضه الاستمرار فى تكملة علومه، أو رفضه الارتباط ببعثه، أو سفر إلى الخارج، أو رفضه كثير من الأمور التى تعد من وجهة نظره تافهة.

فيستفسرون منه هل يفكر فى الرهبنة؟ وحينئذ يقع فى حرج فيضطر إلى التصريح، أو للهروب من الإجابة فتزداد شكوكهم.

ب- والنوع الآخر يتكتم الرغبة فى الرهبنة، ولا يصرح بها للأسرة، وقد يفاجئهم بيوم ذهابه إلى الدير وخصوصاً إذا كان قد تخرج من الجامعة، وعمل فى مكان بعيد عن أسرته، ومارس هناك عباداته ونسكه وزهده دون معرفة من أحد، فلا تنكشف رغبته قبل التنفيذ.

وهذا النوع يبدأ صراعه مع الأسرة بعد دخول الدير، وقد يتعرض إلى حالة من الحالات الثلاث الآتية:

١- أن تزوره أسرته فى الدير، وتمارس معه ضغوطها، فيرفض كل هذه الضغوط وطبعاً يرفض الدموع والتهديدات والإغراءات والأخبار السيئة كالأمراض. ومن هذا ينشأ الراهب صلباً لأنه انتصر على ذاته من جهة، وانتصر على أسرته من جهة أخرى، وفضل الحياة الزاهدة من جهة ثالثة.

٢- قد يتعرض إلى النزول من الدير والخضوع لأسرته. فليس كل طالبى الرهبنة الذين يدخلون الدير يثبتون إلى نهاية الطريق. البعض منهم تضغط عليه أسرته وترجعه مرة أخرى. أما الأقوياء فى فكرتهم فهم الذين يثبتون. وقد يكون الصراع مع الأسرة اختباراً، تختبر به إدارة الدير مدى ثبات طالب الرهبنة فى فكرته.

ويعض الذين ينزلون فى مثل هذه الحالات، يعاودون الكرة بعد حين. ويرجعون بعد أن يكملوا مسئوليات معينة طالبتهم بها الأسرة (كانتظار زواج الأخت، أو تكملة تعليم الاخوة أو مساعدة الأسرة مالياً فى اتجاه معين).

والشباب ينجحون في هذا الأمر أكثر من الشابات لسببين:

أولهما: أن الرجل يدخل الدير في أي سن، بينما أديرة الراهبات تشترط عدم قبول طالبة الرهبنة أكثر من ٢٨ سنة.

ثانيهما: لأن الفتاة التي تنزل من الدير تحت ضغوط أسرتها، فقد تحاول الأسرة ربطها بزواج بأسرع فرصه، بعكس الشاب الذي لا يسهل الضغط عليه في هذا الأمر.

٣- وهناك حالة ثالثة من صراع طالب الرهبنة مع أسرته بعد دخول الدير، وهي رفضه مقابلة أي فرد من أفراد الأسرة على الإطلاق، ورفضه أيضاً تسلم أية رسالة منهم حتى لا يتعرض لضغوط عاطفية أو عملية منهم. وفي هذه الحالة تصطدم الأسرة مع إدارة الدير نفسه، ويقف الدير صامداً لحماية طالب الرهبنة وإن لم يستطع الدير الصمود، وسلمهم ابنهم، وكانت الأسرة شديدة وعنيفة، سيأخذون هذا الابن بالقوة وينزلونه. وبعض الأسر تتسم بهذا العنف، إذ تأتي إلى الدير بصخب شديد، وتثير زوبعة في الدير وصياحاً وصراخاً، وتصر على عدم الخروج إلا بابنها.

وفي مثل هذه الحالة قد يرجع الابن معهم، ثم يختفي بعد حين، دون أن يعلموا أين اختفى، وإن ذهب إلى دير فلا يعلمهم بأي دير ذهب إليه. ويقفون في حيرة ثم ما تلبث الأسرة أن تستسلم للواقع، وتكون كل رغبتها أن تطمئن على ابنها أين هو. وربما لا يعرفون مصيره ومكانه، إلا بعد أن تتم رهبنته ويكون الأمر قد انتهى.

وفي بعض الحالات قد يبلغ صراع الأسرة قمته، إذا كان الابن هو الابن الوحيد، أو إذا كان أكثر أبناء الأسرة نجاحاً في حياته، أو إن كان أقرب الأبناء إلى قلب والديه لاتصافه بصفات يحبونها ويعز عليهم مفارقته.

وكثيراً ما نرى فى مجتمعنا أن بعض الأمهات العاطفيات كثيراً ما يرفضن أن يسافر الابن إلى الخارج، أو يتقبل وظيفة فى بلد بعيد، فكم بالأولى الرهبنة.

وأيضاً ما أكثر الأمهات اللاتى يفرحن بأن يكون لهن أحفاد، يصيرون موضع تسليتهن فى كبر السن. وفى مجتمعنا يسمى الزواج بيوم الفرح فبدلاً من أن يقال يوم زواج فلان يقال يوم فرح فلان.

جـ: مرحلة الاختبار فى الدير:

ليس كل من يدخل إلى الدير يصير راهباً. إنما يصير راهباً إذا وافق الدير على رهبنته، كما أنه هو أيضاً يختبر هذه الحياة عملياً. لأنه قد يُعجب بالحياة نظرياً من قراءة الكتب، وربما إذا دخلها عملياً يشعر بأنها لا توافقه عموماً، أو لا يوافقه هذا الدير بالذات.

- اختبارات الراهب:

ولذلك فإن طالب الرهبنة يدخل فى اختبارين: اختباره للحياة الرهبانية عملياً، واختبار الدير له. فإذا توافق الأمران معاً، تتم رهبنته فى الموعد الذى يحدده رئيس الدير. وهكذا قد تطول هذه الفترة أو تقصر (فترة الاختبار)، إلى أن يصل الطرفان إلى الموافقة على الرهبنة.

وفى هذه الفترة يخلع طالب الرهبنة ملابسه المدنية، ويلبس ثياباً بيضاء، هى الملبس المألوف لطالبى الرهبنة فى جميع الأديرة. أما فى دير أنبا مقار فيلبسون ملابس بنية اللون. وفى أديرة الراهبات فإن طالبات الرهبنة يلبسن ملابس رمادية، ويسميهم الدير بالمبتدئات. أما فى أديرة الرهبان فالاسم الغالب لطالبى الرهبنة هو الاخوة العلمانيون.

ويلبس طالب الرهبنة هذه الملابس بمجرد قبوله، لتمييزه عن الرهبان، والثوب الأبيض باستمرار رمز لحياة الفرح التى يسعى إليها الراهب،

وكذلك كنوع من انتقال الفكر من الحياة العادية والاجتماعية فى العالم إلى الحياة الديرية. ويقدم له الزى رئيس الدير أو الأب الروحى كما فى دير الأنبا بيشوى بعد مباركة هذه الملابس كنوع من إعلان موافقة الدير على قبول الشخص كطالب للرهبنة. ولا يصاحب ذلك أى طقوس معينة، فقد يرجع الشخص عن رغبته فى الرهبنة، فلا يقلق ضميره لأنه لم يلتزم كنسياً بشئ.

والاختبار الرهبانى ليس اختباراً بمعنى اجتياز الإنسان امتحاناً ينجح فيه، فيصلح للرهبنة أو لا يصلح، ولكنها فترة يعيشها طالب الرهبنة، لتكون مرحلة بين حياته خارج الدير وحياته داخل أسوار الدير.

أما اختبار الدير للراهب فيشمل الآتى:

١- مدى مواظبته على حضور الكنيسة والصلوات، والمواظبة على كل أعمال المجمع وعلى خدمته.

٢- مدى طاعة طالب الرهبنة وتنفيذه لما يصدر إليه من أوامر وتعليمات، وهدوء هذا الشخص وتواضعه وسلوكه فى الحياة الرهبانية السليمة، لأنه فى تلك الفترة يعيش مع الرهبان كعضو منهم فى كل شئ.

٣- حسن تعامله مع الآخرين بحيث لا تصدر منه مشاكل، ولا تقوم خصومه بينه وبين أحد، ولا يراه أحد فى غضب أو نرفزة ولا يكثر كلامه أو يتدخل فيما لا يعنيه، وإنما يكون محبوباً من الكل يرضى الكل عنه، ويرحبون بقبوله فى الدير، ولذلك فقد لاحظت فى سيامة الراهب الجديد أن قداسة البابا أو رئيس الدير الذى يقوم برسامته يسأل الرهبان أولاً: هل توافقون على هذا الشخص؟ وهل نجح فى فترة اختباره؟ فإذا لم يعترض أحد يكمل إتمام شعائر الرسامة.

٤- اختبار الراهب فى مدى صموده فى الفكرة الرهبانية.، وعدم تزعزعه أو تردده وثباته عند مقابلة أسرته، وفى تصديه لبعض الإغراءات التى

تعرض له للتزول.

٥- من أهم الشروط التى يتطلبها الدير خلو طالب الرهبنة من العوائق التى تمنع رهبنته أو تؤجلها. إذ يشترط الدير أن يكون طالب الرهبنة معافى من الخدمة العسكرية وليس هارباً منها. كما يتأكد الدير أيضاً من صحة الهدف الرهبانى عند طالب الرهبنة، فلا يكون مثلاً قد جاء إلى الرهبنة لمجرد محبة الوظائف التى تساعد عليها الرهبنة، كالكهنوت أو رئاسة الكهنوت. ويتأكد الدير من أن حياة طالب الرهبنة السابقة حياة سلمية حسنة السمعة. وقد ورد فى كتاب روضة الفريد وسلوة الوحيد[1] أن الذين قصدوا باب الله بالمحبة والطهارة وتركوا العالم بكل قلوبهم، واسلموا حياتهم بيد الله، فمن أجل حرارة قلوبهم تعضدهم عناية الله.

أما الذين قصدوا الخروج من العالم، وما زالوا يتعلقون ويتمسكون برباطات الغنى والنياح الجسمانى. فإن الشياطين تتجرأ للوصول إلى ما هو كامن فى داخل نفوسهم وأعماق قلوبهم من هفوات ومحبة المال والعالم وشهواته.

ويقصد بهذا أن دخول الرهبنة يجب أن يكون بنقاوة القلب والنية الطاهرة والابتعاد عن الشهوات.

ويتأكد أيضاً الدير من سلامة عقيدة هذا الإنسان، ومن سلامة نفسيته أيضاً لأنه قد يأتى إلى الرهبنة إنسان مصاب بالانطواء وليس بمحبة الوحدة، أو يأتى يائساً من المجتمع عاجزاً عن التعامل معه. وفى فترة الاختبار تتكشف هذه الأمور، فيقرر الدير أن هذا الشخص لا يصلح للرهبنة ويرفض الدير رهبنته.

٦- أما اختيار طالب الرهبنة للحياة فى الدير، فهو مدى توافقه مع الرهبان

---

1 - العلامة الراهب سمعان بن كليل بن مقارة: روضة الفريد وسلوة الوحيد، المطبعة الوطنية، ٦٠٢ قبطية، صـ ٤٧.

الذين يعيشون فيه ومدى تكيفه مع أنظمة الدير ذاته والحياة العملية فيه. خصوصاً وأن الأديرة تختلف عن بعضها فى نظام المعيشة من حيث روح الأبوة، فقد يجد الأخ أن طباعه لا توافق نظام هذا الدير.

وقد يكتشف طالب الرهبنة أنه أخطأ الطريق إلى الرهبنة أساساً، أو أنه يحتاج فترة أخرى يقضيها خارج الدير وإعداد نفسه لقبول هذا النمط من الحياة. ويختبر مدى تواؤمه لهدوء الدير، فقد يكون أحد الأديرة متساهلاً فى قبول الزوار بحيث يملئون الدير ضجيجاً ولا يستريح طالب الرهبنة إلى ذلك فيلتمس ديراً آخر.

ومن النواحى الهامة فى اختبار طالب الرهبنة للحياة فى الدير، مدى استجابته للإرشاد الروحى فيه، واطمئنانه إلى قيادة الأب الروحى ونصائحه فى النمو بحياته الروحية. كذلك مدى راحته لرهبان الدير، وفائدته الروحية منهم.

٣- طقس سيامة الراهب:

فى الليلة السابقة لرسامته يدق جرس الكنيسة ويدخل رئيس الدير والرهبان وطالبوا الرهبنة إلى الكنيسة، وبعد الانتهاء من الصلوات، يدعى طالب الرهبنة للوقوف أمام رئيس الدير الذى يسأل الرهبان والأب الروحى على موافقتهم على رهبنته، كما يسأل هذا الشخص عن استعداده للانضمام إلى الدير. فإذا أخذ موافقة الجميع يبدأ فى الإجراءات التمهيدية للرسامة التى تتم صلواتها صباح اليوم التالى.

وهذه التمهيدات تشمل منح طالب الرهبنة اسما جديداً يتفق مع أسماء الآباء الأول، أى يختار له اسماً من أسماء الرهبان القدامى المشهورين، أو من أسماء الأنبياء أو مشاهير القديسين. وهذا الاسم الجديد يشعر الراهب بأنه دخل فى مرحلة حياة جديدة تختلف عن حياته السابقة باسم جديد.

ثم يرشم له الملابس السوداء التى سيرتديها فى الرهبنة بينما يقول

جميع الرهبان أمين، وبعد ذلك يرتل الرهبان لحناً من ألحان الفرح، يحيون بـه انضمام أخ جديد إليهم. ويبيت طالب الرهبنة مستعداً للرسامة فى اليوم التـالى. وكثيراً ما يقضى الليلة ساهراً فى الصلاة والتأمل أو الاستعداد للحياة الجديـدة. وفى بعض الأديرة أو بعض المناسبات الكبيرة يرتب الـدير ليلـة كاملـة فـى الصلاة، يسهر فيها الرهبان ويُرسم بعدها طالبوا الرهبنة فى فجر اليوم التـالى. (كأن تكون الرسامة فى يوم عيد أحد القديسين المشهورين، أو يكـو ن الـذين يرسمون عدداً كبيراً من الرهبان فتكون السهرة حفلة لهم. وربما يكون الشخص ذاته من الشخصيات المحبوبة جداً، والتى يفرح الدير برسامتها، شاعرين أنـه سيكون له منفعة كبيرة للدير أو للكنيسة، أو أن تكون تلك الليالى التـى يسـهر فيها الدير للصلاة بطريقة طبيعية مثل بعض ليالى شهر كيهك التى تعتاد الأديرة أن تقضيها فى الصلاة، وهو الشهر السابق لعيد ميلاد السيد المسيح.

وفى صبيحة اليوم التالى يبدأ حفل رسامة الراهب وإذ يعتبر الراهب قد مات عن العالم، أو أن قلبه مات عن شهوات العالم، أو أن هذا الإنسان القديم قد مات ويولد إنسان جديد باسم جديد لحياة جديدة كما ذكرنا، يرقد طالب الرهبنـة على الأرض ويغطى بستر من ستور الكنيسة، كما لو كان ميتـاً فعـلاً ملفوفـاً بأكفان، وتصلى عليه الصلوات الطقسية بالألحان الجنائزية كما لو كانت تـودع ميتاً وهذه الصلوات يشترك فيها رئيس الدير مع باقى الرهبان ويردد الرهبـان الألحان والتراتيل المناسبة. وتقرأ أثناء ذلك فصول مناسبة من الكتاب المقـدس والمزامير الخاصة بالنسك وحياة الصلاة والجهاد الروحى. وبعد ذلك يأخذ رئيس الدير ملابس الراهب الجديد السوداء ويرشمها مرة أخرى ويلبسها للراهب وهو يقول له البس ثياب البر، بينما يردد الرهبان لحن مستحق مستحق مستحق، ثـم يُقبل رئيس الدير هذا الراهب الجديد، ويُقبله باقى الرهبان مهنئين، ثم يتلو عليه الوصية الخاصة بالراهب الجديد، ينصحه فيها بالمبـادئ الروحيـة والنسـكية

اللازمة له فى حياته الجديدة حتى تكون حياة طاهرة نقية مقبولة أمام الله.

والمعروف أن الراهب الجديد ينذر حياة العفة والطاعة والفقر الاختيارى. ثم بعد ذلك تكمل الصلوات العادية فى الكنيسة مثل صلاة يوم الأحد تماماً، ويعتبر هذا الراهب الجديد عضواً فى أسرة الدير له كل حقوق الرهبان وعليه كل واجباتهم، كما يعتبر أباً فى الدير يطلق عليه لقب "أبونا" مع أنه لم يدخل فى سلك الكهنوت بعد، إنما هو مجرد راهب نذر نفسه للعبادة وللبتولية وللزهد.

٤- سبب اختياره الدير:

فى الكنيسة القبطية حالياً تسعة(*) أديرة عامرة بالرهبان تعترف بها الكنيسة، غير الأديرة الأثرية التى لا توجد فيها رهبنة، وبعض الأديرة الأخرى بدأت فيها حياة رهبانية ولعل الكنيسة فى سبيل الاعتراف بها مثل: دير مارى جرجس بالرزيقات قرب أرمنت، ودير الأنبا باخوم بحاجر إدفو وكلاهما فى الصعيد الأقصى قرب الأقصر وأسوان.(**)

وطالب الرهبنة لكى تعترف الكنيسة برهبنته، لا بد أن ينتسب إلى أحد الأديرة المعترف بها. أى أن اسمه يحمل اسم الدير فيقال الراهب فلان الأنطونى، أى المنتسب إلى دير الأنبا أنطونيوس، أو يقال الراهب.....البراموسى أى المنتسب إلى دير البراموس...الخ.

- أما أسباب اختيار الدير فقد تعددت وتباينت كما يتضح مما يلى:

١- قد يذهب طالب الرهبنة إلى دير معين له شهرة خاصة فى التاريخ مثل دير الأنبا أنطونيوس مثلاً الذى هو أب لجميع الرهبان فى العالم.

٢- وقد يفضل هذا الدير محبة لقديس معين ينتسب الدير إليه. أو توجد عظام

---

* - هذا كان وقت اجراء الدراسة التى انتهت عام ١٩٨٠.

** - تم الاعتراف بهذه الأديرة.

هذا القديس فيه. فالتجربة الدينية للشخص هو وعائلته تتدخل إلى حد كبير في اختيار الدير، حيث أن كثيراً من هذه التجارب ترتبط بالقديسين، والشخص يستطيع أن يعبر عن تقديره للبركة أو شفاؤه بدخوله إلى الدير. أي ينذر نفسه لهذا الذى شفاه. فمثلاً إنسان يحب القديس مقاريوس يترهب فى دير أنبا مقار، وإنسان يحب القديسين مكسيموس ودماديوس أو القديس أنبا أرسانيوس أو القديس الأنبا موسى الأسود، يترهب فى دير البراموس الذى يحمل اسمهم أو يوجد به بعض رفاتهم.

٣- قد يختار طالب الرهبنة ديراً معيناً يكون قد تردد عليه، أو قضى به فترات في بيت الخلوة الذى يوجد فى هذا الدير، وأعجب بالدير وألفه فيترهب فيه.

٤- قد يفضل طالب الرهبنة ديراً لوجود أب روحى يُرشد الدير روحياً، وهو يتفق مع هذا الأب وأسلوبه والتتلمذ على يديه أياً كان تاريخ الدير أو اسم قديسه.

٥- قد يختار طالب الرهبنة الترهب فى دير له فيه أصدقاء من الرهبان، كان يعرفهم قبل رهبنتهم أو بعدها، ويطمئن إلى معايشتهم والتكيف فى الحياة معهم فى دير واحد. وقد يكون هؤلاء الرهبان بالذات هم الذين اجتذبوه إلى حياة الرهبنة فى ديرهم، وكان يجلس إليهم أثناء زياراته للدير.

٦- قد يُفضل أحد طالبى الرهبنة ديراً يكون بعيداً جداً عن العمران وليس من السهل الوصول إليه، ويشعر أن هذا الدير يكفل له حياة الوحدة. والبعد الحقيقى عن العالم مثل دير الأنبا بولا مثلاً، أو دير الأنبا صموئيل وكلاهما توجد مشقه كبيرة فى الوصول إليهما.

٧- قد يترهب إنسان فى دير لأنه هو الدير الذى تخرج منه مطران بلده أو أسقفه أو أنه الدير الذى رسم فيه الراهب الكاهن الذى يخدم قريته أو الذى

يراه فى مدينته ويحبه.

فالوضع الجغرافى للدير عامل مهم يجب عدم إغفاله أو تناسيه، فهــذه نقطة هامة منذ الأيام الغابرة حتى ألآن، فالأديرة تجذب المتقدمين من محافظات أو مقاطعات يخدم فيها بعض رهبان الدير، أو التى فيها كنائس باسم القــديس صاحب الدير.

٨- قد يترهب إنسان فى دير يحب رئيسه أو أسقفه، ويرى أن هذا الرئيس أو الأسقف سيكفل ويحقق له رغباته الروحية. أو يشبع ميولــه واســتعداداته النسكية.

٩- قد يترهب إنسان فى دير معجب بجمال الطبيعة فيه من جبال عالية، أو وجود مغارات قديمة عاش فيها قديسون من قبل. ويكون مثل هذا الشخص من النوع الذى تؤثر الطبيعة فى روحياته فيشعر بجمال الخالق وقوة عظمته ومحبته للبشرية كلما نظر إلى الطبيعة.

١٠- قد يذهب طالب الرهبنة إلى دير معين بناء على استشارة أب اعترافــه الذى ينصحه بالذهاب إلى هذا الدير بالذات من أجــل نجاحــه فــى الحيــاة الروحية والرهبانية، والذى يتفق مع استعداداته. إذ أن كل دير له الحرية فى اتباع الأسلوب وتحديد النظام داخل الدير فيما يتعلق بالعمل أو العبادة.

والبعض قد يُعجب بالأسلوب المتشدد. والآخر يميل إلى الأسلوب الــذى يتمتع بالبساطة. فالأديرة القبطية وإن كان لها الغاية الواحدة والجوهر الواحــد فى الوصول إلى الروحانية، إلا أن الأساليب والوسائل التى تتبع للوصــول إلــى تلك الغاية تختلف من دير لآخر. وهذا يؤثر فى اختيار الرهبان للدير. فكل راهب يحاول أن يعيش الحياة الرهبانية من وجهة نظر معينة، فيختار الدير الذى يتفق مع ميوله واستعداداته ونظرته الروحية إلى طريق الرهبنة.

وقد تكون هناك أسباب أخرى غير ذلك لم أستدل عليهــا، ولــم أصــل

لمعرفتها، ولكنني اقتصرت على ما وصل إليّ من معلومات من خلال فترة الدراسة الميدانية.

والخلاصة أن طالب الرهبنة يذهب إلى الدير الذى يشعر أنه يُشبع رغباته وميوله روحياً، ويستريح إلى الحياة فيه، ويستطيع أن يتكيف مع رهبانه ويطمئن إلى منفعة قيادته الروحية، أو سلامة قيادته الإدارية أو نظام الحياة فيه.

٥- سمات الراهب:

الراهب هو انسان اعتزل العالم لأمرين:

١- ليتفرغ للعبادة والصلاة والتأمل.

٢- ليتدرب على حياة الفضيلة ونقاوة القلب.

ووسيلته إلى ذلك أن يحيا فى جو هادئ ساكن بعيداً عن مشاغل العالم ومشاكله لكى يخلو فيه إلى نفسه ويخلو فيه إلى الله.

فالإنسان الكثير الاهتمامات فى العالم، الذى يجرى وراء الرزق ساعات طويلة من يومه، ويقضى الساعات الباقية فى المسئوليات العائلية، والارتباطات الاجتماعية ومسئوليات متعددة، مثل هذا الشخص قد لا يجد وقتاً كافياً يفحص فيه نفسه ويستكشف فيه أخطاؤه ويتدرب على علاجها.

ولهذا بحث الرهبان عن حياة الهدوء والسكون ليجدوا وقتاً يجلسون فيه إلى أنفسهم، وبالتالى يقودون هذه النفس إلى الوجود فى حضرة الله.

على أن الراهب لا يبدأ حياته بالوحدة الكاملة أو الخلوة وإنما يبدأها بالحياة فى المجمع "مجمع الرهبان" لسببين:

١- أنه لم يصل بعد إلى المستوى الروحى الذى يستطيع فيه أن يستغل الوقت كله فى الصلاة والتأمل والتسبيح والقراءة الروحية والترتيل والفكر الروحى، وباقى أعماله التى يشغل فيها فكرة بالله. فإن كان لم يصل بعد

إلى هذه الدرجة واعتكف طول الوقت فى قلايتـه، وربمـا لا يسـتطيع أن يضبط أفكاره فتطيش هنا وهناك، ولا يشعر أنه قد أغلق على نفسـه فـى قلايته متفرغاً للعمل الروحى.

ولهذا يتدرج حتى يصل إلى هذه القدرة الروحية التى تستغل كل الوقـت مع الله. وهو يعمل فى المجمع ويكون له وقت كبير يقضيه مع الله. لأن عمـل الدير أيا كان لا يأخذ منه وقتاً كبيراً، وليست له فى الدير أية مسئوليات عائليـة أو اجتماعية تشغله.

٢- عمل الراهب فى الدير واتصاله بباقى الرهبان وبالعمال والضيوف وتعامله فى هذا المجتمع الصغير قد يكشف له، أو لغيره مـن الرهبـان أو لأبيـه الروحى ما فى نفسه من ضعفات لكى يعمل على علاجها. مثـال ذلـك إذا وجد فى نفسه شيئاً من الغضب أو من الحدة أو الشدة فى التعامل، أو شيئا من عدم الاحتمال، أو من انتقاد الآخرين، أو من روح السيطرة فى العمـل أو عدم الاتضاع فيه، أو التعالى على غيره، أو سـوء التصـرف وعـدم الحكمة، أو كثرة الكلام أزيد مما ينبغى، وعـدم الدقـة فـى التعبيـر، أو الإعجاب بالنفس إذا أحسن، أو اليأس أو صغر النفس إذا أساء، أو الغيرة من غيره من الرهبان، أو محبة الظهور، أو أى خطأ آخـر مـن أخطـاء اللسان أو الفكر أو الحس. فإنه يبذل كل جهده لمعالجة نفسه. وطبعاً هـذا لا يتوفر له إذا أغلق على نفسه من يوم رهبنته ولم يكـن أمامـه مجـال لاختبار هذه النفس فى اختلاطه وعلاقته بالناس.

ولا شك أن هناك أخطاء قد حاول الراهب أن يعالجها فـى نفسـه قبـل رهبنته، ولكن حياة الانشغال فى المدن لا تعطى فرصة طويلـة للجلـوس مـع النفس. كل إنسان فى الدنيا معرض للخطأ، ولكن الفرق بينه وبين الراهـب. أن العلمانى قد يخطئ ولا يشعر بخطئه وخاصة فى الأمور الدقيقـة جـداً، أو قـد

تتصاغر أمامه أخطاؤه إذا قارنها بأخطاء الآخرين ممن هم أقل منه مستوى، أو قد يبرر هذه الأخطاء بأعذار كبيرة أو أسباب تستلزمها، وأحياناً البعض منهم يسمى الأخطاء فضائل، فيسمى القسوة بالحزم، أو يسمى التدليل بالحب، أو جرحه لشعور الآخرين بأنه نوع من المزاح، وعدم احترامه لأصدقائه بأنه عدم كلفة. أو يبرر الصياح وإهانة الناس بأنها من مستلزمات الإدارة القوية، كما يسمى الكبرياء بالكرامة، والتمادى فى متع الدنيا والرفاهية بالحلال المباح، كما قد تنقلب المقاييس أمامه فيسمى الحشمة والبعد عن الهزل الردئ بالتعقيد.

وفى خلال دورة الحياة اليومية وكثرة الاهتمامات والمسئوليات قد لا يجد الفرد فرصة لمراجعة نفسه ومحاسبتها على ما صدر منها من أفعال وتصرفات وسلوك.

أما الراهب فهو إنسان، وكأى إنسان مُعرض للخطأ مع اختلاف المستوى فى الخطأ، غير أنه لديه وقتاً طويلاً يستطيع فيه:

أولاً: أن يخلو إلى نفسه.

ثانياً: أن يناقش هذه النفس ويحاسبها على كل تصرفاتها، وعلى كل تفاصيل عمله الدقيقة، كما قال أحد الآباء "أحكم يا أخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك".

وأمام الراهب مجال أن يبكت هذه النفس، وأن يؤدبها وأن يفرض على نفسه عقوبات، ومن الناحية الإيجابية لديه الفرصة أن يدرب نفسه على ترك الأخطاء.

وحتى ولو لم يقع هذا الراهب فى أخطاء واضحة فإنه لديه فرصه فى أن يدرب نفسه على الفضيلة، وللرهبان فضائل معينة يهتمون بها مثل:

الوداعة والهدوء، وإنكار الذات، الصمت، الزهد، البساطة، تسليم الحياة لله، التدرب على الصلاة الدائمة بقدر الإمكان، وشغل الوقت بالله وحده على قدر

الاستطاعة....الخ.

وفى كثير من هذه الفضائل إن لم يكن جميعها، يكون الراهب تحت إرشاد روحى من أب روحى مُختبر، يَعرف معالم الطريق الروحى وأسلوب السير فيه، ويَعرف أيضاً حيل ومحاربات الشياطين وطريقة التغلب عليها.

وكلما نما الراهب فى نقاوة القلب، وكلما نما فى شغل وقته بالله، فعلى هذا القدر يزداد اعتكافه فى قلايته، ويتدرج فى الوحدة إذا واتته الظروف وساعدته إلى أن ينتقل من مُحب للوحدة، إلى مبتدئ فى الوحدة، وإلى حبيس فى قلايته إلى حبيس بصفة دائمة، ثم إلى الوحدة فى مغارة قريبة من الدير، ثم إلى الوحدة فى مغارة بعيدة عن الدير. وليس من السهل الوصول إليها إذا أراد الضيوف ذلك.

<u>وتختلف وتتباين شخصية الرهبان</u>، وليسوا جميعهم مُحبين للوحدة المطلقة، وإنما قد يوجد فيهم أشخاص اجتماعيون، اعتزلوا ضجيج العالم ومشغوليته. ولكنهم لم يعتزلوا محبتهم لخدمة الآخرين، وخدمة المجتمع المحيط بهم وخدمة الكنيسة بصفة عامة.

هؤلاء غالباً ما تقع عليهم مسئوليات العمل فى الدير أكثر من غيرهم، ولا يرفضون بل يقبلون القيام بتلك المسئوليات برضى قلب. وربما بعض هؤلاء تكون له مواهب خاصة يستغلها الدير فى بعض خدماته، كأن يكون بعضهم حسن اللقاء بالناس فيختاره الدير لكى يكون حارساً للباب يستقبل الناس استقبالاً حسناً.

والبعض منهم لديه معرفة باللغات الأجنبية وعلى قدر من الثقافة، فيقوم باستقبال السواح والأجانب وشرح معالم الدير الأثرية، وإعطاء فكرة عن تاريخه ونظمه.

وقد يتمتع بعضهم بخبرات ومواهب إدارية تسمح له بإدارة بعض

شئون الدير، فيكلف بالنواحى الإدارية، ومن له خبرة فى الزراعة أو الهندسة أو البناء أو غيرها.

وخلاصة القول، لا نستطيع أن نقول أن للرهبان فى الدير اتجاهاً واحداً فقط لا سواه. بل هناك اتجاهات متنوعة فمنهم المُحب للوحدة والانفراد، وهذا له طريقه. ومنهم المحب للخدمة، وهذا له طريق آخر. ومنهم من يقف فى المنتصف، يقضى فى الخدمة فترة، وفى الوحدة فترة، ويحاول أن يجمع بين الأمرين معاً.

٦- الحياة اليومية للراهب:

لا أحد ينكر أهمية الوقت وتقسيمه للاستفادة، فالعمل المنظم دائماً يأتى بثمار جيدة. ومن هنا أتت أهمية تقسيم الوقت بالنسبة للآباء الرهبان، وقديماً نظراً لعدم وجود آلات لضبط الوقت كالساعات الآن، فقد كان الآباء يستغلون بعض الظواهر الطبيعية لتقسيم وقتهم مثل شروق الشمس وغروبها والفجر والغسق (ظلمة الليل) ومنتصف الليل.

وكانت هذه الظواهر ورموزها معروفة للجميع، ولكن هذا النظام كان يمثل صعوبة فى تقسيم الوقت، وهذا يظهر باختلاف فصول السنة واختلاف ساعات الليل والنهار فى الطول والقصر. كما أن العمل اليومى للراهب وتقسيم ساعات العمل ونوعيته يرتبط من الناحية الأخرى بالتغيرات الشعائرية أو الطقسية (أيام الأعياد غير الأيام العادية- وهذه غير أيام الأصوام) ولكن ما نقدمه الآن هو صورة لِما تكون عليه غالبية الأيام.

وهناك بعض الأعمال التى لا يحدد لها وقت معين للراهب لأنها أشياء شخصية من أمثلتها:

١- إذا حضر أحد الزوار وطلب مقابلة الراهب، فعليه أن يقوم بواجب كرم الضيافة، لأنها من أعمال المحبة المطلوبة فى الرهبان.

٢- وإذا مرض أحدهم يتولى آخر القيام بالعمل المنوط به بدلاً منه.

وفيما عدا ذلك فحياة الراهب اليومية، لها برنامج محدد، يتبعه ويسير عليه جميع الرهبان الذين يحيون حياة شركة في المجمع.

وفي غير أوقات العمل يبقى الراهب حراً في وقته كما يشاء، إلى أن يدق أحد أجراس الدير، ولجرس الدير دور في تنظيم أوقات الرهبان في حياتهم اليومية، وله في كل غرض رنين خاص يميزه الرهبان، مثله مثل البروجي في الجيش. وجرس الدير يدق في الأغراض الآتية:

أولاً: يدعو للصلاة، فيدق في منتصف الليل دقات طويلة، ثم بعد ذلك بحوالي ساعتين في صلاة باكر، ثم في صلاة الغروب.

ثانياً: تدق الأجراس في الدير عند استقبال الآباء الكبار مثل حضور قداسة البابا البطريرك والآباء المطارنة، والأساقفة وهذه الدقات لها معنيين: أولهما: تحية للأب القادم لزيارة الدير، وثانيهما لجمع الرهبان ليكونوا في استقباله، ويلاحظ أن هذه الدقات تتميز بالفرح.

والرهبان يستنتجون مجئ هؤلاء، لأن الأجراس لا تدق نهاراً للصلاة إلا في باكر والغروب، فإذا دقت بين هذين الميعادين يكون لسبب آخر.

ثالثاً: تدق الأجراس برنين الفرح في مناسبات احتفاليه، مثل رسامة رهبان جدد أو رسامة كهنة جدد، أو في مناسبات الأعياد، أو في مناسبات أخرى كأن يصلى كاهن جديد لأول مرة بعد سيامته كاهناً (صلاة عامة طقسية في الكنيسة).

رابعاً: تدق الأجراس دقة خاصة (يسمونها ثلاث دقات)، لدعوة مجمع الرهبان إلى الاجتماع سواء كان ذلك لأجل اجتماع خاص أو للعمل، فمثلاً يدق الجرس لجمع الرهبان للعجين والخبيز، ويدق أيضاً لتوزيع بعض الأطعمة عليهم (ويسمونها عملية التمريس) ليأخذ كل منهم نصيبه.، ويدق نفس

الدقات إذا أراد أسقف الدير جمع الرهبان لأى غرض من الأغراض، أو للاشتراك فى أى عمل طارئ. مثل جمع المحاصيل أو تفريغ عربة للطوب أو الحطب أو أى عمل من الأعمال. ويلاحظ أن الجرس الذى يدق لدعوة الرهبان لهذه الأغراض البسيطة ليس هو جرس الكنيسة، إنما هو جرس صغير خاص يميزه الرهبان.

خامساً: يدق جرس الدير ثلاث دقات حزينة متكررة لمدة طويلة، إذا مات أحد الرهبان فيجتمع الرهبان للصلاة عليه.

ونستطيع أن نُلخص كل ما سبق فى أن الجرس يدق لدعوة الرهبان للاجتماع سواء للاجتماع للصلاة، أو الاجتماع لاستقبال ضيف، أو للقيام بعمل معين، أو لتوديع لراهب انتقل من العالم.

ويوجد بكل دير على الأقل جرسان كبيران ضخمان، فى كل من منارته بالكنيسة، وفى الأحوال العادية يدق جرس واحد، وفى مناسبات الفرح الاحتفالية يدق جرسى المنارتين معاً.

٧- القلاية (مسكن الراهب):

القلاية هى كلمه لاتينية الأصل، وتعنى مسكن الراهب أو صومعته أو مكان خلوته وهى تتكون من جزأين:

أ- جزء خارجى ويسمى القلاية، ويمكن أن يستقبل فيه الراهب اخوته من الرهبان، ويقدم لهم ما يليق بالضيافة. أما الزوار الذين يأتون إلى الدير من غير الرهبان، فتقاليد الرهبنة لا تسمح بزيارتهم للراهب فى قلايته. إنما يستقبلهم فى المضيفة الخاصة بالدير، أو فناء الدير، أو حديقة الدير.

ب- الجزء الداخلى ويسمى المحبسة، وينفصل عن الجزء الأول بباب، وهو خاص بالراهب ساكن القلاية شخصياً، ولا يدخله اخوته الرهبان أيضاً فى زيارتهم له، والوحيد الذى قد يدخل محبسة الراهب هو الأب الروحى، أو

من فى منزلته كرئيس الدير مثلاً. وتمثل المحبسة حياة الراهب الخاصة. إذ يوجد فيها مرقده، و كتبه، ومكان صلاته وعبادته.

والمعروف أن الرهبان لا يحتفظون بأثاث كثير أو مرفه كما يحدث لأهل المدن، وإنما تُفرش قلاليهم ومحابسهم بالحصير، وقد يوضع فوقها شئ من "اللباد" وهو فراش من صوف الغنم.

وفى بعض الأديرة "مثل دير أنبا مقار" يبنون مصطبة ثابتة كمرقد للراهب.

وتوجد فى كل قلاية لمبة غاز. وبعض الأديرة يوجد بها كهرباء تضاء فى أوقات محددة، ولكنها لا تغنى عن "المبة الغاز"، لأنها تسير بواسطة مولد كهربائى(*) يديره الرهبان، ولذلك لا يمكن أن يسهر راهب طوال الليل لتشغيله. كما أنه يحدث ضجيجاً يتعارض مع سكون الرهبنة.

والقلاية بكل ما فيها من أثاث هى ملك للدير وليست للراهب فإذا ذهب إلى دير آخر فسيجد قلايته مؤثثة.

٨ - حياة الوحدة فى المغارة

تنقسم إلى درجات: المبتدئ، تليها الحبيس، ثم الوحدة:

- الحبيس:

هو الراهب الذى يحبس نفسه بإرادته داخل القلاية للعبادة، وبإذن أبيه الروحى، (أى يعتكف فلا يُقابل أحداً). ويعتزل للخلوة الروحية والصلاة والانشغال ببعض الأعمال اليدوية التى يستطيع أن يصنعها، وفى نفس الوقت يؤدى الصلوات ويتلو المزامير والهدف من هذا كله عدم انشغال الفكر بالأحاديث أو أى موضوعات مع الآخرين.

* - حالياً أدخلت الكهرباء إلى كثير من الأديرة العامرة.

ويسبق درجة حبيس، درجة (مبتدئ في الوحدة) وهو الشخص الذى يتدرب على الصمت والهدوء، ويعتكف بين الحين والآخر، ثم يعود بعدها إلى الاتصال بالرهبان.

ودرجة الحبيس تسبق درجة الوحدة فى المغارة كتدرج طبيعى لها. فمن الصعب أن ينتقل راهب انتقالاً فجائياً من إنسان مندمج تمام الاندماج فى المجتمع الرهبانى، إلى إنسان يعيش فى كمال الوحدة، وإنما هو يتدرج إلى ذلك بالحبيس داخل قلايته كلما أتيحت له الفرصة إلى ذلك، ثم تزداد فترات هذا الحبيس داخل قلايته حتى يدخل فيما ذكره مار اسحق "حبيس الأسابيع" أى يحبس نفسه فى قلايته أسابيع لا يتصل فيها بأحد وتأتيه مؤنه واحتياجاته، إما عن طريق نافذة فى القلاية، حيث يترك له أحد زملائه ما قد يحتاج إليه خلف ستارة، أو عن طريق القلاية الخارجية فى وقت يكون فيه حبيساً فى القلاية الداخلية والتى تسمى فى الرهبنة المحبسة. والحبيس يَعد طعامه بنفسه داخل القلاية.

وفى فترات الحبس يمتنع الراهب عن الأخبار التى قد تصل إليه بوسائل ثلاثة:

إما عن طريق الزوار، أو الخطابات، أو الجرائد والمجلات.

ودرجة الحبساء كثيرة فى الأديرة، ومن الصعب أن نحددها فى أسماء وطبعاً لم تسنح لى فرصة للجلوس مع أحد منهم. لأنهم لا يجلسون مع الرهبان زملائهم، وعندما يخرجون من قلاليهم يكونوا صامتين صمتاً لا يسمح لأحد للتفاهم معهم، أو حتى الاقتراب منهم، وقد استطعت الحصول على هذه المعلومات عن حياة هؤلاء من القليل الذى يعرفه زملاؤهم عنهم، لأننا لم نستطع أن نكسر على أحد أسلوب حياته الخاصة الذى ينتهجه لنفسه.

وفترة الحبس تختلف من راهب لآخر، حسب القامة الروحية للراهب. والمقصود بالقامة الروحية طاقته الروحية ومدى تحمله للمتاعب والمشقات.

وحياة الوحدة أو الحبس داخل مسكنه الرهبانى "مغارة أو قلاية" سر بينه وبين الله، لا هو يعلن عنه، ولا يليق بأحد أن يتطفل عليه. وإن تطفل أحد يقابل بالصمت الكامل.

والمسيحية فى ذاتها كديانة تدعو إلى الخفاء فى القلاية بين الإنسان والله فى حياة العبادة والفضيلة غير الظاهرة، وكما قال السيد المسيح "إذ صمت أو صليت فلا تبوق قدامك بالبوق، كما يفعل المراؤون. الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم" (العظة عل الجبل)[1].

وهذا هو شأن المسيحى العادى فى عبادته وعلاقته الخفية مع الله، فكم بالأولى بمن يتفرغ للعبادة فى الوحدة.

- <u>حياة الوحدة:</u>

وهو الراهب الكامل الذى وصل إلى درجة الرهبنة الكاملة بمعناها الدقيق، إذ أن الكلمة اليونانية Monachus التى تترجم بالعربية "راهب" هى فى الواقع تفيد حرفياً كلمة "وحدة" مما يدل على أن أسلوب الرهبنة الحقيقى هو الوحدة المطلقة.

وقد كانت الرهبنة فى حياتها الأولى حياة رهبان منعزلين يسكنون المغارات والكهوف المتفرقة فى الصحراء الشرقية فى حياة وحدة.

والراهب الذى يعيش فى الوحدة هو طراز من الرهبان صار يحب الوحدة والعزلة التامة عن الناس وحتى عن زملائه الرهبان فى الدير. ولا يكاد الرهبان يرونه إلا نادراً، وقد يترك الدير نهائياً بإذن من مرشده إلى مغارة فى الجبل ليمارس فيها حياة العزلة التامة، وقد يعود إلى الدير فى فترات متباعدة،

---

1 - إنجيل متى: إصحاح ٦: عدد ٢، ٤، ٦ ، ١٦.

وقد لا يعود.

وهذا الراهب يأتى للصلاة كل أسبوع (كل أحد)، والبعض منهم يأتى إلى الدير للصلاة كل أربعين يوماً، وأحياناً تصل إلى بضعة شهور على حسب درجته فى الوحدة (درجته فى مدى بُعده عن الناس وممارسته لحياة الصمت الكامل والتفرغ للتأمل والصلاة).

وقد كان أشهر من عاشوا حياة الوحدة فى هذا الجيل وأكثرهم ثبوتاً فيها هو الراهب عبد المسيح الحبشى الذى كانت له مغارة بجوار دير البراموس، عاش فيها أكثر من خمسين سنة إلى أن سافر فى آخر سنة ١٩٧٤ إلى القدس ليحيا منعزلاً هناك تبركاً بتلك الأماكن المقدسة.

وكان ناسكاً شديد النُسك لا يأكل لحوماً طول أيام حياته، ولا ما يُنتج عن الحيوانات وكذلك كان شديد النُسك أيضاً فى الإقلال من الفاكهة، والبعد عن كل طعام يعتبر أنه لون من الترفيه. والترفيه بالنسبة إليه دائرة واسعة جداً تشمل ألواناً كثيرة من الطعام والملبس والمسكن الخ. وكان طعامه يقتصر على بعض البقول تقريباً، تلك التى تأتيه من الدير مع بعض الأرز وقليل من الخضراوات أحياناً، وتصل إليه عن طريق بعض الرهبان بصورة غير منتظمة.

وممن عاشوا حياة الوحدة فى هذا الجيل قداسة البابا شنودة الثالث الذى عاش أولاً فى مغارة تبعد حوالى ٣,٥ كم عن دير السريان، ثم انتقل إلى مغارة أخرى على بعد عشرة كيلومترات على الأقل من دير الأنبا بيشوى. وعاش فيها سنوات إلى أن رُسم أسقفاً للتعليم وكان يتردد عليها أيضاً وهو أسقف، وعاش فيها بضعة شهور فى السنوات ١٩٦٤، ١٩٦٧، ١٩٦٨، ولكنه بعد أن رُسم بطريركا فى نوفمبر ١٩٧١ لم يعد إلى مغارته مرة أخرى.

وقد قمت بزيارة هذه المغارة التى تبعد عن الدير عشرة كيلو مترات وشاهدتها وهى خاليه حالياً لا يسكنها أحد. هى عبارة عن شق فى تل عالى

حينما تقف خارجها ترى الصحراء أمامك على مسافات بعيدة وهى فيها مكـان للقراءة ومكان لإعداد الطعام. ومكان القراءة ارتفاعـه حـوالى ١١٠ سـم ولا يصلح إلا للجلوس. وهناك مصطبة محفورة فى الجبل عرضها ٥٠ سم وطولهـا حوالى مترين استخدمها البابا للنوم، وأمامها مكان يصـلح للوقـوف والصـلاة ارتفاعه ١٧٠ سم. وبابها من الجهة القبلية الشرقية لكى تكون دافئة فى فترات البرد القارس فى الشتاء الذى تتميز به الصحراء وبالمثل فى الليل، أو فى الليل دافئة. ولها طاقه تأتى بشئ من النور من الجهة الشـرقية البحريـة، والمكـان هادئ جداً لا يُسمع فيه صوت. وكما يقول قداسة البابا فـى ذكرياتـه "أنـك لا تسمع هناك الا صوت الصمت".

ويبدو أنها كانت مغارة قديمة سكنها أحد الآباء فى عصور سـابقة، إذ توجد جرة من الماء قديمة عند مدخل المغارة مثبته فى بـاطن الأرض، ولكـن الراهب أنطونيوس السريانى (لقب قداسة البابا فى الرهبنة) قام بتوسيعها حينما حفرها بنفسه وكان الدير يُرسل له طعامـه مـرة كـل أسـبوع أو أسـبوعين وبخاصة الماء.

أما مغارته الأولى التى كانت على بعد ٣,٥ كم من الـدير، فكـان لـه بالقرب منها نبع للماء حفره بنفسه (إذ أن مستوى الماء قريـب مـن الأرض)، وتسمى تلك المنطقة عند العرب الحطية، ربما لأن القوافل تحط رحالهـا هنـاك حيث توجد الأعشاب البرية ومستوى الماء قريب.

- النظام النسكى للمغارة:

عموماً حياة الراهب فى المغارة حياة نباتيه محضة تعتمد على البقـول والخضراوات التى تأتى من الدير، وفى معظم الأحيان يوجد راهـب فـى الـدير مكلفاً بخدمة الذى يحيا حياة الوحدة وقضاء ما يحتاج إليه ويذهب إليـه علـى فترات حسب الاتفاق بينهما.

ويأخذ المنعزل فى المغارة بعض الكتب التى تساعده على قضاء الوقت فى الاطلاع، وفى الدراسة وفى الكتابة أيضاً. إلى جوار عمل العبادة. وأحيانا كان بعض هؤلاء الرهبان يقومون بترجمة بعض الكتب القديمة التى نشرت بإحدى اللغات الأجنبية فى موضوعات نسكية.

وحياة الوحدة تجعل الراهب كما قال قداسة البابا شنودة يملك الأربعة والعشرين ساعة التى لليوم، ويتصرف فيها كما يشاء لبنيانه الروحى، لأن الدير مجتمع صغير فيه لقاءات ما بين الرهبان وقد يصلهم زوار يلتقون بهم، كما يقوم الرهبان بالتزامات ومسئوليات معينة بالعمل العام فى الدير ومواعيد العبادة فيه.

أما الراهب فى المغارة فيحيا بنظامه الخاص وليس بنظام الدير، فله أن يقضى الليل ساهراً فى الصلاة وفى التأمل وفى القراءة، بينما ينام أثناء النهار فى وقت الحر والقيظ وله الحرية فى تنظيم وقته، بينما فى الدير تتدخل مواعيد الدير وارتباطاته فى تشكيل حياته وقد يختلف نظام حياة الوحدة من شخص إلى شخص آخر.

٩- <u>الصعوبات التى تواجه الراهب فى حياة الوحدة تتلخص فى الآتى:</u>

- <u>صعوبات الظروف الطبيعية</u>، ففى الصحراء كثيراً ما تهب رياح رملية عاصفة وخصوصاً فى شهر أمشير (فبراير) أو فى الخماسين (مايو)، وتكون كميات الرمل من العنف بحيث تكاد تردم المغارة. فيضطر الراهب بين الحين والآخر أن ينقل هذا الرمل من فوهة المغارة ويبعده. وغالباً ما تكون معه أدوات لذلك مثل فأس ومقطف.
- <u>صعوبات الدبيب والوحوش</u>: لا تخلو الصحراء من الحيات والعقارب والثعابين والجرذان، وكل هذه تسبب بعض المشقات، ولكن سكان القفر والمغارات يستطيعون أن يكتشفوا هذه الأشياء جميعها بآثارها على الأرض،

ويسمونها بلغة الصحراء "الجرة" وربما أتى هذا الاسم من جر جسمها على الأرض.

- توجد هناك بعض حيوانات كالذئاب، ولكنها قليلة فى الوادى، وهى تكثر فى المناطق الريفية تقريباً التى توجد فيها جثث حيوانات أخرى ملقاة. والذئب فى الجبل ينبه قبل مجيئه بصوته وعوائه المعروف، فيحتاط له الذى يحيا الوحدة قبل أن يصل، ولم يحدث فى البرية أن أحداً قد أصابه شئ من تلك الحيوانات.
- تطفل بعض الذين يكتشفون وجود المغارة، ويأتون للزيارة مما يتعب الراهب فى وحدته ولكن هذا قليلاً ما يحدث، فهناك أنظمة فى الدير تمنع الزوار من الذهاب إلى المغارات وإقلاق الذين يعيشون حياة الوحدة، كما أن العربان الذين يطرقون المغارات قليلون.
- فيما يتعلق بالماء والغذاء لا تسبب أى صعوبات لأنها ترتب مع الدير، ولكنها قد تضايق الراهب الذى يخرج إلى الوحدة.بدون رضا ديره وبدون موافقة رئيس الدير، ويعتبر هذا ضد قانون الرهبنة، وقليلاً ما يحدث.
- ربما تتعب الراهب أيضاً متاعب الشهرة، إذ قد توجد رغبة عند البعض فى زيارة الرهبان الذين يسكنون المغارات أو ينعزلون عن باقى رهبان الدير، وهذا يتعب الراهب الذى يهدف إلى السكون والوحدة والبعد عن الناس، فيجد نتيجة عكسية، ولذلك كان هؤلاء الرهبان قديماً يغيرون مغاراتهم كلما اشتهروا إلى مغارات تكون غير معروفة.

- علاقة الراهب الذى يعيش فى الوحدة بالزوار:-

إذا سمح هذا الراهب بالزيارة إلى مغارته تلفت وحدته، ولذلك فإن الزيارة تكون ممنوعة إلا للراهب الذى يأتى لخدمته. وإذ كان لا بد من الزيارة لأسباب هامة فغالباً تتم عند زيارته للدير، ويبقى للمغارة نظامها وقدسيتها.

وبنفس الوضع إذا كان هناك رهبان يسترشدون به ويعترفون عليه. فغالباً ما يتم هذا فى الدير أثناء زيارته للدير، حتى نبقى المغارة فى وحده خالصه.

وفى أغلب الأحوال لا يسمح لنفسه بأن يتقبل اعترافات من رهبان إلا من مستوى معين له حياه روحية يتفق مع فكر الراهب الذى يعيش فى وحده. لأنه لو تقبل اعترافات بلا تحفظ، فسيجد نفسه غارقاً فى أخبار الدير الذى ابتعد عنه. وإذا وجدت مشاكل فى هذا المجتمع الصغير فستنقل إلى فكره بواسطة الاعترافات. ولهذا فإن الراهب الذى يلتزم بقوانين الوحدة، قد يرفض الاعترافات ويستبقى شيئاً من الإرشاد الروحى فى حدود خبراته الروحية.

ويذكر مينا ردوس[1] أن الراهب إذا أرغم بطريقة اضطرارية أن يغادر المكان ويعود إلى العالم، فيجب أن يمر بالخطوات التى مر بها فى طريقة إلى الوحدة بطريقة عكسية، فهو قبل أن يصل إلى حياة الوحدة الكاملة والانسلاخ من العالم مر بعدة خطوات تدرج فيها تصاعدياً هى:

١- يجب أن يكون أولاً عضواً فى حياة المجمع.

٢- حبيس داخل قلايته، ويصبح كما لو كان غريباً عن اخوته الرهبان.

٣- يبقى فى الحبس مدة طويلة أى داخل الدير، ولكنه يغادر قلايته مرة فى الأسبوع.

٤- يترك الدير ليسكن فى مغارة بعيداً عن الناس.

٥- الخطوة الأخيرة كراهب يعيش فى مغارة غير معروفة لأى شخص يحيا فقط لله.

---

1 - OTTO Meinardus: Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts: Op. Cit P. 396

هذه الخطوات يجب أن يمر بها بطريقة عكسية أى تنازلياً إذا اضطر للعودة إلى العالم لأنه لا يستطيع أن يؤخذ الذى يحيا حياة الوحدة إلى العالم مباشرة، بل عليه أن يعود إلى الدير...الخ ويضرب مثلاً لذلك "أبونا أنطونيوس السريانى" (قداسة الأنبا شنودة حالياً).

- السـواح:-

Anachraties ويسميهم البعض **Hermits** ، نساك أو زهاد وتسمى مناسكهم وأماكن سكناهم **Hermitages** صومعات جمع صومعة أو منسك وهذه المرحلة هى درجة السواح، تزداد فيها جداً محبتهم للصلاة بغير انقطاع ومن فرط تعلقهم بالتأملات العالية فى السمائيات، تقل حاجتهم إلى الطعام والنوم، فيقنعون بالقليل من الأعشاب والنباتات التى يجدونها على الجبال وفى الصحارى،

ويذكر رؤوف حبيب أن السواح فى تاريخ الكنيسة القبطية هم قوم نساك شديدو التقشف والتعبد يمارسون حياة غاية فى القسوة والعزلة الانفرادية التامة، ويقضون معظم أيامهم هائمين فى بعض الصحارى أو البرارى ينتقلون من مكان إلى آخر ويقيمون فى كهوف فى الجبال. ومن أمثلتهم الأنبا "بولا" الذى يعتبر أول السواح فقد تنقل وهام فى الصحراء الشرقية. (١)

١٠ - الأب الروحى

والزعامة الدينية والضبط الاجتماعى

بالإضافة إلى ما سبق فهناك بعض الأدوار التى ليست لها مراكز رسمية وغير مخصصة لأحد، هذه الأدوار تعتمد على الموهبة أو المحبة أو القدرة على الرعاية أكثر من كونها وضعاً. هذا يعنى أن بعض الرهبان من الممكن أن يقوموا بهذ الدور ولكن ليس الكل. وهذا الدور يختلف من شخص

---

1 - رؤوف حبيب: تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، مكتبة المحبة، ١٩٧٨، صـ٦٩ - ٧٠.

لآخر.

وبعض الرهبان باعتبارهم أعضاء فى مجتمع رهبانى وكجزء من أدوارهم يقومون بدور الراعى، كاهناً أو معلماً.... الخ ومن هذه الأدوار دور الأب الروحى.

ففى بداية حياة الرهبنة يختار كل راهب موجهاً له، أو أحد الشيوخ، وهو ما يطلق عليه الأب الروحى **Spiritual Father**، وهذا الاختيار يكون على جانب كبير من الدقة والحذر والحكمة، حتى يستطيع اختيار قائد محنك، بدلاً من مرشد مريض كما يقول ميناردوس[1] وقد يكون الأب الروحى هو أسقف الدير أو راهب له شخصيته، أو راهب متواضع يتميز بأنه يعرف أتباعه من الرهبان وهو الوسيط وأب الاعتراف للآباء الرهبان، الذى يصغى باهتمام وإمعان وتعاطف عليهم، والذى يعنى ويهتم ويعرف المشكلات والتجارب التى تقابل الآباء فى الصحراء، وبعض الأديرة يوجد بها أكثر من أب روحى واحد، كما هو الحال فى دير البراموس حيث يوجد أربعة آباء يعترف عليهم الرهبان، على أن هناك أديرة لا يملك الراهب هذا الاختيار. هناك أب واحد يقود الكل كما فى ديرى الأنبا مقار والأنبا بيشوى، أما فى السريان فإن الأسقف هو الذى يعين للراهب الجديد الأب الذى يعترف عليه.

وقد ورد فى قوانين الرهبنة أن الراهب المبتدئ لا بد أن يكون له مرشد روحى يوجهه ويقوده فى حياته الروحية. [2]

والأبوة هنا ليست أبوة بيولوجية ولكنها أبوة روحية. ويمكن القول أنها اجتماعية أيضاً.

---

1 - OTTO Meinardus: Opcit. P. 389.

2 - قوانين الرهبنة: مخطوطة رقم ٥٣٦ "سيرة قديسين وبعض قوانين الأديرة بدير الأنبا بيشوى"

+ مخطوطة رقم ١٨٣ بدير السريان صـ ١ - ٢١.

ويذكر أحمد أبو زيد فى كتابه "الأنساق" أنه يكاد يجمع العلماء على أن مصطلحات القرابة هى فى حقيقة الأمر، تشير إلى المنزلة الاجتماعية مثال ذلك سرفيس يذكر أن كلمة "أب" أو "أم" تشير فى بعض الأحيان إلى رابطة الدم[1] الحقيقية وإلى المنزلة الاجتماعية معاً، وهنا يعترف المجتمع بالدور الاجتماعى للأب. ولكن هناك بعض الحالات التى تشير فيها إلى المنزلة الاجتماعية فقط مثل "الآباء" و"الأمهات" التصنيفيين. فكثير من الأوضاع التى ليس لها صلة بعلاقات الدم لها قيمة تتعلق بالمنزلة الاجتماعية. والأبوة الروحية تحتل منزلة اجتماعية وإن لم تكن لها صلة بعلاقات الدم.

ويحتل الأب الروحى فى الدير مكانه دينية ويتمتع بسلطة روحية فهو أيضاً له دور كبير فى الضبط الاجتماعى، إلا أن هذا الدور يختلف عن الزعيم الدينى فى الدراسات الأنثروبولوجية التى من أمثلتها:

الزعيم ذوجلد الفهد بمجتمع النوير: يذكر د. محمد عبده محجوب فى كتابه "أنثروبولوجيا المجتمعات البدوية" إن مكانة الزعيم التى يحتلها فى المجتمع ليست إلا مكانة شعائرية يكتسبها بانتمائه إلى بدنه أو عشيرة معينه، إلا أنه يقوم بدور فى حل المنازعات السياسية ولكن دوره لا يتعدى دور الوساطة، إذ أنه يلجأ إلى حل المنازعات بين القبائل عن طريق التهديد بقدرته على استنزال اللعنات بالجانى، ولكن ليس له قوة التنفيذ، على الرغم من أنه يلعب دوراً يشبه دور القاضى الذى يصدر حكماً يلجأ إلى القوة إلى تنفيذه.

ويقول د. محجوب أيضاً أن التحليل السوسيو أنثروبولوجى يوضح أن نجاح هذا الزعيم لا يتوقف فقط على قوته الشعائرية، بل تساعده الرغبة المشتركة من طرفى النزاع فى تسوية النزاعات، تلك التى تفرضها علاقات

1 - احمد أبو زيد: الأنساق، البناء الاجتماعى، جـ ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ثانية، ١٩٦٧، صـ ٤٠٦.

المصاهرة من ناحية، والظروف الأيكولوجية القاسية للصحراء من ناحية أخرى. وقد اعتبره ايفانز بريتشارد يلعب دوراً هاما فى نسق الضبط الاجتماعى، وقد أطلق عليه لقب "كاهن" أو "رجل دين" وليس"رئيس".(١)

ويذكر أحمد أبو زيد أن دور هذا الزعيم شعائرى بحت، على الرغم من أنه ليس زعيماً أو رئيساً سياسياً، إلا أنه يقوم بدور فعال فى المحافظة على تماسك المجتمع.(٢) وعلى الرغم من أنه لا يحتل مركزاً أو مرتبة اجتماعية مميزة عن باقى الأفراد، ولا يعامل باحترام فائق إلا عندما يقوم بوظيفته فقط فى مواقف الثار.(٣)

وهناك كثير من المجتمعات القبلية الإفريقية التى عرفت مراكز متمايزة، يحتلها الكهنة المتنبئون، وغيرهم من الزعماء الدينيين الذين يعتمدون على مرتبتهم وأدوارهم الدينية فى تسوية المنازعات السياسية. وهى ليست قاصرة على ملك الزولو أو ذى جلد الفهد وحده فالملوك والسلاطين والرؤساء ومن إليهم، ليسوا مجرد حكام يملكون سلطة زمنية فقط، إنما هم يجمعون إليها كثيراً من السلطات الروحية المتوارثة كما يذكر د. أحمد أبو زيد.

أيضاً الرث فى مجتمع الشيلوك يذكر د. محجوب أن دوره السياسى يعتمد على قوته الشعائرية دون أن يملك سلطات منظمة تقسر الجماعات الثأرية المتمايزة على تسوية النزاع بطريقة معينة. على الرغم من أن لوسى مير ترى أن الرث، حافظ على السلام بين شعبه لأنه يتمتع بسلطة شعائرية عليا، ولكن أكد د. محجوب أن المعلومات أثبتت أن الثأر ظل موجوداً كنظام اجتماعى.

---

1 - محمد عبده محجوب: أنثروبولوجيا المجتمعات البدوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧، صـ ٢٨٠ ، ٢٨٥.

2 - أحمد أبو زيد: الأنساق، مرجع سابق جـ ٢، صـ ٥٥٢.

3 - محمد عبده محجوب: أنثروبولوجيا المجتمعات البدوية، مرجع سابق، صـ٢٨٥.

وعند قبائل الأنجواتو يذكر أحمد أبو زيد أن الرئيس هو الشخصية المركزية التى تدور حولها الحياة القبلية التى تتحكم فى كل المناشط وتوجهها. فهو واضع القوانين وحاميها هو المشرف على الحياة الاقتصادية فى القبيلة. وقد كان هو القائد الحربى ورجل الدين والرئيس والساحر الأول. أى أنه يجمع بين السلطتين الزمنية والروحية. مثل ملك الزولو ويستمد هذه السلطة بالوراثة التى تنتقل من الأب إلى أكبر أبنائه. ويستمد العون من أسلافه، ولذا يتمتع بقدرات روحية وقوى غيبية، وهو الوسيط بين الناس والأرواح. هذا ساعده على فرض سلطانه على الناس، فأصبحت كلمته قانوناً مما ساعد على إقرار النظام، وبالتالى تحقيق الضبط الاجتماعى، ولذا فعندما تحول الرؤساء عن دينهم التقليدى واعتنقوا المسيحية، فقدوا مكانتهم الروحية التى كانوا يتمتعون بها بين أعضاء القبيلة.

و"المراض" من قبائل المرابطين فى الصحراء الغربية يلعبون دوراً سياسياً هاماً فى الضبط الاجتماعى من خلال وظيفتهم الدينية فى "الميعاد" الذى يعقد لتسوية المنازعات الثأرية.(١)

من الأمثلة السابقة يتضح أن الزعيم كان يجمع بين المكانة الدينية والسلطة الزمنية، والبعض منهم كان يرث هذه المكانة عن طريق الأبوة الفيزيقية أى بالوراثة. وهذا يختلف عن الأب الروحى فى الدير الذى لا يحتل أية مكانة رئاسية أو سياسية، ولا يتمتع بأى سلطة زمنية، بل أن أبوته قاصرة على التوجيه والإرشاد... وليس الأب الروحى فقط هو الذى لا يقوم بأى دور سياسى بل أن الدير كله لا علاقة له بالسياسة أو السلطة الزمنية.

وعلى الرغم من ذلك فالأب الروحى يؤدى دوراً كبيراً فى نسق الضبط الاجتماعى داخل الدير، وبالتالى ترابط هذا المجتمع الصغير وتماسكه. كما أنه لا

---

1 - المرجع السابق.

يقوم بهذا الدور أو يحتل تلك المكانة الروحية عن طريق الوراثة، وإنما تبعاً لمواهبه وإمكانياته الروحية فقط. لذلك نجد أن الذى يحتل هذا الوضع أفراد قلائل بالدير، وفى أغلب الأحوال لا يكون هناك إلا أب روحى واحد فى الدير.

وقديماً أيام آباء منشئ الرهبنة مثل القديس أنطونيوس، أو القديس مقاريوس أو القديس باخوميوس، كان الأب الروحى هو رئيس الدير، ورئيس الدير هو الأب الروحى. فلما صار للأديرة أوقاف وأملاك وأمور تحتاج إلى عمل إدارى ومالى، وانشغل بعض الرؤساء بمسئولياتهم خارج الدير، صار الرهبان يتخذون لهم آباء من الرهبان المقيمين فى الدير، والذين لهم دراية روحية ويمكن الالتجاء إليهم للإرشاد فى أى وقت.

على أنه حتى الآن ما يزال بعض الرؤساء آباء روحيين للرهبان مثل رئيس دير الأنبا بيشوى فهو رئيس للدير وأيضاً الأب الروحى للرهبان. ومثل رئيس دير مارمينا فهو رئيس دير مارينا والأب الروحى فى وقت واحد.

وفى بعض الأديرة يوجد أكثر من أب روحى واحد، فكل راهب له الحرية فى أن يختار من كهنة الدير من يكون أباً روحياً كما فى دير البراموس وبعض أديرة الصعيد، والراهب مطالب بطاعته للأب الروحى، كما هو مطالب بطاعته لرئيس وأمين الدير.

<u>واتضح من الدراسة أنه يوجد فى الأديرة مدرستان فى الأبوة الروحية</u>:-

<u>المدرسة الأولى</u>: يطالب فيها الراهب بطاعة كاملة فى كل ما يصدر إليه من أوامر من الأب الروحى، وعلى الراهب أن يستشير الأب الروحى فى كل شئ فى حياته، ولا يتصرف فى أى شئ دون استشارته أو بدون أمره. سواء كان أمراً صادراً إليه مباشرة، أو عن طريق أحد الرهبان المسئولين فى الدير.

<u>وفى هذا الاتجاه تتركز السلطة فى يد واحدة وفكر واحد</u>. ولذلك فإنه فى ذلك الدير يعتبر الأب الروحى هو الرئيس الفعلى للدير. ويأتمر بأمره أمين

الدير، ووكيل الدير وكل العاملين فيه، ومن يخالف مشيئته من الممكن أن يخرج من الدير.

ولوحظ أن الرهبان يتبعون الأب الروحى تبعية كاملة أكثر من رئيس الدير نفسه، ولهذا إذا اجتمع الرهبان فى مجمع لا يتكلم أحد منهم إلا من يأذن له الأب الروحى بالكلام.

كما أنهم يعتبرون حياتهم كلها مركزة فى شخص واحد، هو الأب الروحى بحيث لا يخضعون لأية سلطة أخرى فى الكنيسة إلا من خلاله.

وإذا تطلب الأمر اختيار أحد الرهبان للقيام بعمل من الأعمال أو وظيفة من الوظائف الكنسية، لابد أن يوافق الأب الروحى أولا. ولذا ففى مثل هذه الحالات فإن الآباء الأساقفة والمطارنة، وحتى البابا الذين يطلبون رهباناً من هذا الدير للعمل بإيبارشياتهم فأنهم يطلبون من الأب الروحى، وهو الذى يختار من بين رهبانه من يراه لهذا العمل. وهذا الاتجاه يتمثل فى دير أنبا مقار.

أما المدرسة الثانية أو الاتجاه الثانى فى الأبوة الروحية، فلكل راهب الحرية فى أن يقابل الأقارب والأصدقاء أو لا يقابلهم، فإذا اعتكف أحدهم فى قلايته لا يخرج، تكون هذه هى دوافعه الداخلية وليست أمراً صادراً إليه بالاعتكاف، وإذا امتنع عن مقابلة أصدقائه وأقاربه فى وقت ما، تكون هذه هى مبادئه الروحية، وهنا نجد أنماطا من الناس كلاً حسب طبيعته لا نمط واحد يخضع له الكل.

ويقوم الأب الروحى فى هذه المدرسة بالإرشاد، والتعامل مع طبائع متنوعة دون أن يحاول أن يكون منها جميعاً نمطاً واحداً. ومن حق الرهبان مناقشة أى أمر يصدر إليهم إذا احتاج إلى ذلك. وهذه المدرسة فى دير أنبا بيشوى.

وفى هذا كله تدور فكرة الأب الروحى. فمن الآباء من يظل أباً باستمرار، رافضاً التعامل كرئيس، حتى ولو كان رئيساً فعلاً. ومنهم من يرى أن الحزم ضرورى لحياة الرهبنة.

ونجد فى تاريخ الكنيسة أن القديس باخوميوس أب الشركة كان يمثل مدرسة الطاعة المطلقة بحكم حياته العسكرية السابقة. أما القديس مقاريوس، والقديس أنطونيوس فكانا يمثلان المدرسة الثانية التى تعطى الراهب حرية التصرف تحت إرشاد وتعليم.

من هذا يتضح الدور الذى يلعبه الأب الروحى فى الضبط الاجتماعى ومع أن د. أحمد أبو زيد يذكر أن تأثير النسق الشعائرى الذى يحتوى الممارسات الدينية والسحرية يكون أقل وضوحا فى مجال الضبط الاجتماعى من تأثير النسق السياسى، الذى يعتمد على أجهزة وهيئات متخصصة. إلا أن كلا منها مكملاً للآخر،[1] وبل يؤدى نفس الوظيفة فى الحالات التى تخفق فيها الأجهزة الرسمية كالمحاكم والرؤساء لعدم توفر الأدلة. فالقوى الغيبية تنجح فى اكتشاف الشخص المعتدى، بل وانزال العقوبة عليه. هذا بالنسبة للاعتقادات فى الديانات البدائية.

أما فى الدير فهو لا يعتمد كثيرا على أجهزة رسمية أو هيئات أو محاكم لتحقيق الضبط الاجتماعى بداخله، إنما اعتماده الأساسى على السلطة الكنسية لرئيس الدير، والإرشاد الروحى، وامتثال الآباء الرهبان للقوانين الديرية، وهذا يمثل انقياداً بمحبه وليس عن خضوع قسرى و قهرى كما يتطلب الضبط الاجتماعى فى المجتمع العادى. لأن المجتمع الرهبانى لا يتكون تلقائياً وإنما يتميز بأن تكوينه برغبة أفراده وارتضائهم للخضوع لتعليماته وقواعده، وإن

---

[1] – أحمد أبو زيد : الأنساق، البناء الاجتماعى جـ ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة ثانية ١٩٦٧، صـ ٥٣٨ ، ٥٤٦.

كان هذا لا يمنع من وجود بعض الأخطاء التى تتطلب تقويماً وإصلاحاً وإرشاداً، أو جزاءات إذا تطلب الأمر ذلك.

وتميز الدراسات الأنثروبولوجية بين نوعين من الجزاءات هما:

١- الجزاءات المادية العينية الملموسة التى توقعها على الشخص الجانى أو المعتدى، مصادر خارجية محسوسة أو ملموسة سواء اتخذت شكل المحاكم أو المجالس العرفية أو مجالس الشيوخ وكبار السن أو البدنات، والوحدات القرابية التى ينتمى إليها الجانى نفسه.

٢- الجزاءات الغيبية الفائقة للطبيعة وهى تتمثل فى العقوبة التى تنزلها القوى الروحية بالجانى. وهى إما المرض، أو فرض بعض القيود العنيفة القاسية، التى لا تزول إلا بعد تطهير الجانى عن طريق ممارسة بعض الشعائر التطهيرية والتكفيرية عليه.[1]

مثال ذلك الأورداليا ordeal أو "الامتحان الإلهى" أو "الاختبار الغيبى" وهو نوع من الممارسات تلجأ إليه هذه الجماعات لمعرفة الشخص المذنب، فهى طريقة للتأكد من براءة أو إدانة المستهم، كما أن العقوبة تتم بصورة آلية أيضاً.

وفى كثير من الأحيان نجد أن العناصر والأساليب والوسائل الغيبية التى يلجأ إليها المجتمع لإقرار النظام، وبالتالى تحقيق الضبط الاجتماعى كثيرا ما تأخذ صوراً وأشكالاً فى المجتمعات القبلية "البدائية" فى أفريقيا واستراليا، وتؤدى دورها الفعال فى توقيع العقوبة على الجانى وردع بقية أعضاء المجتمع، وتحقيق التواؤم مع الأنماط السلوكية والخلقية المقررة. مثال ذلك هو اعتبار المجرم "تابو" نتيجة للجريمة التى ارتكبها. حيث يفرض على الشخص التابو أن يعيش فى عزلة تامة عن بقية أعضاء المجتمع الذين يحرصون على تجنبه وعدم

---

1 - أحمد أبو زيد: الأنساق: المرجع السابق، صـ ٥٤٠ ، ٥٤٤.

الاتصال به. وهذه العزلة من أشد وأقسى العقوبات التى يمكن أن يتعرض لها المذنب، وأيضاً المجتمع نفسه يفرض عقوبة على الشخص "التابو"(*) وكثيراً من التحريمات، ويخضعه لكثير من القيود التى تفرض عليه. والهدف من هذه القيود إشارة رمزية للوضع الذى ينحدر إليه المجرم بعد جريمته فى نظر المجتمع والمستوى الذى هبط إليه.

هذه قيود مادية ملموسة، بالإضافة إلى ذلك فهناك عقوبة غيبية لا يستطيع الفرد دفعها أو الإفلات منها.

وكثيرا جداً من المجتمعات القبلية فى أفريقيا والمجتمعات التقليدية يردون انتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات إلى الأعمال الشريرة التى يرتكبها الناس، والتى من شأنها الإساءة إلى العلاقات الطيبة التى يجب أن تقوم بين أفراد المجتمع والقوى الروحية أو الغيبية التى تسيطر عليه.(١)

وهذه بعض أمثلة لأنواع الجزاءات فى المجتمع التقليدى.

أما الزاهد فى الدير فلا يمكن أن يوجد له جزاء لأنه قد حرم نفسه من كل شئ فأى حرمان آخر يمكن أن يوقع عليه، أو أنه أصبح لا يشتهى شيئاً، فلا يوجد جزاءً مادياً يحرمه من شهوة معينة.

- أنماط العقوبات فى الدير:

أما إذا انحرف راهب عن طريقه الرهبانى فمن نقطة انحرافه يمكن أن يعاقب:

- فالذى يشتهى وظيفة أو رئاسة يمكن أن يمنع عن الوظيفة أو الرئاسة. والذى يحارب بحب المال يعاقب بالحرمان منه، والذى يحارب بمحبة النزول إلى المدن يعاقب بمنعه منها، والذى يعرف عنه اشتهاء درجات الكهنوت لا يمنح له وهكذا.

---

1 - أحمد أبو زيد: الأنساق، البناء الاجتماعى، مرجع سابق جـ ٢.

*- تابو: شخص منبوذ لخروجه عن المعايير والقواعد التى استنتها الجماعة.

- إذا عرفت لراهب نقطة ضعف معينة، يمكن أن يعاقب عن طريقها. فمثلاً الراهب الذى يعرف عنه أنه لا يحب الوحدة ولا يستطيع المكوث كثيراً فى قلايتة، ويحب أن يتجول هنا وهناك، يمكن أن تكون عقوبته الحبس فى قلايته، أما الراهب الذى يحب الوحدة فلا يكون الحبس فى القلاية بالنسبة إليه عقوبة وإنما متعة.

والمهم فى الرهبنة هو التقويم والعلاج وليس العقوبة، لذا إذا وقع راهب فى خطأ تكون مهمة أب الدير أو رئيسة هى معالجة هذا الخطأ، وليس المعاقبة على هذا الخطأ إلا لو كانت العقوبة لمثل هذا الراهب تعتبر نوعاً من العلاج.

والرهبان درجات فى الروحانية كما أن لهم سمات وخصائص شخصية متباينة:

١- هناك نوع حساس جداً، إذا أخطأ لا يوجه إليه أى لوم أو أى عقوبة، إنما هو فى محاسبته لنفسه سيعاقب نفسه أشد مما يعاقبه غيره. بل قد يأتى إليه الأب الروحى ليخفف عنه لا أن يعاقبه.

٢- وهناك نوع قد يخطئ عن جهل أو عدم خبرة بالحياة الرهبانية وفضائلها وآدابها، ومثل هذا يصلح له التوجيه والتعليم. وهناك شخص يتكلم فى مجمع الرهبان بينما يجب الصمت، أو شخص يجادل من هو أكبر منه فى كبرياء أو عدم تواضع، أو آخر يكثر من الزيارة لقلالى الرهبان فيعطل روحياتهم فينبه إلى ذلك. أو راهب يتدخل فيما لا يعنيه وينصح غيره فى عنف.

٣- هناك من يخطئ بسبب سمات شخصية لم تقوم بعد، مثال شخص أتى إلى الرهبنة وفيه بقية من حدة الطبع، أو سرعة الغضب أو الأسلوب القاسى فى الحديث وبعض الألفاظ العنيفة، يعمل الدير على تقويمه ومعالجته.

وغالبا إذا اكتشفت هذه الطباع قبل الرهبنة فلا يسمح برهبنتـــه. أمـــا إذا ظهرت بعد الرهبنة فتكون النتيجـــة أن يقـــوم الأب الروحـــى بمعالجتـــه بتدريبات روحية لكى يستقيم طبعه، أو يأمره بأن يعتذر لمن أخطأ إليه.

٤- هناك نوع لابد من معاقبته لكى ينصلح. وقد تكون العقوبة:

أ- التوبيخ السرى، أو العلنى أمام الرهبان.

ب- حرمانه من دخول الكنيسة أو من الصلوات العامة فترة معينة.

جـ- نقله من مسئوليته فى الدير إلى مسئولية أخرى إن كـــان لا يحســـن التصرف فى المسئولية الأولى.

د- بعض العقوبات لها الطابع الروحى، مثل فرض أصوام معينة عليـــه، أو عدد معين من السجدات يؤديها، وهو يوبخ نفسه فى كل سجدة.

هـ- فرض عقوبة عليه فى نقطة الضعف التى يصاب فيها كما شرحنا من قبل.

و- عزلة عن جميع المسئوليات، ومن كل اجتماعات مجمع الرهبان وتركه فى قلايته مع المرور عليه بين الحـــين والآخـــر، لملاحظتـــه ونصـــحه وتقويمه.

ز- يمكن أن يعاقب أيضاً بإيقافه عن درجاته الكهنوتية أو تجريـــده منهـــا، ولكن هذه تحتاج لمجلس رهبانى كهنوتى لمحاكمته.

ح- إذا تكررت العقوبة بالنسبة للراهب ولم يستفد منها وأصبح ينجم عنـــه إزعاج فى الدير، فمن الممكن طرده، وفـــى هـــذه الحالـــة يـــذهب إلـــى البطريركية، ويعرض أمره على قداسة البابا، وغالباً ما ينتهى الأمر فـــى هذه الحالة بتحويلة إلى دير آخر مع نصحه.

ط- إذا فشل راهب فى دير، ونقل إلى غيره، وفشل فى غيره ونقل إلى عدة أديرة وفشل فيها، ولم تنفع معه كل طرق العلاج، عندئذ تكون عقوبتـــه

هى شلحه من الرهبنة، وإعادته إلى وضعه العلمانى، وغالباً ما يعلن عنه رئيس الدير فى الجرائد العامة أو المجلات القبطية، حتى لا يتعامل معه أحد كراهب. ومن الناحية العملية ينقسم هؤلاء إلى نوعين:

- نوع منهم يرجع إلى حياته العلمانية.
- النوع الآخر يبقى بملابسه الرهبانية على الرغم من شلحه وهذا أخطر.

ثالثاً: المراكز والأدوار بالدير

يذكر كل من Wishart B.J. & Reitchman أن لكل مجتمع نظامه الخاص به فى المراكز. ويتبع هذه المراكز أدوار.(١)

والمركز هو ما يشغله الفرد من منزلة اجتماعية فى المجتمع بالنسبة للآخرين. أما الدور فهو السلوك المتوقع من الإنسان الذى يشغل مركزاً معيناً. وكل مركز يصبح له مغزى إذا اتبع الأدوار المطلوبة منه. وإذا اتضحت التزاماته وارتباطاته بالأدوار الأخرى.

وروبرت بيرستيت يذكر أن كل مجتمع له العديد من هذه المراكز. وكل شخص يحتل كثيراً من هذه الأوضاع فى الجماعات التى ينتمى إليها. ويرى أن الدور هو المحرك أو المظهر السلوكى للمركز. فالمراكز تشغل، أما الأدوار فتلعب، والدور هو ما الذى يفعله الشخص فى المركز الذى يحتله.(٢)

ويذكر د. محمد عبده محجوب أن أى جماعة تتكون من أشخاص يحتلون فيها مراكز محددة، ويقومون بأدوار مرسومة فى المناشط الاجتماعية

---

1 – Wishart B.J. & Reitchma, L. : Modern Sociological Issues. Role & status , ch.4 P.62

2 – Ropert Bierstedt: The social Order: Statuses P.242

داخل كل جماعة.[1]

والأدوار التى يؤديها الشخص الواحد تختلف من مركز لآخر تبعاً للمواقف المختلفة، فهو يؤدى أدواراً معينة باعتباره يحتل مركز أب تختلف عن الدور الذى يقوم به باعتباره يحتل مركز عامل أو مركز موظف. كما يتيح للشخص أن يتدخل فى موقف معين ولا يسمح لغيره بهذا التدخل. مثل مركز رجل الشرطة والبوليس، وأيضاً مركز الطبيب يسمح له بالتواجد فى مكان ما والقيام بعمل ما كالكشف على المرضى ولا يتاح لغيره ذلك.

ولفهم العلاقات والنظم الاجتماعية لابد من النظر إلى المراكز المتمايزة الموجودة فى المجتمع بطريقة كلية وشاملة، فالعلاقات الاجتماعية التى تقوم بين الأشخاص فى المواقف المختلفة ترجع إلى علاقات بين مراكز محددة.

ويذكر جيمس داون James F. Douns أن جوهر مفهومات المركز والدور هو الأنشطة التى يقوم بها الإنسان العاقل. ويمكن النظر إليها على أنها أعمال هو مكلف بها، أى أنه فى مواقف محددة، فإن هناك عدداً من المتطلبات التى يجب على الشخص أن يعملها. والتى تقع تحت مفهوم دور. Role فهى أشياء يتوقعها الجميع. وبهذا المعنى قد يتحول الفرد إلى ترس فى آلة فى المجتمع ينفذ ما يتوقعه أفراد المجتمع منه.[2]

ورالف رادوك يرى أنه عندما يعمل الفرد بطريقة معينة تطابق توقعات الغير التى ينتظرونها منه، قد يشعر أنه أهمل رغباته الشخصية وأهدافه عندما يسلك سلوكاً متناقضاً لشعوره الداخلى، وهذا يؤدى إلى خلق نوع من التوتر والقلق والصراع الفكرى. ولكن على قدر ما تكون توقعات الشخص منسجمة

---

1 - د. محمد عبده محجوب: مقدمة فى الاتجاه السوسيو أنثروبولوجى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧، ص ٢٧ - ٢٨.

2 - James F Douns: Culture In Crisis: Glencoe Press , London 1975 P.104

ومتوافقة مع طبيعته. فقد لا يدرك أنه يؤدى دوراً ما.

رالف رادوك يرى أن مصطلح "دور" مشتق من كلمة "خشبة المسرح" فقد أدرك ممثلو الدراما منذ فترة طويلة سبقت ما وصل إليه عالم الاجتماع. مغزى الأدوار فى الحياة الواقعية.

فالمكانة أو المنزلة توجب على الفرد الكيفية التى يؤدى بها دوره:(١) مثال: المدرسة تتكون من مجموعة من الأدوار المحددة. منها دور التلميذ الذى يطلب منه الانتباه للدرس، وأن يكون دائماً هادئاً ومطيعاً، ومنفذاً لما يطلبه منه المدرس. والمدرس يتوقع منه ضبط وربط وتوجيه وإرشاد ومساعدة التلاميذ، كما يوجد مشرف تغذية وسكرتير وناظر. وهذه الأدوار تكون بناءاً اجتماعيا.

والدور لا يتضمن فقط ما الذى ينبغى عمله، بل أيضاً كيفية أداء هذا العمل. وهناك ضوابط عامة يمكن توقعها بالنسبة للدور، أى ما يترتب عليه من سلوك تسمى "معايير" فالسلوك الذى يتفق مع تلك المعايير نطلق عليه سلوكاً عادياً، والمنافى لها يسمى سلوكاً منحرفاً.(٢)

وعاطف واصف يرى أن لفظ "مركز" لفظ موضوعى لا يدل على عمل تقييمى للفرد، وهو مختلف عن "رتبة" rank الذى يدل على مكانة محددة بعضها مرتفع والآخر منخفض بالنسبة إليها. (٣)

ويستخدم لفظ الدور عند بعض الكتاب للدلالة على توقعات الآخرين، وأحياناً أخرى يشير إلى الطريقة التى يرى الفرد أنها مطلوبة، والمتوقع منه ان يتبعها أو يسلك على منوالها. وأحياناً تشير إلى سلوكه الفعلى.

ويستخدم العلماء مفهوم الدور ليشمل ويضم كل سلوك اجتماعى، وقد

---

1 - Ralph Ruddouk: Roles & Relashionships: P. 1
2 - Ibid.
3 - عاطف واصف: الأنثروبولوجيا الاجتماعية: دار المعارف بمصر١٩٦٧، صـ٢١٦.

يعنى الموهبة أو الذكاء أو التكيف. ولذا يصبح أى فعل فردى لدى المرء مختلفا إذا ما تغير أى عامل من هذه العوامل. ومن الخطأ محاولة تفسير سلوك واحد بالرجوع إلى عامل واحد فقط منها.

وقد عرف العلماء الأدوار بأنها وحدات فى البناء الاجتماعى أكثر من كونها مجرد إناس يتحركون بسرعة بين أدوار مختلفة.

وجيمس داون يرى أن كل جماعة من الجماعات، تحدد من هو الرئيس، القائد الحاكم، والدور الذى يقوم به كل منهم، أو ما يجب أن يعمله فى هذا المركز أو تلك المنزلة التى يشغلها. فإذا كان هناك قائداً أو رئيساً فالجماعة تحدد من يكون، وكيف يعمل، وما هى علاقته بالآخرين. هل لديه المقدرة على الإرشاد الحكيم.

وهل لديه المقدرة على مساعدة الناس فى أزماتهم، وكيف يتعامل مع أتباعه؟ هل باللقاءات المباشرة أم عن طريق الكلمة المنشورة، أى أنها تحدد الوسيلة التى يتعامل بها مع الأتباع.

ويوجد فى الجماعات كثير من القادة المكلفين بالقيام بأدوار محددة، تكون لكل منهم الكلمة الأولى فى مجال معين. وليس فى باقى المجالات كما فى الدير نجد الأب الروحى، والأسقف وأمين الدير كل منهم له دوره كما سنرى.

وقد يقوم الشخص الواحد بمجموعة أدوار "Role set" مثال رجل الأعمال يتعامل مع عملائه ومع موظفيه ومع المنتجين لما ينتجه، وأيضاً مع غيره من رجال الأعمال.(١)

ونتيجة للمتطلبات الكثيرة التى تشملها مجموعة الأدوار، فإن الفرد يقع تحت بعض الضغوط، أو ما يسمى بإجهاد الدور. ويمكن التخفيف من هذا

---

1 - James F Douns: Culture In Crisis: Glencoe Press , London 1975 P.109

الإجهاد بعدة طرق منها:

- التركيز على دور واحد حتى الانتهاء منه، ثم الاهتمام بالدور الثانى... الخ.
- تجاهل أو محاولة تجاهل الضغط الناتج عن ذلك.
- التفكير الجاد فى أى الأدوار له الأهمية القصوى.

وتنقسم المراكز إلى نوعين: مراكز مفروضة ومراكز محصلة أو منجزة:

- مراكز مفروضة أو منتسبة: Ascribed Status

يذكر روبرت برستيت أنها تعتمد على الحالة البيولوجية، وكل من Wishart , Reichman يريان أنها تعزى إلى الأفراد تبعاً للوراثة دون النظر إلى ماهية الفرد أو قدراته أو إمكانياته، وتقسم تبعاً للسن والجنس والسلالة، ومكان الميلاد.

وليس للفرد حق الاختيار فيها، مثل المنزلة القرابية، فالفرد لا يختار أقاربه وأخواته وأبويه وأجداده، ولا يختار مكان مولده. ومن غير الممكن تعديل هذه المراكز أو تجديدها، فهى تملى على الفرد القيام بأدوار معينة.

على أن هناك مراكز تتبع النشأة مثل المنزلة الدينية ولكن من الممكن أن تتغير فى المستقبل، فقد يكون الفرد عضواً فى جماعة دينية مثل البروتستانت، أو الكاثوليك، أو دين كاليهودية، ويحتمل أن تتغير و تتعدل فى المستقبل.

وهذه المراكز لا وجود لها فى الرهبنة سواءً ما يمكن أن يتغير منها كالقرابة أو ما يجوز تغييره كالمذهب أو الدين.

- مراكز محصلة: Achieved أو المكتسبة

يرى Wishart أنها أوضاع يكتسبها الفرد باختياره، ومجهوده، وثقافته الاجتماعية، وروبرت برستيت يعطى بعض الأمثلة لهذا النوع منها المركز المهنى والمركز السياسى والمركز الطبقى وهذه الأمثلة مدركة فى

مجتمعنا ومحصلة ومكتسبة. وإن كان المركز السياسى فى بعض المجتمعات منتسب كملكة إنجلترا فهى بالوراثة. وليست منجزة أو محصلة.

ويمكن القول أنه حيث يكون الانتساب للبناء الطبقى مفتوحاً وحيث التحرك الاجتماعى ممكناً، فإن المراكز الطبقية تكون محصلة ومنجزة وبالعكس.

ومن هذا يتضح أن المراكز تحصل وتكتسب فى بعض المجتمعات، وتورث فى البعض الآخر. وجميع المراكز الموجودة فى الرهبنة من النوع المحصل والمكتسب.

وفى الحياة العملية هناك بعض المراكز تكون مفضلة عن غيرها فى كل مجتمع، ويتحدد المركز بتجميع الأدوار التى يقوم أو يجب أن يقوم بها الشخص، كما يجب أن تتوافق هذه الأدوار وألا تتعارض مع بعضها البعض.

فالمجتمع شبكة من المراكز والأدوار التى تترابط وتتشابك بعضها مع البعض. وفى كثير من الأوقات فى أى مجتمع قد نجد فرداً واحداً يلعب أكثر من دور، فقد يكون طبيباً وأباً وزوجاً وأخاً... الخ فى وقت واحد.

وفى الدير قد يقوم الفرد بعدة أدوار فهو الراهب وفى نفس الوقت قد يشغل مركز أسقف أو أمين الدير، أو أب روحى. وهو فى هذه الحالة يقوم بعدة أدوار فقد يكون راهباً وكاهناً وأميناً للدير معاً. أو أسقفاً أى رئيساً للدير وأيضاً أباً روحياً... وهكذا.

وإن كانت بعض المراكز فى الحياة العملية فى المجتمع العادى تكون مفضلة عن غيرها. كذلك فى الدير توجد منزلة أو مركز أفضل من الآخر من الناحية الاجتماعية. كما توجد مرتبة روحية أعلى من الأخرى كما يتضح من رتب الرهبنة.

والمراكز بالدير لا تورث فهى ليست مفروضة ولكنها محصلة ومكتسبة تبعا لقدرات الشخص، واستعداداته، ومواهبه، وطاقته الروحية.

ويمكن القول أن الرهبنة هى أدوار معينة يلعبها رهبان محددون، بحيث لا يستطيع الراهب أن يقوم إلا بدور معين، تبعاً لقامته الروحية. مثال ذلك الجميع رهبان، ولكن ليس الجميع يعيشون فى حياة الوحدة أو حبساء أو أساقفة أو أمناء أديرة، إنما قليلون فقط هم الذين يشغلون هذه المراكز التى تتطلب أدوارا معينة، وأنماطا من السلوك تحددها تلك المراكز.

وهناك بعض المراكز الثابتة بالأديرة. وعلى الرغم من أنها ثابتة ودائمة ولا تتغير على مر الأجيال، إلا أن الأشخاص الذين يشغلون هذه المراكز قد يتغيرون من حين إلى آخر. ولا يظل أحدهم ثابتاً فى هذا المركز، وهذا الانتقال والتغير قد يكون سببه الانتقال إلى مركز آخر، أو للقيام بعمل آخر، أو ينجم عن الوفاة. وهؤلاء الأشخاص الذين يحتلون هذه المراكز قد يقومون بأدوار مختلفة، فما يفعله هذا الشخص فى نفس المركز قد يختلف عما يفعله شخص آخر يحتل ذات المركز.

<u>وفيما يلى أهم المراكز الموجودة بالدير:</u>

١ – <u>الأسقف</u>:

كان رؤساء الأديرة لا يزيدون عن درجة قس فقط إلى عهد قريب، وقد قام البابا يوساب الثانى برسامة أساقفة للأديرة فى الفترة ما بين ٤٦ – ١٩٤٨. وحالياً بعض الأديرة لا يوجد بها أسقف لكل دير. مثل دير الأنبا صموئيل بالصعيد، ودير الأنبا أنطونيوس بالبرية الشرقية فرؤساء الأديرة قمامصة فقط.

وتوجد أديرة يشرف عليها أساقفة من الإيبارشيات، فدير الأنبا مقار يشرف عليه نيافة الأنبا ميخائيل مطران أسيوط منذ عام ١٩٤٢ ودير العذراء بالمحرق ودير الأنبا بولا فى البرية الشرقية كان يشرف عليه نيافة الأنبا أغاثون أسقف الإسماعيلية، ودير البراموس بوادى النطرون كان يشرف عليه

نيافة الأنبا أرسانيوس أسقف المنيا. وقد يرسم لهم أساقفة.(*)

أما دير السريان فيرأسه نيافة الأنبا ثاوفيلس منذ سنة ١٩٤٨. ودير الأنبا بيشوى يرأسه نيافة الأنبا صرابامون منذ سنة ١٩٧٥. وهذان الأسقفان ليس لهما عمل آخر سوى رئاسة كل منهما لديره.

والأسقف هو رئيس الدير سواء من الناحية الرهبانية أو من الناحية الإدراية، وغالبية الأديرة لها أوقاف من الأراضى أو المبانى يشرف الأسقف على إدارتها مالياً ومن إيرادها ينفق على الدير. ولذلك فإن لكل أسقف أو لكل دير وكيل أو أكثر لإدارة هذه الأراضى تحت الإشراف المالى لهيئة الأوقاف القبطية التى تراجع حساباتها. ويلتزم الأسقف بتوفير احتياجات ومصروفات الدير ورهبانه من المؤن والأطعمة وخلافها. حسب عادة الدير يُرسل للرهبان الملابس، ويقوم بالمحافظة على مبانى الدير وأملاكه وتجديد اللازم منها.

والأسقف هو الذى يرسم الرهبان الجدد، وهو الذى يرسم الرهبان كهنة فى الدير، ويقوم بتعيين الرهبان فى وظائف الدير المختلفة، والمسئول رسمياً عن الدير من كافة النواحى.

أما الأديرة التى يرأسها قمامصة وليس لها أساقفة، فإن رئيس الدير يقوم بكل هذه الأعمال ما عدا سيامة الكهنة، فإن ذلك يتم بواسطة البابا أو من ينتدبه لهم من أساقفة لأن رتبته أو درجته الكهنوتية وهى قمص لا تتيح له سيامة كهنة.

---

* - حالياً أصبح لهذه الأديرة رؤساء، إذ رسم نيافة الأنبا يسطس رئيساً لدير الأنبا أنطونيوس ونيافة الأنبا باسيليوس رئيساً لدير الأنبا صموئيل ورسم نيافة الأنبا ساويروس أسقفاً لدير العذراء بالمحرق ورسم نيافة الأنبا دانيال أسقفاً لدير الأنبا بولا ورسم نيافة الأنبا ايسيذورس أسقفاً لدير العذراء برامسوس ونيافة الأنبا ميخائيل مازال يشرف على دير الأنبا مقار ورسم لدير السريان الأنبا متاؤوس.

أما فى دير الأنبا بيشوى حيث يقيم قداسة البابا فهو الذى يقوم بسيامة الكهنة والرهبان يساعده الأسقف.

فقد ورد فى قانون الرهبنة القبطية الأرثوذكسية[1] فيما يختص برئيس الدير إذا خلا مركز رئيس الدير بسبب الوفاة، أو بأى سبب آخر، فانتخاب خلفه يكون بترشيح من مجمع رهبان الدير وتزكيتهم ممن تنطبق عليهم الشروط. وعندما يراد انتخاب رئيس للدير يجتمع المجمع برئاسة أكبر الرهبان سناً. وبعد صلاة القداس الإلهى وطلب إرشاد الله، يعرض رئيس الجلسة أسماء المرشحين، ويتم انتخاب أحدهم بطريقة الاقتراع السرى، وتعمل تزكية ويوقع عليها جميع أعضاء المجمع لمن ينال أكثر الأصوات، وترسل إلى البطريرك أو القائم مقامه.

وعلى جميع الكهنة والرهبان وطالبى الرهبة احترام رئيس الدير والخضوع لأوامره.

ولأن الأسقف لا يقيم كثيراً فى الدير لانشغاله بأمور إدارية ومالية، ولأنه أيضاً عضو فى المجمع المقدس له دوره فى الإدارة العامة للكنيسة. لذلك كان لابد من وجود شخص ينوب عنه فى إدارة الدير من الداخل، وهذا الشخص هو أمين الدير. وإن كان الأسقف يقضى فترات خارج الدير لإدارة أموره المالية أو عن طريق وكيله، إلا أنه يمكث فترات داخل الدير للإشراف على الرهبان.

٢ – أمين الدير:

يسمى فى الدير "رُبيتة" وهى مأخوذة من عبارة رب البيت، وقديماً كان الربيتة هو صاحب السلطة الأولى فى الدير، عندما كان رؤساء الأديرة يقيمون فى مركز الدير الإدارى. أو فى عزبة الدير، ولا يذهبون إلى الدير إلا

1 – المجمع الأكليريكى العام المقدس: خلاصة قانون الرهبنة القبطية الأرثوذكسية، المطبعة المرقسية بالدرب الواسع، رقم ٣٠ بمصر، ١٩٢٨.

نادراً تاركين كل شئون الدير الداخلية لأمين الدير، فهو المسئول الأول عن الدير ويحل محل الأسقف فى حالة غيابه ويقوم بعمله.

أما الآن فإن رؤساء الأديرة يقيمون فى الدير غالبية الوقت ما عدا الأساقفة الذين لهم إيبارشيات.

وأمين الدير ليس ثابتاً فى وظيفته، فقد يتغير ويعين الأسقف أحد الرهبان بدلاً منه، وهذا يحدث لإحدى الأسباب الآتية، اذا لم يرضى الرهبان عنه، أوإذا كانت سياسته فى إدارة الدير ليست موضع رضى الأسقف، أوإذا انتقل إلى وظيفة أخرى فى إدارة الدير بالعزبة أو مركز الدير، أو لأية وظيفة فى الإيبارشيات، أو إذا أراد هو أن يعتزل الخدمة طلباً للهدوء.

وفى بعض الأديرة يوجد كثيرون قد شغلوا هذه الوظيفة داخل الدير (مثل دير السريان)، وإذا اجتمع الرهبان للصلاة يرأس أمين الدير هذه الصلاة فى غيبة الأسقف، والرهبان يطيعونه ويأتمرون بأمره، ويمكنه أن يغير أى راهب من وظيفة إلى أخرى.

وفى دير الأنبا بيشوى يتولى الرُبيتة الأعمال المالية، وهو أساسا مسئول عن احتياجات الآباء الشخصية لأن نظام المجمع الذى يتبعه الدير يقضى بألا يتقاضى الراهب أية مبالغ نقدية، ولكن هناك مبالغ رمزية يقدمها الدير لكل راهب يستلمها عنه الربيته المسئول عن الدير، لتلبية كل احتياجاتهم، وهو المسئول عن توفير وتدبير الطعام للرهبان وجميع المتطلبات الشخصية كالعلاج وغيره.

ويقوم بالاتصالات الرسمية مع الجهات المختصة التى يحتاج الدير للتعاون معها، مثل الاتصال بمجلس المدينة لتوفير مواد البناء، أو الاتصال بمكاتب التموين لتوفير التموين الخاص بالدير، حيث يوجد بطاقة واحدة لجميع الرهبان. وفى حالة حدوث مشاكل تتعلق بالأمن يقوم الربيتة بالاتصال بمراكز

الشرطة. ويتابع جميع الأعمال الموجودة بالدير. وإن كان هناك خلافات يبلغ بها الربيتة للعمل معاً على حل جميع المشاكل التى تخص أعمال الدير.

- ويرجع الرُبيتة إلى رئيس الدير لأخذ مشورته وموافقته قبل الشروع فى القيام بأى عمل من الأعمال، وفى حالة غيابه عليه أن يتصرف فى كافة الأمور، وعليه أن يعطيه علماً بذلك عند عودته، ويعرض الميزانية الشهرية الخاصة بالدير على رئيس الدير فترفع إليه فى نهاية كل شهر لبحث حسابات الدير.

وعلى الرغم من أن وظيفة الربيتة وظيفة إدارية، إلا أنه فى حالة وجود أى أمور تستدعى التفاهم بين الآباء وأحد العمال، تختص بالجوانب الإدارية، فأنه يتطلب الرجوع لحلها بطريقة روحيه.

وقد اشترطت قوانين الرهبنة القبطية أن يكون الرُبيتة معروفاً بالنشاط والغيرة وعفة النفس، والحرص على مصالح الدير، ويكون تعيين الأمين من اختصاص رئيس الدير وموافقة مجمع رهبانه، وعليه أن يخطر البطريرك بتعيينه.

ويؤدى أعمال الرئيس فى حالة غيابه ويفتقد أحوال الرهبان ويسد احتياجاتهم والنظر فى مطالبهم، وافتقاد المرضى والشيوخ منهم، واختبار طلاب الرهبنة ومراقبتهم وشراء مستلزمات الدير من الأثاث واحتياجات المكتبة من مراجع وكتب روحية وعلمية، وأن يحفظ فى عهدته الوثائق والأوراق الأثرية والملابس الكهنوتية والأوانى الثمينة، وكل ما له قيمة أثرية وغير أثرية يرصدها جميعاً فى سجل خاص. وهذا كله من الاختصاصات التى يحددها له رئيس الدير. (١)

---

1 - المرجع السابق. صـ ٣- ٨.

ويستقبل القادمين إلى الدير من الزوار العلمانيين والرهبان فـي حالـة غياب الرئيس، وهو الذى يأذن لحارس الباب فى إدخالهم ويستضيفهم فـي دار الضيافة، ويقدم ما يلزم لراحتهم ويلازمهم فى سيرهم داخل الدير لمشاهدة مبانيه وآثاره. كما يقيد فى سجل خاص أسماء الرهبان وتاريخ دخولهم وترقيتهم إلى الرتب الكنسية، ويعد لكل منهم ملفاً خاصاً به لحفظ أوراقه للرجوع إليه عند الحاجة.

٣ - أمين المكتبة

يوجد فى كل دير مكتبة يتولاها أحد الرهبان، ويعتبر مركز أمين المكتبة من المراكز الثابتة بالدير، وإن اختلف الأشخاص الذين يشغلون مركز أمين المكتبة.

وتنص قوانين الرهبنة على أن أمين المكتبة يشترط فيه أن يكون معروفاً بسعة الإطلاع، ليكون على علم بما فى عهدته من الكتب وعليه أن يرصد جميع الكتب التى تسلم إليه فى سجل خاص من صورتين تحفظ أحدهما عند أمين الدير ويرتبها فى خزانتها ترتيباً حسناً، وأن يبلغ أمين الدير بما يحتاج منها إلى التجليد. ومحظور على أمين الدير وأمين المكتبة وجميع الرهبان إخراج أى كتاب كان من الدير، إلا بأمر رئيس الدير أو البطريرك أو القائم مقامه، على أن يرد ما يؤخذ من الدير إليه ثانية. [١]

ويخصص بكل دير حجرة خاصة لمكتبة الدير، وتضم المكتبة أنواعا مختلفة من الكتب، منها كتب مقدسة بلغات مختلفة وتفسيرات للكتب، ومنها ما هو خاص بالطقوس، ويشمل ما تستخدمه الكنيسة من قراءات سواء فى مناسبات خاصة كالأعياد أو فى المناسبات العامة- كما يوجد متنوعات أخرى-

---

1 - المجمع الأكليريكى العام المقدس: خلاصة قانون الرهبنة القبطية الأرثوذكسية، المطبعة المرقسية، ١٩٢٨، صـ ١٠.

كتب طقسية خاصة بالكنيسة اليونانية ومجموعة من المخطوطات وكتب تاريخية وكتب لتعلم اللغة القبطية وأقوال آباء كآباء نيقيه وما بعد نيقيه.

ويقال أنه كان يوجد فى دير الأنبا بيشوى عقب وفاته ٤٠٠ ناسخ، قاموا بنسخ الآلاف من الكتب ولكن لا نعرف عددها بالضبط لأن الكثير منها نقل إلى البلاد الأوربية بوسائل مختلفة منها الرحالة والزوار الأجانب والباحثين.

- نظام المكتبة:

من حق جميع الرهبان أو الذين تحت الرهبنة دخول المكتبة وقراءة ما يريدونه، فيما عدا بعض الكتب النسكية الخاصة بقامات روحية مرتفعة، فلا يجب قراءتها إلا بعد تصريح خاص من أب الاعتراف، لأنه هو الذى يعرف قامة ابنه وما يفيده، فهناك بعض الكتب العالية فى النسكيات التى إذا قرأها المبتدئ فى بداية طريقة فقد يتعب فى حياته، لأنه لا يستطيع تنفيذها. مثال ذلك الكتب التى تحث الراهب على سكنى المغارات، أو طى الأيام صوماً، أو الصمت الكامل، ويكون تنفيذها بلا إرشاد سبباً فى بلبلة الراهب.

وبالمكتبة سجل لاستعارة الكتب، وكلها تقريباً استعارات داخل الدير. ولا يسمح للراهب بالخروج من الدير ومعه كتاب من كتب المكتبة إلا بإذن من رئيس الدير. وعادة الراهب الذى يستعير كتاباً من المكتبة يحافظ عليه أكثر من كتبه الخاصة.

- مواعيد المكتبة:

هناك أوقات محددة للمكتبة وهى عادة فى الصباح بعد صلوات الكنيسة يومياً ما عدا يوم الأحد فلا تفتح إطلاقاً. وهذه المواعيد من الممكن أن تتغير فى حالة الضرورة.

وأول مكتبة نظمت فى الأديرة كانت مكتبة دير السريان، وألحق بها أول مطبعة أيضاً دخلت إلى الأديرة، ولكنها توقفت الآن حيث أصبح كل المشرفين

عليها فى مناصب كنسية فى العالم. وقد زودت المكتبة بالكتب والمخطوطات والمطبوعات الحديثة من مختلف اللغات فصارت أول مكتبة تجمع بين القديم والحديث- وهكذا حدث فى مكتبات باقى الأديرة- مثل دير الأنبا بيشوى ودير البراموس ودير الأنبا مقار، بل وأصبح فى دير الأنبا مقار مطبعة حديثة.

٤ - خدمة الكنيسة والكنائسي

- قيادة الصلاة عامة: يقود اجتماع الصلاة الأسقف وفى غيبته أمين الدير وفى غيبتهما توجد أنظمة فى الأديرة:

أ- نظام يقضى بأن أكبر الرهبان سناً، أو أقدمهم رسامة هو الذى يقود الصلاة كما فى دير السريان.

ب_ نظام آخر يعهد بهذه الوظيفة إلى شخص معين كما فى دير الأنبا بيشوى.

جـ- أحياناً يقود الصلاة الكاهن الذى عليه الدور فى الصلاة، لأن الأديرة توزع الصلوات فى الكنيسة "القداسات" بترتيب على الآباء الكهنة.

ولكن على الرغم من القيادة العامة للصلاة، توجد وظيفتان أخريتان بالنسبة للكنيسة وهما:

- الكنائسي

هو الذى يقود الصلوات العامة للرهبان فى الكنيسة الذين يردون على الكاهن صاحب الدور فى الصلاة. فالكنائسى يقود التراتيل والألحان والمردات. ويقود خورس الرهبان وموكبهم فى الاحتفالات والأعياد، وفى استقبال الآباء الأساقفة والمطارنة. كما أنه يقوم بتعليم الكهنة الجدد وتسليمهم طقوس الكنيسة وألحانها. وفى بعض الأديرة يوجد أكثر من كنائسى خصوصاً إذا كانت تقام القداسات يومياً ويشترك فيها الزوار مع الرهبان.

٥ - القنـــــدلفـــت

وهو لقب يطلق على من يوقد القناديل فى الدير أى الشموع والســـرج، ولعل كلمة قنديل مأخوذة من كلمة candle بمعنى شمعة. ومن مسئوليات هـــذا الراهب أيضاً أن يهتم بالكنيسة ونظافتها وإعــداد الكنيســـة لإقامـــة الصـــلوات والشعائر والإعداد للعماد وإعداد كتب القراءة الطقسية وإشـــعال الشـــموع- أى جمع ما يلزم لإقامة الشعائر الدينية وإقامة القداسات فى الكنيسة.

يقوم بدق الأجراس فى الصلوات، وعليـــه أيضـــاً التنبيـــه علـــى الأب المسئول عن إقامة القداس فى اليوم التالى أى فـــى اليـــوم الســـابق. وكـــذلك الشماس الذى سيقوم بالخدمة معه. وفى حالة عدم استطاعة الأب المنوب القيام بالخدمة فى اليوم المخصص له، يبلغ الأب التالى فى الدور، كما يقـــوم بتوزيـــع الصلوات على الآباء الحاضرين فى الصلوات الجماعية، والاستعداد للمناســـبات كالاحتفال بأعياد القديسين.

وقد ورد فى قوانين الرهبنة الأرثوذكسية مـــادة (٢١) أن مـــن يعـــين للخدمة فى الكنيسة، يجب أن يكون ملماً بالطقوس والترتيبات الكنسية، وعليـــه أن يرتب الكتب الكنسية المتداولة على مدار السنة. ويخرج كتب كل طقس فـــى حينه، ويعيدها إلى مكانها بعد الانتهاء منها. وهو الذى ينير الشموع والقناديـــل ويراقب نظافة الكنيسة وفرشها. وإخبار رئيس الدير بمن عليه من الكهنة تأدية الشعائر الدينية.

٦ - حـــارس البـــــاب

تعد أحد الوظائف الهامة فى الدير حتى أنه فى بعض الأديرة قديماً مثل دير البراموس كان أمين الدير هو الذى فى يده مفتاح الدير.

فصاحب هذه الوظيفة هو الذى يـــأذن بالـــدخول والخـــروج للرهبـــان والضيوف معاً. وهذه الوظيفة تبدو أهميتها بالذات بالنسبة للأديرة التى لا يوجد

لها سوى باب واحد وليس لها امتداد فى العمران مثل دير الأنبا بولا، ودير الأنبا أنطونيوس بالصحراء الشرقية، ودير المحرق بالصعيد، ومثل دير أنبا مقار لأنه على الرغم من اتساع العمران فيه فإن خروج ودخول الرهبان منه وإليه بإذن خاص.

وهكذا تكون للراهب المسئول عن الباب ذاكرة يعرف بها من دخل ومن خرج، ومن تأخر، وهو يتلقى أوامره من أمين الدير، وله سلطان بناء على الأوامر الصادرة إليه من عدم إدخال أحد إلى الدير إلا من لـه إذن أو تصريح بذلك. ولذلك فهو يستفسر على من يأتى إلى الدير، ومن لديه تصريح سواء من البطريركية أو رئاسة الدير، ويعرف الأصدقاء والمترددين عليه عامة، والذين يمكن دخولهم حتى بدون تصريح. ويشترط فيمن يشغل هذا المركز معرفة طريقة التعامل مع الناس وإن يكون حسن المعاملة، وأحياناً يستبقى الضيوف على الباب ريثما يستشير أمين الدير فى الداخل عمن يأذن له بذلك.

وبالنسبة إلى دير أنبا مقار توجد بوابتان، بوابة للدير نفسه، وبوابة أخرى بعدها. والراهب المسئول عن هذه البوابة له تليفون داخلى يمكن أن يتصل عن طريقه بالأب الروحى داخل الدير، أو بأمين الدير ليأخذ إذناً لإدخال هؤلاء الضيوف أو عدم التصريح لهم.

وفى قوانين الرهبنة القبطية الأرثوذكسية مادة ١٢ تذكر أن حارس لباب يجب أن يكون مسرعاً إلى إجابة كل قارع للباب، مكرماً لكل داخل على حسب تقديره، وطبقا للمادة ٢٣ لا يفتح باب الدير للقادمين أو الخارجين إلا بأمر أمين الدير، أما مادة ٢٤ فتنص على أنه يجب على الموكل بباب الدير عند ملاقاته الوافدين من الواردين أو المترددين على الدير وغيرهم، ألا يخرج عن العادات المرعية فى إطعامهم وشرابهم ولا يتحدث معهم فى أمور العالم ولا يعطيهم أو يأخذ منهم شيئا إلا بأمر أمين الدير.

٧ - أمين المخزن

يوجد فى الدير مخزن خاص بالأطعمة، والاحتياجات الضرورية للدير وهناك راهب مسئول عنه وعن عهدته وصرف ما يلزم للرهبان منه. ومن الأطعمة ما يصرف للطعام العام للدير. وأمين المخزن عليه أن يبلغ أمين الدير بما ينقص المخزن من احتياجات الدير، ويأخذ منه أوامر بما يمرسه(*) على الرهبان.

وفى الأديرة التى بها تعمير، أو عمل كبير مثل دير أنبا مقار، ودير أنبا بيشوى، توجد مخازن أخرى خاصة بمواد التعمير، ويشرف على كل منها مسئول، فهناك مخزن للأدوات الزراعية، أو أدوات البناء، وآخر لأدوات الكهرباء وأعمال الميكانيكا ولوازم السيارات، ومخازن أخرى للأخشاب، والأسمنت، والجبس والبلاط... الخ.

- وبناء على ذلك هل يمكن اعتبار الدير مجتمعاً متكاملاً:

يمكن أن نقول أن كل دير من الأديرة يعد مجتمعاً متكاملاً. فهو يتمتع بخصائص المجتمع المتكامل.

فمن حيث العمل توجد فى كل دير مواهب وكفاءات وقدرات متعددة تشكل نوعاً من التكامل الداخلى. ولكى نفهم هذه النقطة، ينبغى أن نتعرف أولاً على التكوين الاجتماعى حالياً لأديرة وادى النطرون الأربعة. فكل دير يتكون من رهبانه، ومن العمال الحرفيين الموسميين، والعمال الحرفيين الدائمين.

والعمال والحرفيين الموسميين يقومون بمقاولات خاصة بأعمال البناء والسباكة والكهرباء... الخ. وهؤلاء يقضون فترة فى الدير يقومون بعملهم ثم ينصرفون ليعودوا بعد فترة أخرى. بعضهم من المسلمين والبعض الآخر من المسيحيين.

---

* - يمرسه: تعنى النصيب الذى يوزعه على الرهبان بالتساوى.

أما العمال والحرفيون الدائمون فهم فى غالبيتهم الذين يشتغلون بالزراعة والخدمة الدائمة بالدير مثل إدارة ماكينات الكهرباء أو السيارات.

ويمكن القول أن الدير من حيث العمل يكون مجتمعاً متكاملاً سواء عن طريق كفاءات الرهبان مباشرة، أو عن طريق غير مباشر بالاستعانة بالعمال الذين ليسوا هم أعضاء دائمين فى هذا المجتمع ولكنهم يكملونه وقت الضرورة.

على أن هناك نقطة أساسية فى تكوين المجتمعات وهى المرأة، وهى ليست من مكونات الدير. وإن كانت المجتمعات فى المدن والقرى تنمو عن طريق الزواج والتناسل. وبهذا تكون المرأة عاملاً أساسياً فى تكوين المجتمع. إلا أن الدير ينمو عن طريق انضمام أعضاء جدد الذين يعشقون فكرة الرهبنة، فنمو الدير لا يتوقف على المرأة، بل يتوقف على الاقتناع بفكرة الرهبنة والصلاحية لها. وبالتالى ليس هناك ضرورة للمرأة. أما من حيث الجنس فهذا لا يتفق مع الحياة الرهبانية التى نذرت البتولية والتى تعد أحد المبادئ الأساسية والركيزة الأولى فى الرهبنة. ومن حيث ضرورة وجود المرأة للأعمال المنزلية، فالرهبان يقومون بأعمالهم بأنفسهم، وما يعسر عليهم يساعدهم فيه بعض العمال. ويبقى مجتمعهم متكاملاً فيما يلزمهم.

وتوجد أمثلة من مجتمعات تخلو من المرأة كالجيش مثلاً يقوم كل أفراده بكل مستلزمات حياتهم دون وجود عنصر المرأة فيه.

ومع ذلك فالدير يسمح بزيارة النساء للدير زيارات عابرة. ولكنها لا تعد أحد العناصر الرئيسية فى تكامل المجتمع الرهبانى الذكورى ويوجد فى كل دير أطباء وصيادلة من الرهبان يشرفون على خدمة المرضى والعناية بهم. وفى الحالات التى تستلزم مستشفيات يذهب الراهب لعلاجه ويرجع إلى ديره مرة أخرى. أى الاهتمام بالجوانب الصحية.

والرهبنة هى مجتمع متكامل فى حدود إمكانياته وما ينقصه يعتمد فيه على المدينة، ومن مظاهر تكامله ثبات أعضاءه فيه، واستمرارهم مدى الحياة فى نظامه فى سعادة لا يشعرون فيها أنه ينقصهم شئ.

وعلى الرغم من أنه مجتمع يضم أنواعاً من طبقات عمرية متباينة ومن ثقافات متنوعة ومن بيئات مختلفة ولكن يجمعهم شئ واحد، يكون وحدة هذا المجتمع وهو الهدف الروحى الواحد، والفكر الواحد والاقتناع الواحد بنوع من الحياة يقصده جميعهم.

ولذلك فهم يصلون معاً بروح واحدة ويسكنون معاً فى بيت واحد ومنطقة واحدة، ويشتركون معاً فى أعمال الدير المتنوعة، ويعيشون فى تعاون كامل يربط كل أفراد هذا المجتمع معاً. ويعيشون تبعاً لأنظمة معينه يخضعون فيها لرياسة وقيادة بكل رضا قلب مما يجعل هذا المجتمع متماسكاً لا يتفكك ومنتظماً لا يرتبك.

والتقاليد الرهبانية التى يلتزمون بها لها قوة القانون فى نظرهم يطيعونها ويخضعون لها. وإذا تطلب الأمر إلى توقيع عقوبة من رئيس أو مسئول فى الرهبنة على أحد الرهبان، يتقبلها الراهب بمحبة دون تذمر عليها.

ويمكننا القول أن هناك العديد من العوامل التى تؤدى إلى تكامل المجتمع الرهبانى أهمها:

أ- الهدف الواحد والحياة المشتركة الواحدة.

ب- تعاون كل أفراد هذا المجتمع فى استكمال كل ما يلزمهم بروح واحدة.

جـ- الخضوع لنظام رهبانى وقوانين رهبانية ولرئيس يساعده معاونون له وتقبل العقوبة فى حالة الخطأ.

د_ الحياة الروحية والمبادئ السامية التى تحفظ هذا المجتمع دون تعرض لهزة داخلية.

هـ- وجود الكثير من الإمكانيات التى تساعد على ثبات المجتمع الرهبانى فى حياته المشتركة كوجود المسكن والماء والغذاء والكهرباء وكثير من متطلبات الحياة وتوافرها داخل الدير.

كذلك مع توافر ما يلزم للحياة الروحية من إرشاد وتوجيه وكتب وباقى الوسائط الكنسية.

رابعاً: الصلاة والعمل

١- الصلوات الجماعية:

يطلق عليها صلاة المجمع ففيها يجتمع فيها جميع الرهبان معاً، وتشمل الصلوات الكنسية والقداسات وصلاة الغروب، حيث يصلى كل الرهبان معاً المزامير والصلوات الموجودة فى الكتب الطقسية، ثم يأخذون البركة من كبير الكهنة- أسقف الدير إن كان موجوداً أو من أمين الدير فى غيابه أو أقدم الكهنة بالتناوب (الكاهن الذى عليه خدمة القداس ثانى يوم قراءة البركة).

ثم يأخذون السماح من بعضهم البعض وينصرفون. ويلاحظ أثناء البركة أن كبير الكهنة يكون واقفاً. والكل فى مواجهته ثم يسلمون عليه بترتيب أقدميتهم وكل من يسلم عليه يقف بجانبه ويأتى الآخر ليسلم عليه ويسلم على من بجانبه وهكذا.

وهذا يؤدى إلى:

١- تعود تجمع الرهبان فى مواعيد محددة للصلاة. مما يمنع أى تكاسل فردى يحارب به الراهب فى ترك الصلاة.

٢- ينال الكل السماح من بعضهم البعض، بحيث إذا كان فى قلب الراهب شئ من جهة الآخر يسامحه كل راهب يمر على الصف ويسلم على الكل ويقول "أخطيت سامحنى".

٣- نلاحظ فى الأديرة عموما النظام وحفظ أقدمية كل واحد، والترتيب سواء فى

السلام أو أخذ البركة أو فى صلوات الغروب، أو أى صلوات أخرى أو للتقدم للتناول. وحتى إذا جاء الأسقف ليسلموا عليه يتقدمون بترتيب أقدميتهم أيضاً.

وهذا يبدو احترام الرتب الكنسية واحترام الأقدمية فى تكريس النفس لله، وأيضاً احترام الأبوة الروحية، ويتم ترتيب الأشخاص فى الأديرة ترتيباً لا يمكن أن تحيد عنه مثل ترتيب المراكز فى العسكرية طبقاً للأقدمية فى الكهنوت أولاً يليها الأقدمية فى الرهبنة ولا يتم الترتيب وفقاً للسن، وقد يكون أحدهم له أقدمية أكثر فى الرهبنة ولكنه حديث فى الكهنوت.

٤- فى هذه الصلوات الجماعية يتعود الجميع أن ينالوا البركة من فم الأب الكبير فى نهاية يومهم. وهذه البركة تختم بها كل اجتماعات الصلوات والقداسات. ويحرص الجميع على نوالها ليس فقط الرهبان بل عامة الشعب عندما يقابلون أحد رجال الدين يطلبون منه بركتهم.

ونلاحظ فى طلب السماح والحل أنه حتى الكاهن الكبير، أو الأسقف أو حتى البابا البطريرك، إذا كان فى صلاة عامة ينحنى أمام رجال الإكليروس(*) والشعب ويقول لهم "أخطيت سامحونى"، لكى يتقدم للخدمة الكنسية بضمير نقى. وإذا رفض أحد إعطاؤه السماح، يطلب منه أمام الكل إيضاح السبب وبعد ذكره إما أن يبرر له الموقف ويشرح له الأسباب، ويتضح منها أنه لا توجد أخطاء، وإما أن يقبل الاتهام ويطلب السماح. ولكن يندر أن يحدث مثل هذا الموقف من أجل احترام الناس لآبائهم وللكنيسة. وأيضاً من أجل قدسية الشعائر الدينية، ولعدم تعطيل الخدمة أو إحداث ضوضاء. وغالباً إذا كان هناك خلافات أو عتاب أو خصومة. كل ذلك لا يحل أثناء الصلاة احتراما للصلاة فبعد الانتهاء منها من الممكن أن تتم مواجهة بين الجانبين لإنهاء الخلاف.

---

* - رجال الأكليروس هم رجال الكهنوت.

ويتضح من ذلك أهمية الصلاة الجماعية فى:

١- البركة ٣- تعود النظام

٢- تعود الصلاة ٤- السماحة

وهذا ينطبق على كل صلاة لمجمع الرهبان فكل منهم تضم هذه المبادئ.

٢- الصلوات الخاصة:

وإلى جوار الصلوات الجماعية توجد صلوات خاصة. فكل راهب له صلواته التى يؤديها بينه وبين الله فى قلايته، وهذا لا يمنع من أن يجتمع الكل معاً لكى يصلوا بروح واحدة فى صلاة جماعية يطلبون من الله طلبات واحدة بنفس واحدة. وهذا يربط بين قلوبهم ويدعم علاقات المحبة بينهم. لأنهم يتصافحون كل يوم، ويتسامحون كل يوم، ويطلبون صلوات بعضهم لبعض كل يوم، وبهذا يكون مجمع الرهبان مجمعاً متماسكاً.

وهذه الصلوات الجماعية لها مواعيد ثابتة؛ ويدق لها جرس الصلاة فى الدير يسمعه جميع الرهبان يدعوهم للصلاة؛ وهو يقابل (الآذان عند المسلمين). وجرس منتصف الليل له دقة خاصة يعرفها الرهبان. إذ أن جرس صلاة نصف الليل تتكرر دقاته الكاملة ثلاث مرات متتابعة (١٢ × ٣). إذ أنهم يصلون ثلاث صلوات فى نصف الليل. وهذه الصلوات جمعها كتاب يسمى "الأجبية"، وهذه التسمية مأخوذة من كلمة "أجب" باللغة القبطية ومعناها "ساعة" فكأن معنى الكتاب صلوات السواعى أو الساعات كما يسمونها.

ونلاحظ أن عبارة "أخطيت سامحنى" التى يكررها الراهب تعطيه روح الاتضاع، ولا يشترط فيها أنه يطلب سماحاً عن خطية أخطأ بها تجاه من يطلب سماحه. وإنما ربما يطلب سماحاً عن خطاياه العامة، أو يعترف بأنه خاطئ يحتاج إلى سماح. ويقصد من الله أن يسامحه.

وبالنسبة للكهنة من الرهبان يقول "أخطيت حاللنى" بدلاً من سـامحنى على اعتبار أن الكهنوت له سلطان الحل والربط.

٣ - مفهوم العمل فى المجمع وقيمته

تختلف حياة المجمع فى الدير اختلافاً كاملاً عن الحياة الجماعيـة فـى العالم، فالجماعة فى العالم تحيا معاً على أساس تبادل المنفعة والتعامل. ولـيس من الضرورى أن يلتزم الفرد بهدف آخر، وقد تضم الجماعة فى العـالم مهنـاً مختلفة. ولكن الكل يتعاون فى الحياة اليومية على الرغم مـن الاخـتلاف بـل التعارض فى الهدف أحياناً الذى يعيش له كل منهم.

أما الحياة المشتركة فى الدير فهى شئ آخر تماماً. فهى اتحاد من أجـل التعاون لبلوغ هدف واحد فقط، وهو الوحدة فى جوهرها الروحى. وعلى الرغم من أن الدير يشبه السجن والجيش فى الابتعاد عن العالم، إلا أن السجن فـرض يفرض على الشخص، كما أن الجيش التزام وواجب على الشخص أن يلتزم بـه ويؤديه. ولكن الراهب يقدم نفسه وينذر بتوليته باختياره وليس فرضاً عليه، ولا هى التزام يجب أن يلتزم به. أيضاً يقضى فى الجيش وفى السجن فترة مؤقتـة محددة، أما فى الدير فهى ليست فترة مؤقتة بل طوال حياته على الأرض.

وإن كانت حياة الشركة فى المجمع هى أول الطريق الرهبـانى، فهـى ليست جزءاً ضعيفاً فى الرهبنة، ولكنها ضرورية جداً، فهى فترة من أهم وأجـل فترات حياة الوحدة، بل هى التمهيد الحتمى للوحدة ولذا فهى مكرمة جداً.

وقد أوضح مارفلكسينوس سمات أو مبادئ المجمع السليم

أولاً: أن يكون لكل الرهبان لهم نفس الغاية والهدف الواضح وهو الرهبنة فـى حد ذاتها.

ثانياً: أن لا يكون له فى العالم غاية أو صلة على أى شكل ما.

ثالثاً: أن يلتزم جميع الرهبان بالفقر الحقيقى والعفة الحقيقية (لضـبط الـنفس)

والطاعة الحقيقية (التزام الوصايا)، لأن هذه الفضائل الثلاثة هي سلاح السائرين في ذلك الطريق.

رابعاً: أن يمارس الرهبان حياة السكون الجزئى داخل القلاية بصفة مستمرة حتى يتولد داخل القلب حب الهدوء وتمهيداً للوحدة.

خامساً: أن يسهر الأب الروحي للدير على فحص كل راهب ووضعه فى درجته حتى لا يتقدم أكثر من طاقته أو يتخلف بسبب جهالته. [١]

والعمل عنصر أساسى فى حياة المجمع. وقد أعلن دوركايم أن "تقسيم العمل" فى المجتمع العادى هو من أهم القواعد فى ظواهر الحياة الاجتماعية.[٢] وقد استخدم هذا التعبير آدم سميث وآخرون مثال زيمل، ولكن دور كايم هو أول من استخدمه كمصطلح سوسيولوجي. والبعض يقسم العمل على أساس الجنس والمهنة والسلالة ولكن دور كايم كما يذكر روبرت برستيت اهتم بوظيفة العمل أى ما يمكن أن يفعله أو ما يمكن أن يحققه أو توفره وظيفة تقسيم العمل. وقد انتهى دور كايم فى بحثه هذا كما يقول أحمد أبوزيد إلى نظريته عن نوعى التماسك وهما تماسك آلى ينتج عن حالات يقوم فيها أفراد الجماعة بنفس النوع من العمل، والتماسك العضوى الذى ينتج عن اختلاف الأفراد فى تخصصاتهم واعتماد كل منهم على إنتاج الآخرين مما يؤدى إلى ترابط الجماعة وتضامنها.[٣]

والمقصود بتقسيم العمل كما ورد فى دائرة المعارف البريطانية هو تجزئة أى عملية معينة إلى عدة أجزاء، على أن يقوم بأداء كل جزء شخص

---

1 - القديس مارفلكسينوس أسقف منبج، تفسير البراديسوس، مخطوطة رقم ٩ بدير أنبا مقار.

2 - Bierstedt Robert: The Laurel Great Lives and Thought: Emile Durkheim: Edgar Johnson , U.S.A. 1966 P.48-49

3 - أحمد أبو زيد: الأنساق، صـ ١٨٧

معين أو مجموعة أشخاص.(١)

وأول من لاحظ أهمية هذا التقسيم هو العالم الاقتصادى آدم سميث، حيث لاحظ أن الفصل بين المهام المختلفة هو مفتاح التقدم الاقتصادى، لأنه يهيئ وسائل إنتاجية أرخص وأكثر قدرة على إنتاج المواد المختلفة، ولكن دوركايم استخدمه بمعنى سوسيولوجى عندما كان يناقش التطور الاجتماعى، أكثر مما ينظر إليه على أنه نابع من المواد والإنتاج، وقد أوضح أن التخصص ينشأ من التغير فى البناء الاجتماعى.

أما الأنثروبولوجيين فهم ينظرون إلى تقسيم العمل على أنه تقسيم لعملية الإنتاج الكلى لأى نظام اقتصادى.

ويمكن القول أن تقسيم العمل فى الدير مؤقت وليس ثابتاً، إذ لا يوجد تخصص كامل فى الدير، أى أنه يُشبه إلى حد كبير المجتمع التقليدى البسيط.

وهناك عدة قواعد لتقسيم العمل يكاد يجمع عليها العلماء ولكنها تتخذ أشكالاً مختلفة مع اختلاف الثقافات وهى:

- تقسيم العمل على أساس العمرّ (السن).
- تقسيم العمل على أساس الانتماء إلى العشيرة.
- تقسيم العمل على أساس العضوية الحرفية.
- تقسيم العمل على أساس الإقامة فى منطقة واحدة (الحى).
- تقسيم العمل على أساس التخصص المهنى.

ولكن تقسيم العمل فى الدير لا يتحدد طبقا لهذه التقسيمات، وإن كان يشبه الانتماء إلى العشيرة، على اعتبار أن الانتماء يكون للأسرة الرهبانية وإلى دير معين، ولكن هناك محددات أخرى قائمة على مفاهيم دينية خاصة بالواجب

---

1 - Encyclopoedia Britannica: Micropedia, Division of Labour: 1968 III p. 585

والخير، والهدف الواحد، ومحاولة الوصول إلى إتباع سلوك محدد. فالنظام الدينى هو الذى يربط أفراد ذلك المجتمع. ولذلك نجد أنه لا يوجد فى الدير أى نوع من المنافسات الداخلية التى تنشأ غالباً من محاولة الوصول لأهداف معينة. فالعمل فى الدير له مفهوم آخر يختلف عن العمل فى العالم ودوافع العمل أيضاً، وتبادل الجهد والأشياء لا ترجع إلى الدوافع الاقتصادية، وإنما تنشأ عن التقاليد الديرية فى القيام بالعمل، وعن اعتبارات دينية وأخلاقية، فلا يهدف الفرد فى المجتمع الرهبانى إلى حماية مصالحة الشخصية عن طريق تلك الأشياء. ولا يعمل من أجل تأكيد جوانب اجتماعية مثل مركزه الاجتماعى فى الدير، ولا علاقة بين كفاءته فى العمل ومركزه فى وسط أخواته الرهبان. فلا ينتظر جزاء عن عمله، ولا مكافآت مادية ولا ترقيات على مجهوداته، وإنما يعمل لأنه يؤمن بقيمة العمل وأثره الروحى فى حياته، فالعمل وسيلته فى تقديم المحبة للآخرين، بل يحاول كل منهم أن يقلل من شأن نفسه أمام الآخرين.

وهذا يتفق مع قول فيرث إذ يذكر أحمد أبو زيد أن فيرث يؤكد وجود عدد كبير من الحوافز وراء فكرة العمل. وإن كان كثير من هذه الحوافز ليس مادياً، وإنما يتصل بالقيم الاجتماعية السائدة فى المجتمع، التى تنبع من طبيعة المجتمع نفسه، وترتبط ببنائه الاجتماعى. ويرى أن العمل نوع من "الالتزام الاجتماعى" فالناس يعملون ليس فقط لإشباع الرغبات الشخصية، أو استجابة للحوافز النقدية، بل نزولاً على بعض الالتزامات الاجتماعية التى تضطرهم لأن يعملوا للآخرين مثلما يعملون لأنفسهم، فالالتزام الخلقى يفرض عليهم مساعدة بعضهم بعضاً. فالعمل إذن فى تلك المجتمعات ليس مجرد نشاط اقتصادى، إنما هو بالأحرى نشاطاً اجتماعياً. لأنه نوع من الاستجابة للروابط الاجتماعية. وهذا كفيل ببقاء ذلك النظام واستمرار العلاقات الاجتماعية.

أيضاً عناصر العمل الأربعة التى يحددها فيرث وهى التنظيم الذى يتم بمقتضاه توزيع العمل على الأفراد، والزعامة والقيادة، والضوابط أو القواعد التى تحدد سلوك الأعضاء، هذه العناصر ترتبط بالعلاقات الاجتماعية المتشابكة والعنصر الرابع، وهو المعايير والمقاييس فتحدده فى المحل الأول المطالب والرغبات التى تمليها قيم المجتمع. وهذا يتضح فى مجتمع التيكوبيا،[1] كما يتضح فى مجتمع الدير.

وبالتالى يتضح أن العمل أحد عوامل التكامل والتماسك والتضامن فى المجتمع كما يقول علماء الأنثروبولوجيا.

وإن كان هناك تشابه وتجانس بين أفراد مجتمع الدير فى الأهداف، ولكن هذا لا يعنى أن كل فرد يفعل نفس الشئ فى نفس الوقت، وإنما يعنى أن الجميع يحترمون التقاليد والقيم الديرية، وهذا يوضح أن لديهم فهماً واحداً للحياة الصالحة. ومما لا شك فيه أنهم يقومون بنفس الأعمال ويتعبدون تحت ظروف متشابهة. ولكنهم فى زمن محدد فى اليوم يقومون بأعمال مختلفة تبعاً لتقسيم العمل فى الدير.

وقد اتضح من الدراسة الميدانية أن العمل فى حد ذاته ليس له قيمة، إذ يمكن الاستغناء عن جميع الأعمال التى يعملها الرهبان فى المجمع، ولكن لا يمكن الاستغناء عن المجمع لذلك فالخسارة المادية ليست فى الدرجة الأولى ولا يهم نوع التلف ولا قيمته، إنما الذى يهم بالأكثر هو ما يشير إليه هذا التلف من خسارة روحية وسيكولوجية تحتاج إلى إصلاح.

ومع أن الرهبنة حياة تفرغ للصلاة والعبادة فى فلسفتها الأولى كما وضعها القديس الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان، إلا أن العمل فى الدير له

1 - أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى، مرجع سابق، صـ١٩٣، ١٩٧.

أهمية قصوى:

- أهمية العمل بالدير:

أ- ضرورة للمبتدئين.

ب- يلزم كل راهب لمحاربة الملل.

جـ -ضرورى لحياة الدير والقيام بمسئولياته.

د- ضرورى لخدمة الكنيسة بصفة عامة بالنسبة إلى القادرين من الرهبان.

أ- ضرورة للمبتدئين

عندما يلتحق بالدير شخص يطلب الرهبنة لا يسمح له مباشرة بالوحدة والانفراد. وعلى الرغم من جلسته الأولى مع أب الدير لاختبار مدى صلاحيته فإن هذا لا يكفى، وإنما يعطى فرصة للعمل والاختلاط والاحتكاك بالناس، حتى يتعرف الدير على شخصيته، ويكتشف ما فيه من أخطاء لكى يعالجها. وذلك حتى لا يغلق على نفسه فى القلاية مع أخطاء فى سماته الشخصية التى قد تحتاج إلى تغيير. وهو أيضاً أعظم وسيلة لتربية الراهب روحياً.

فمن أهم ميزات حياة الشركة فى المجمع أنها تكشف عيوب الراهب لأن الإنسان أثناء العمل تظهر عيوبه وأخطاءه مهما كان متحفظاً.

مثال ذلك: قد يكون سريع الغضب وضيق الخلق، أو أنه فى غضبه قد يستخدم ألفاظاً شديدة أو يكون قاسياً فى تعامله، أو محباً للسلطة أو الأمر والنهى، أو يتعالى على من هو أصغر منه أو لا يطيع من هو أكبر منه، وقد يكون كسولاً وغير مقدراً للمسئولية ... كل ذلك ينكشف حينما يتعامل مع الناس ويختلط بهم، وطالما ينكشف خطأ من الأخطاء يدرب نفسه على تركه، ويقدم له الأب الروحى ما يلزمه من إرشادات لتنقية نفسه من هذا الخطأ. سواء اكتشف هو بنفسه ما فيه من أخطاء، أو اكتشفها غيره ممن يتعاملون معه. هذا من

الناحية السلبية.

أما من الناحية الإيجابية فهناك فضائل التى تسمى "فضائل المجمع"، أى التى لا يقتنيها الإنسان إلا وسط مجموعة من الناس مثل فضيلة الاحتمال مثلا، أو فضيلة خدمة الآخرين، الوداعة وهدوء الطبع والمغفرة للمسيئين، وخدمة الشعب وفضيلة خلط العمل بالصلاة وبخاصة فى الأعمال اليدوية والطاعة واحترام الآخرين وقبول الرأى المضاد أو الرأى الآخر وآداب الحديث. كل هذه وأمثالها ينالها الإنسان فى الاحتكاك والاتصال بالناس وليس فى الوحدة، وليس المقصود بالوحدة الانطواء.

فإذا ما اكتسب المبتدئ أو الراهب الحديث فضائل المجمع وتنقل بقدر الإمكان وابتعد عن أخطائه، حينئذ يسمح له بالوحدة تدريجياً، وسنتحدث عن هذا التدرج فيما بعد.

من هذا يتضح أن العمل وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى. وعمليات الضبط الاجتماعى بعضها يكون مكتوباً فى شكل قوانين رهبانية، والبعض الآخر يمثل تقليداً تسلموه من الآباء، وما يفرضه ذلك من واجبات، ويعبر عنها عن طريق الحديث أو أنماط أعمال متفق عليها. أما الناحية السياسية التى تمثل جانباً من الضبط الاجتماعى فيكاد لا يوجد أى اهتمام بها فى الأديرة.

وإن كان هدف الرهبنة هو الوحدة فهناك فرق بين الوحدة والانطواء.

الوحدة هى حالة إنسان يجلس وحده، من أجل محبه الله والتفرغ للعبادة والصلاة، تعبر عن نجاحه فى التعامل مع الناس ومحبته للكل. وقدرته على الاندماج فى المجتمع.

أما الانطواء فهو جلوس الإنسان بمفرده أو هروبه من المجتمع لأنه عاجزاً عن التعامل معه، ويئس من تبادل المحبة مع الناس، وساخط على كل ما

يحيط به، ويشعر دائما بأنه بدون صديق وبدون محب، وهكذا يكون مثقلاً بالأمراض النفسية التى تقلق أعصابه وتتعب فكره. لذلك يهرب من المجتمع أو ينطوى على نفسه ولا يتعامل مع غيره خوفاً من نتائج هذا التعامل.

أما الوحدة التى تنشدها الرهبنة فهى عزلة من أجل الحصول على وقت كافٍ للصلاة والتأمل والقراءة الروحية والترتيل والتسبيح والتفكير الروحى الهادئ ومحاسبة النفس وتدريبها على الخير، إلى غير ذلك من الأعمال الروحية التى يقوم بها الراهب، وكلها تحتاج إلى قلب صاف وفكر هادئ وسلام داخلى يصلح للصلة الروحية مع الله.

ومن أجل هذا كان العمل لازما للمبتدئ لكى يكتشف ذاته. وما فى باطنه حتى يعمل على صفاء هذا الباطن، قبل أن يتدرج فى الوحدة، فإذا لم يصل إلى هذا الصفاء لا يسمح له بالوحدة.

ب- أهميته لمحاربة الملل

العمل أيضاً هو أحد الأسلحة النافعة لمقاومة التراخى والكسل والملل، فليس كل إنسان قادراً على مداومة العمل الروحى فى العبادة طوال الوقت، فقد يمارس كل هذه الأعمال ويتبقى لديه أيضاً وقت فراغ إذ لم يعمل فيه شيئاً يحارب بالملل، وقد يحارب بأية أفكار خاطئة، ولذلك كان العمل لازماً للإنسان عموماً ليشغل يديه وفكره بأفكار سامية مقدسة نقية وطاهرة.

ويقول الآباء أن الراهب الكثير الكلام إنما يدل على فراغه من الداخل، ويقصدون بهذا فراغ قلبه من عمل الصلاة. إذ لا يستطيع أن يتكلم ويصلى فى نفس الوقت، ولكنه يستطيع أن يعمل بيديه ويصلى فى نفس الوقت، والعمل يحدد علاقة الراهب بالجماعة التى يعمل معها ومن أجلها، فالعمل يُنمى فيه روح التضحية والبذل، ويتعلم كيف يتعامل مع كل المستويات ومختلف العقليات، وكيف يكسب من تجربة الخطأ والصواب.

وللمجمع الرهبانى وظائف جوهرية يلتئم لكل منها على صورة معينة وتحت شروط وقوانين خاصة منها مجمع العمل، ومجمع الصلاة.

جـ - العمل ضرورى لحياة الدير والقيام بمسئولياته

لابد أن يتوافر لأى مجتمع مجموعة من المتطلبات والاحتياجات التى يجب على أعضائه أن يوفروها حتى يتحقق له الاستمرار فى الوجود، وحتى يستطيع الحياة، ولذا فهناك تقسيم للعمل بالدير يقوم كل راهب بجزء منه تبعاً لما تفرضه قوانين الدير، وبشرط أن تتوفر وتتحقق للراهب الفرصة لاستمرار حياته الروحية.

تقسيم العمل:

- المجمع:

هناك ثلاثة معانى للمجمع، قد يقصد به المطبخ الذى يعد فيه الطعام أى يقصد به المكان الذى تعد به الوجبات، أو المائدة التى يتناول فيها الرهبان طعامهم أو مجمع الصلاة. ويوجد بدير الأنبا بيشوى ثلاث مجامع بالمعنى الأول أى "المطبخ" أحدهم للزوار، والثانى للرهبان أنفسهم، والثالث للعمال.

وأحياناً أخرى يقصد به مجمع الصلاة أى اجتماع الرهبان معاً للصلاة.

وسبب تنوع هذه المجامع أن الرهبان فى نسكهم وصومهم قد يناسبهم أنواع من الطعام لا تناسب الضيوف، كما أن بعض العمال وخاصة عمال الخرسانة الذين يبذلون مجهوداً كبيراً يتطلبون نوعاً خاصاً من الطعام (فهم لا يحتملون صوم الرهبان) ولذا قد تذبح لهم ذبائح مخصصة فى تلك الفترات.

أ - مجمع الزوار:

يهتم بخدمة الزوار وعليه أن يقدم الوجبات والشاى لهم فالدير يفتح أبوابه للجميع، وقد اعتادت كل الرحلات حتى تلك التى تقوم بزيارة الأديرة الأخرى كالبراموس والسريان لقضاء بقية اليوم فى دير الأنبا بيشوى. ويقوم

بالخدمة فى المجمع أحد الآباء الرهبان الجدد، وأحد الأخوة تحت الاختبار، ومن عادة الراهب فى المجمع أنه عندما يتعب نتيجة لوجود عدد كبير من الزوار يقول (إحنا بناخذ بركة الزوار)، والزوار يقولون نحن نأخذ بركة المكان وبركة الرهبان.

ويستلم المجمع فى البداية أخ تحت الاختبار قبل رهبنته، ويتم الاستلام من الأب المختص بالمجمع، وعن طريق الممارسة من خلال وجوده مع الأب، وهناك ضوابط وإرشادات خاصة بمجمع الزوار تتعلق بكيفية تعامل الأخ المبتدئ والاحتكاك بمختلف رتعدد شخصيات الزوار.

ب - مجمع الرهبان:

ويطلق عليه مائدة الأغابى وهو عبارة عن مائدة لجميع الرهبان، حيث يجلس على قمة المائدة أسقف الدير نفسه، وهو الأب الروحى للدير يتبعه الآباء الرهبان حسب ترتيب أقدميتهم فى الكهنوت ثم فى الرهبنة. إذ يحدد لكل أب مكان معين فى المائدة.

لا تبدأ المائدة إلا بعد دق الجرس، وعندئذ يجتمع الآباء الرهبان فى حجرة المائدة، ولا يبدءون تناول الطعام إلا بعد تقديم الأب الروحى صلاة قبل الطعام وإعطاء البركة، وأثناء تناول الطعام يقوم أحد الآباء بقراءة كتاب "بستان الرهبان" وهو عبارة عن مجموعة سير قديسين حتى يكون الفكر مقدس، كذلك فى نهاية تناول الطعام يصلى صلاة شكر يقدمها أكبر الآباء. ويقوم بخدمة المائدة بعض الآباء الرهبان المكلفين بإعداد الطعام ويكلفون بهذا العمل فترات طويلة. ثم يتغيرون وتقسم الأعمال بين المكلفين بتلك الخدمة إلى فريقين إذ يعمل الفريق الأول يوم، ثم الفريق الآخر فى اليوم التالى.

وإذا حضر أحد الآباء الرهبان من دير آخر قد يتناول معهم الطعام ولكن لا يسمح لأحد الآباء الكهنة المتزوجين بدخول المائدة وتناول الطعام، إذ لا

يشترك فى مائدة الرهبان إلا الرهبان فقط، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن طعام الرهبان يتسم بالنسك والتقشف، لذلك فمن الأفضل أن لا يراه أحد من خارج الدير.

وكل الوجبات التى يقدمها الدير تقدم فى المائدة، أى يتبع نظام الشركة بها وهى تختلف بين وجبتين أو وجبة واحدة فى اليوم أثناء الصيام حسب أوقات السنة.

وهناك بعض الأصوام التى تتكون من خبز وملح وأحياناً تقدم وجبة واحدة كل يومين. وهذا ينطبق على جميع الرهبان بالدير. من هذا يتضح حياة الشركة الكاملة أما إذا كان أحد الاخوة مريض فيقدم له ما يناسبه من طعام حسب حالته الصحية والروحية معاً. ومن الملاحظ أن طعام الرهبان هو أكثر الأطعمة بساطه لكثرة فترات الصيام ومتطلبات الزهد والنسك الخاصة بحياتهم.

وإذا تأخر أحدهم عن حضور المائدة يفتقد ذلك الأخ لمعرفة سبب التأخير، وغالباً يكون إما بسبب المرض أو لاضطراره لمقابلة بعض الزوار.

ويستطيع الراهب أن يصلى أثناء عمل المطبخ وهكذا يكون عمله ممزوجاً بالمزامير والتراتيل.

جـ - مجمع العمال:

هو المسئول عن إعداد الطعام لمجموع العمال الذين يعملون فى الدير، والذين قد يصل عددهم فى بعض الأحيان إلى ٢٠٠ عامل (وهذه حالة مؤقتة لأن الدير فى حالة تعمير). ويعد لهم ثلاث وجبات يوميا وهى تختلف عن تلك الوجبات التى تقدم فى مجمع الرهبان. أما فى يومى الأربعاء والجمعة فيلتزم ذلك المجمع بالصيام السائد فى الدير.

ولاحظت أثناء الدراسة الميدانية اتجاها إلى نقل مطبخ العمال فى مكان مخصص للعمال ويتولونه بأنفسهم تحت إشراف أحد الرهبان، حفظاً للهدوء

داخل الدير. إذ سيتم نقل العمال أنفسهم خارج الدير (وكان المتبع فى بادئ الأمر أن يتم إعداد ما يلزم للعمال داخل الدير).

ويشرف على مجمع العمال أحد الآباء الرهبان، يعاونه أحياناً بعض الاخوة الرهبان أيضاً أو اخوة تحت الرهبنة، وأحياناً قليلة جداً يتم الاستعانة ببعض العمال. وعدم الاستعانة بغير الرهبان فى المجامع يرجع إلى أنه من المفروض أن يعمل بها الرهبان ففيها يقتنى الفرد الفضائل كما ذكرنا.

د- أعمال الزراعة والبناء:

نلاحظ فى كل أديرة وادى النطرون حركة كبيرة من التعمير سواء فى المبانى أو فى الزراعة، كان أقدمها فى دير السريان الذى بدأ حديقته الكبيرة من الأربعينيات حتى قبل رسامة أسقفه الحالى "نيافة الأنبا ثاوفليس" فى يوليو ١٩٤٨، فقد كان يقوم بأعمال التعمير فى الدير منذ أن كان وكيلاً للدير قبل سنة ١٩٤٨، ولهذا الدير حديقة واسعة حوالى سبعين فداناً فيها موالح وزيتون ونخيل وأشجار فاكهة بأنواعها وأشجار الكافور والكازورينا. وتوجد فى هذه الحديقة قلالى منفردة يسكنها الرهبان، وترعتان صناعيتان صغيرتان "جابية" على كل منها ماكينة ماء كما يوجد بئر قديم يسمى (البيدس) عليه أيضاً ماكينة ماء، وبئر ثالثه لتوصيل الماء إلى الدير الأثرى يستخدم فى مياه الشرب للرهبان. وقد بنى فى هذه الحديقة بيت للخلوة للشبان. ويوجد فيه منحل يربى عليه نحل العسل. كما يوجد حظيرة تربى فيها الأغنام والبهائم والدواجن.

أما فى دير أنبا مقار فقد بدأت أعمال التعمير حينما أقام به القمص متى المسكين ورهبانه وكانوا قبل ذلك يسكنون مغارات فى وادى الريان بالصعيد. وقبلها كانوا فى دير السريان، وقد قطنوا بدير أنبا مقار سنة ١٩٦٩ وترهب به عدداً كبيراً جداً من الرهبان يزيد عن السبعين خلال تلك السنوات حتى الآن، ومساحة الدير حوالى ستة فدادين، وبنيت فيه مساكن للرهبان كل مجموعة

عبارة عن ست مساكن للرهبان، وتوجد من هذه الأبنية حول الدير ١٦ مبنى تشمل فى مجموعها ٩٦ مسكنا للرهبان، يشمل كل مسكن حجرة خاصة لنوم الراهب، وحجرة أخرى لدراسته ومطبخ ودورة مياه وهذه جميعها تسمى "قلاية".

ويحيط بكل ذلك سور لا يقل ارتفاعه عن ١٢ متر، وتم بناء مائدة للطعام لها مقاعد أرضية ثابتة تتسع لكل رهبان الدير وإلى جوارها مطبخ كبير، كما بنى الدير مبنى للضيافة، وصالة كبيرة للاجتماعات ورمم الكنائس القديمة، وتم توسيع الكنيسة الكبرى وبنيت مكتبة للدير وصيدلية ومخازن.

أيضاً تم إجراء بعض التجارب الزراعية بالأراضى الصحراوية التابعة للدير مثل زراعة البطيخ، وأيضاً تم زراعة نوعاً من البنجر السكرى الذى يستخدم كعلف للحيوان كانت الثمرة الواحدة منه تزن أكثر من ١٠ كجم، وقد أمر السيد رئيس الجمهورية بمنح الدير ألف فدان يشترك فيها مع الوزارة فى إجراء باقى بحوثه الزراعية والإنتاجية.

وتم بناء مبنى ضخماً للعمال يشمل أيضاً حظيرة كبيرة للماشية والأغنام والدواجن، واستطاع أن يربى أنواعاً من الأبقار التى استوردها من ألمانيا من النوع الذى يدر كثيرا من اللبن تصل إلى أكثر من ٣٠ لترا فى الحلبة الواحدة، وبإطعامه من هذا البنجر السكرى الذى تم زراعته وببذور مستوردة من ألمانيا أيضاً أمكن أن تزيد الحلبة الواحدة ٢,٥ لترا من اللبن. وتم تربية نوع من الدجاج المستورد من فرنسا ماركة إيزا تبيض الدجاجة ٣٠٠ بيضة فى السنة من النوع الكبير الحجم وتم استيراد ١٠٠٠ دجاجة تبيض سنوياً ٣٠٠ ألف بيضة استطاع تقديمها إلى السوق، وبعض الفنادق الكبرى، ويشرف على هذه المزرعة وما فيها من حيوانات ودواجن خمسة أطباء بيطريين من الرهبان، كما يشرف خمسة من المهندسين الزراعيين من الرهبان أيضاً على الإنتاج

الزراعى.

وقد بنى دير البراموس فى السنوات القليلة الماضية ابتداء من (سنة ١٩٧٥) بيتاً للضيافة يتكون من قاعتين كبيرتين للزوار وصالة للاستقبال، كما بنى أيضاً بيتاً للخلوة للشباب ودق مواسير للمياه. وقد تأخرت عملية التعمير فى دير البراموس عن باقى الأديرة الثلاثة فى وادى النطرون، لأن الطريق لم يكن معبداً وقد تم تعبيده سنة ١٩٧٥ على حساب الدير. وبذلك أمكن نقل مواد البناء إلى الدير منذ ذلك الحين، مما ساعد أيضاً على وصول الرحلات الكبيرة إلى الدير إذ أصبح الطريق يحتمل مرور الأتوبيسات عليه. أما الطريق إلى دير أنبا مقار فقد تم تعبيده بواسطة الدير أيضاً من سنة ١٩٧١، ١٩٧٢.

وتم رصف طريق دير الأنبا بيشوى بالإسفلت فى مشروعات الاستصلاح الزراعى بواسطة الدولة منذ سنة ١٩٦١. وقبل ذلك كانت تصل المؤن إلى الدير عن طريق الجمال، كما كان الزوار يأتون إلى الدير سائرين على الأقدام من "الرست هاوس" (١٥كم)، أو عن طريق عربات الجيب التى تسع العربة منها حوالى خمسة ركاب فقط. ولهذا كانت الزيارات قليلة، ولم تكن هناك حاجة إلى بيوت خلوة إذ كان القليلون الذين يأتون لزيارة الأديرة تستوعبهم أماكن الضيافة فى الدير الأثرى، وكذلك كانت أعمال التعمير قليلة. وكانت الأبنية والأسوار تبنى بالحجر الجيرى الذى يقطع حالياً من المنطقة.

ولوحظ أن تعبيد الطرق كان له تأثيره العميق على الأديرة فزاد إقبال الزوار والسواح، ومن حيث التعمير سواء فى البناء أو الزراعة وما تبع ذلك من وكذلك إدخال الكهرباء فى المنطقة. وتوجد حالياً كهرباء فى قرية الهوكارية التى تبعد حوالى ١٢ كم من أديرة السريان والأنبا بيشوى والبراموس ولكن هذه الأديرة تعتمد فى الكهرباء على ماكيناتها الخاصة، ولم تصلها الكهرباء من

الدولة.(*)

وفى الدير حركة واسعة من المبانى تتلخص فى الآتى:

- قلالى الرهبان، نتيجة للازدياد الكبير فى عدد الرهبان فقد رسم فى الدير خلال السبع سنوات الماضية ما يزيد عن ٦٠ راهباً، ولم تكن القلالى التى فى الدير الأثرى تكفى لهذا الاتساع، فأنشئت بعض القلالى المنفردة داخل الدير الأثرى، كما أنشئت ثلاثين قلاية بخدماتها داخل الأسوار الجديدة، وما يزال الدير فى حاجة إلى قلالى جديدة لدرجة أن أحد بيوت الخلوة (الخاصة بالكهنة والرهبان استخدم كسكن للرهبان أيضاً ولو بصفة مؤقتة).
- بيت للضيافة داخل الأسوار الأثرية القديمة يشمل فى دوره السفلى صالتين لاستقبال الضيوف، وفى الدورين العلويين عشر حجرات بعضها للضيوف الذين يقيمون أياماً داخل الدير، وقد يكون بعضهم من الآباء الأساقفة أو من كبار الزوار وبعضها استخدم لسكنى الرهبان من شدة الاحتياج إلى قلالى جديدة.(**)

لما كان قداسة البابا شنودة الثالث يستخدم الدير لإقامته. وبخاصة أنه لا يخلو أسبوع من زيارته للدير التماسا للهدوء من ضجيج العاصمة لذلك أقيم له مسكن خاص فى مبنى يستقبل فيه زواره أيضاً، وتوجد له فيه كنيسة صغيرة لعبادته. والمبنى يتكون من ثلاثة طوابق الدور الأرضى به حجرة الاستقبال وحجرة مائدة ومطبخ، والدور الثانى للزوار من الآباء والأساقفة وكبار الزوار والدور الثالث مسكن لقداسته وكنيسة ولها مدخل خاص.

---

* - حالياً وصلت كهرباء الدولة إلى تلك الأديرة.

** - حالياً أصبح هناك توسع هائل سواء فى قلالى الرهبان أو بيوت الخلوة والضيافة عما ذكر فى هذا البحث.

- صالة الاجتماعات:

توجد صالة اجتماعات كبيرة فى مبنى خاص مكون من طابقين، وفى الطابق الأرضى توجد صالة استقبال كبيرة وحجرة مائدة ومطبخ ودورات مياه وفى الطابق العلوى توجد قاعة الاجتماعات يمكن أن يجتمع فيها رهبان أديرة وادى النطرون فى بعض المناسبات، كالأعياد والحفلات "مثل عيد سيامة الأسقف" مثلا، كما يمكن أن يستقبل الدير فيها بعض الزوار كالرحلات التى تفد لزيارة الدير. أو يعقد فيها أى اجتماع روحى للرهبان. وقد اجتمع الرهبان أكثر من مرة فى هذه القاعة وتناولوا الطعام معاً فى مائدة الطعام الكبرى بالدور الأرضى.

ومبنى الاجتماعات هذا، مع المبنى السابق كلاهما مبنيان على الطراز القبطى. بشكل أقبية مع ديكورات قبطية.

ويشرف على أعمال البناء رهبان غالبيتهم من المهندسين، وقد قام ببنائها مقاولين من القاهرة عن طريق التعاقد.

- المخازن:

احتاج الدير إلى إنشاء عدد من المخازن والأعمال المهنية، فيوجد مخزن للأخشاب ومخزن للسماد ومخزن لأدوات البناء وآخر للعلف وعنابر للنجارين الذين يستخدمون آلات حديثة تدار بالكهرباء، ومبنى آخر لماكينات الكهرباء والمياه...الخ.

- حجرات العمال:

كانت أولاً داخل الدير ثم بنيت لهم حجرات خارج الدير فى جهات متفرقة من حديقة الدير الخارجية، بنى بعضها إلى جوار حجرات ماكينات المياه والبعضالحجرات الأخرى بجوار المزارع، وجزء فى الدوار الخاص بالماشية وكل ذلك لعدة أسباب:

- لمنع الضوضاء داخل الدير وإيجاد جو هادئ للرهبان، ومن ناحية أخرى حتى يتسنى للعمال قسط من الحرية فى الحياة دون أن يصطدموا بمطالب واحتياجات الرهبان التى تتطلب السكون.
- لاستخدامهم فى نفس الوقت فى حراسة المنطقة وخاصة فى المناطق التى لا أسوار لها.
- لتمكين الجماعات العمالية التى تتسم بالتكيف والتوافق والانسجام من أن تعيش فى مكان خاص بهم. فأحياناً عمال الخرسانة الذين يأتون من القاهرة كفريق من الحدادين والنجارين والعمال يريدون أن يعيشوا معاً فى مكان مستقل وقد أوصل الدير لهؤلاء العمال الكهرباء وأيضاً المياه النقية (وأقام لهم دورات مياه).
- الدوار:

وهو مخصص للأغنام والدواجن والتى يربيها الدير. فإن أعمال الزراعة التى تقوم بالدير احتاجت بالضرورة إلى تربية بعض الماشية للاستفادة بروثها كسماد طبيعى للأرض، والاستفادة من ألبانها وإنتاجها الحيوانى لإطعام عدد كبير من الفلاحين، ومن العمال والصناع والحرفيين الذين يعملون بالدير فى أعمال الزراعة والصناعة والبناء ويقيمون إقامة مستمرة ويحتاجون إلى غذاء.

وكذلك الأغنام والدواجن أصبحت لازمة من أجل إيجاد طعام لعدد كبير من الزوار يقصدون الدير ويقيمون فى بيوت الخلوة أو الضيافة عدة أيام.

ويشرف عليه أحد الرهبان يساعده أحد المتخصصين من العلمانيين، ويلاحظ أن الدير يوجد به عدد من الرهبان الأطباء البيطريين يقدمون خدماتهم كلما احتاج الدوار إليهم.

أما الزراعة فى دير الأنبا بيشوى، فللدير مزرعة داخل أسواره الأثرية تقرب من فدان كما توجد مزرعة أخرى داخل الأسوار الجديدة حوالى ١٥ فداناً، وهناك مزرعة خارج الأسوار يعمل الدير على استصلاحها للزراعة بعد تمهيدها. وفى كل من المزرعتين الأخيرتين توجد ترعة صناعية يبلغ عرضها ٨ – ١٠ مترا، وطولها ٣٣٠ مترا فى إحدى المزرعتين، وحوالى ٢٠٠ م فى المزرعة الأخرى، والهدف من الترعة الحصول على مياه الرى اللازمة للزراعة.

وقد استخدم الدير هاتين الترعتين الصناعيتين فى إقامة مزرعة للأسماك ويشرف على أعمال الزراعة بالدير الرهبان وهى عمل يدوى يقوم به الفلاحون الذين يحضرون من الريف، ويعملون فى صمت كعادة الرهبان، ولا يتحدثون إلا إذا كان العمل يتطلب ذلك.

وتستخدم بعض ماكينات المياه اللازمة للزراعة أيضاً يوجد ماكينة للكهرباء تستخدم فى أوقات معينة وليست بصفة دائمة (مناسبات الأعياد – أو صلوات نصف الليل – أو وجود كبار الزوار – وأحياناً لمدة ساعات محددة بالليل تساعد على القراءة والدراسة). وهناك بعض الآلات الزراعية مثل الجرار والبلدوزر والعربات يقوم الرهبان بالإشراف على استخدامها أو بعض الرهبان يستخدمون تلك العربات وهذه الآلات بأنفسهم.

– <u>الخبيز</u>:

الرهبان هم الذين يصنعون الخبز معاً. يدق جرس المجمع فيجتمع الرهبان مكان الخبيز، ويكون العجين قد خمر وتم قبل مجيئهم، فالبعض يجلس حول أوانى العجين، لكى يقطع الخبز قطعاً صغيرة ويلقيها فوق الردة. والبعض بجوار الألواح لكى يرتب قطع الخبز فوق ألواح مفروشة بالردة، والبعض يقف ليحمل هذه الألواح وينقلها إلى مكان مشمس (عيش شمسى). وأثناء ذلك يكون

أب الدير أو أحد الآباء الكبار جالساً يقرأ فى كتاب روحى لكى يشغل الرهبان فكرهم بأمور روحية أثناء عملية تقطيع الخبز ووضعه على الألواح وحمله. فإذا ما انتهت هذه العملية ينصرفون. ثم يتركون الخبز تحت إشراف بعض الرهبان الذين يتولون وضعه فى الفرن فى الوقت المناسب وإتمام نضجه، ثم يحمله العمال إلى مكان خزنه حيث يأخذ منه من يشاء متى يشاء.

هـ - المكتبة:

هناك راهب مسئول عن المكتبة وتنظيمها والاستعارة منها. وهو يتقن اللغات كان يعمل مهندساً قبل أن يدخل الدير والاستعارة فى الدير خارجية وداخل الدير، أى خارج المكتبة ولكن داخل الدير ويحرص الدير على عدم إخراج أى مخطوطة نادرة خارج المكتبة حرصاً عليها من التلف أو من الضياع.

وهناك خدمة الزوار والإشراف على بيت الخلوة وسنعود إليها بالتركيز فى الفصل التالى.

وجميع هذه الأعمال والمسئوليات يقوم بها الرهبان بالدير كخلية تعمل فى مكان يود أن يعتمد على الاكتفاء الذاتى فى كل ميادين العمل فيه، وتدل أيضاً على مدى النشاط الذى يقوم به الرهبان والإنتاج العمرانى الذى يحولون به الصحراء إلى أماكن عامرة سواء من جهة البناء أو الزراعة. أو تشغيل كثير من الأيدى العاملة معهم.

وفى كل ذلك يتدرب الراهب روحياً على طريقة التعامل مع الناس، فى إطار دينى يوجد فيه طابع الاتضاع والوداعة والهدوء والروح الدينية. كل ذلك مندمجاً بالحزم وإتقان العمل والإخلاص له وإعطاء القدوة الصالحة فى إدارة الأمور بأسلوب روحى كثيراً ما يتعوده العمال والصناع فى الدير.

وإشراف الرهبان على العمل يجعل جميع الأعمال أقل تكلفة من الأعمال التى تقوم بها مؤسسات أخرى فهى على الأقل تتميز بعنصرين:

أولهما: التطوع لأن كل هؤلاء المشرفين لا يتقاضون أجراً.

ثانيهما: الواعز القوى الداخلى الذى يدعو إلى إتقان العمل فى أقل وقت ممكن، لأن الذى يشرف عليه يدرك فى داخله أن هذا العمل يختص بالله نفسه وبأماكن عبادته.

مما يوضح ذلك أن مبنى صالة الاجتماعات الذى يقوم على مساحة قدرها ٢٤٠م٢ من طابقين قد تم إنجازه فى ثلاثة أشهر فقط.

٤- عمل الرهبان خارج الدير

ينقسم هذا العمل إلى نوعين:

١- خدمة الدير وشراء احتياجاته.

٢- نوع خاص بالكنيسة وخدماتها.

رهبان يخدمون مصالح الدير

- عزبة الدير:

تقع فى قرية أتريس قرب الخطاطبة وهى أرض زراعية بعضها شبه بور. غالبيتها مؤجر للفلاحين، يخدم فيها الراهب كوكيل للدير فى إدارتها. وهى تورد للدير بعض ما يحتاج إليه من بقول أو حبوب أو علف.

- مقر الدير بالقاهرة:

وهو يمثل جزءاً من مبنى البطريركية القديمة بكلوت بك ويوجد به كنيسة صغيرة على اسم القديس الأنبا بيشوى تقام فيها الصلوات يومياً مع مكتب للدير ومكان لمبيت الرهبان المقيمين أو الذين يترددون على القاهرة.

ويشرف على هذا المقر اثنان من رهبان الدير، كما يوجد بهذا المبنى مكتب لأسقف الدير نيافة الأنبا صرابامون لاستخدامه حين نزوله إلى القاهرة.

- **مشتريات الديـــــر:**

كثيراً ما يحتاج الدير إلى طلبات معينة من المدينة سواء من القاهرة أو من الإسكندرية لسد احتياجات الرهبان من أغذية أو كساء أو طلبـــات المعيشـــة الأخرى أو مستلزمات الزراعة أو المكتبة وخلافه. ويقوم بهذه الأمـــور أحيانـــاً رئيس الدير (الأسقف) وأحياناً راهبان آخران.

رهبان يعملون فى خدمة الكنيسة

١- بعض الرهبان يعملون فى مكتبة الكلية الإكليريكيـــة بالقـــاهرة ويقومـــون تنظيمها والاستعارة بها.

٢- البعض الآخر يعمل فى البلاد العربية كالعراق وأبو ظبـــى ودبـــى ولبنـــان وأحدهم يقوم برعاية الأقباط المقيمين فى بغداد والموصل، وإقامة الشعائر الدينية لهم.

٣- يوجد رهبان يخدمون فى محافظات الوجه البحرى أو الوجه القبلى.

٤- البعض يخدم فى الدول الأوربية مثل كنـــدا وأســـتراليا وألمانيـــا والنمســـا وواشنطن ولندن وأمريكا.

٥- منهم من يقوم بالخدمة فى أفريقيا مثل زائير- نيجيريا- السودان- كينيا.

هذا بالنسبة للأعمال التى يقوم بها الرهبان، أما العمـــل بالنســـبة إلـــى الراهبات فلا يوجد كهنوت وبالتالى لا خدمة فى الإيبارشيات كأساقفة أو وكـــلاء أو كهنة.

كما أن رئيسة الدير لا تقوم برسامة الراهبات الجدد، إنما ينتدب قداسة البابا من الآباء الأساقفة أو الكهنة الرهبان من يقوم بذلك، وأحيانـــاً يرســـمهن بنفسه.

وفى كل تلك الأعمال التى يقوم بها الراهب فهى ملك الدير وليست له.

فيوجد نوعان من الملكية:

١- ملكية الراهب الخاصة.

٢- الملكية العامة للدير.

١- ملكية الراهب الخاصة:

من مبادئ الرهبنة مبدأ الترك، فالراهب يترك كل شئ وينحل عن كل شئ ولا يرتبط بأية قنية، وعلى هذا فهو لا يملك شيئا، لأنه يأتى إلى الدير دون أن يحضر معه شيئاً، والدير يلتزم بتوفير كل احتياجاته، وهذا تسليم وتقليد من الآباء ذكر فى سير الرهبان. فالراهب قد مات عن العالم وهو لا يرث ولا يورث، وهو لا يملك شيئاً لأنه ينذر (الفقر الاختيارى) وهو مبدأ أساسى من مبادئ الرهبنة كما ذكرنا سابقا.

كما أنه فى حالة اضطرار الراهب للخروج من الدير للقيام بخدمة لفترات طويلة، وهى الحالة الوحيدة التى يخرج فيها الراهب من الدير- فعليه قبل خروجه منه أن يسلم كل ما فى قلايته لأمين الدير، كذلك عند وفاة أى راهب فكل ما يوجد فى قلايته يؤول لملكية الدير، وليس من حق أقاربه العلمانيين المطالبة بما يمتلكه الراهب فى الدير، فهذا من حق اخوته فى جماعته الرهبانية بالدير لأنه انسلخ عن أقاربه بالجسد، وحتى لو كان ما يملكه شيئاً بسيطاً.

٢- ملكية الدير:

يعتبر الدير شخصية اعتبارية، كالشركة والمؤسسة التى لها حق أن تملك ولها أن تقوم بشراء أراضى أو عقارات أو سيارات، والدير تكون له ملكية خصوصاً أن بعض الأشخاص قد يوقف بعض الأراضى والمبانى للدير لتكون مصدراً لمعيشة الرهبان، وأحياناً أخرى يسمح للدير بشراء أرضى قد يحتاج إليها فى التعمير، أو القيام بأى مشروع ليدر جزءاً من الإيراد، كمورد مساعد لسد مصروفات الدير. مثال مزرعة الدير الخارجية وهى حديقة للموالح، وتعتبر

مشروع لكسب ربح.

وبصفة عامة ملكية الدير تدخل فى إطار الملكية العامة للكنيسة، فهى تملك كل ممتلكات الدير، والدير جزء من الكنيسة. ولذلك إذا وجد فائض من إيرادات الكنيسة عن احتياجاتها فقد يستغل فى الدير، أو بالعكس. فإذا كان هناك فائض من الدير واحتاجت إليه الكنيسة فتستمده من الدير. أى ليس هناك فاصل بينهما.

وكما أن للدير حق الملكية، كذلك له حق التقاضى أمام القضاء فى حالة الاعتداء على الدير. أو على ممتلكاته ممثلة فى شخصية رئيس الدير. وملكية الدير ثابتة لا تنقل إلى أحد، وعلى الرغم من تغير الرؤساء أو أشخاص الرهبان إما بدخول رهبان جدد، أو بدعوة البعض منهم لتولى مسئوليات الخدمة الكنيسة خارج الدير أى فى العالم، أو بوفاة البعض منهم، وبذلك تتغير الدورة السكانية بالدير. ولكن على الرغم من هذه التغيرات فى الأشخاص إلا أن ملكية الدير ثابتة عبر الأجيال. وكذلك البناء الاجتماعى له يظل ثابتاً على مدى الأزمنة.

وهذا كله يؤدى إلى الترابط والتضامن فى تلك الجماعة، ويوضح مدى تماسك العلاقات السائدة فى ذلك المجتمع الصغير، فعلى الرغم من أنه يتكون من أفراد من مناطق مختلفة، ومن بيئات متباينة، ومن مستويات ثقافية متعددة، وأعمار متفاوتة وإن كانت متقاربة، إلا أنه من خلال وجود الهدف الواحد الذى يسعى إليه الجميع، وهو الاقتراب من الله والالتصاق به، والمحاولة للوصول إلى حياة الكمال المسيحى، ينشأ مجتمع جديد له خصائص جديدة وسمات وملامح معينة كالمحبة والهدوء والسكينة والتواضع، للوصول إلى أهداف محددة وهى الوصول إلى الله.

وإن كانت توجد بعض الأخطاء التى يقع البعض فيها نتيجة لقلة خبرته الروحية، أو نتيجة لجهله بالشئ المطلوب فى البداية، إلا أن الجميع يحاولون

أن يصلوا إلى هدفهم مما يؤدى إلى تماسك المجتمع وقوة ترابطه. إذ لا يوجد صراع على الملكية من أى نوع، وإن كانت توجد بعض الأخطاء فهى ترجع إلى الكرامة التى قد لا يكون بعض الرهبان قد تخلصوا منها تماماً، وفى هذه الحالات فهم يحاولون إصلاح أخطائهم عن طريق مشورة الأب الروحى وتوجيهه والامتثال لطاعته.

الموارد

بدأت الرهبنة فقيرة لا موارد لها على الإطلاق. ثم كان الرهبان يعملون بأيديهم، ويبيعون عمل أيديهم عن طريق البدو، فينفقون منه ويعطون الباقى للفقراء، ويبقون بلا إيراد، بلا مال، بلا رصيد. هكذا استمرت الرهبنة خلال عصورها الأولى.

ثم ما لبث الناس الذين يزورون الأديرة أن شعروا بحاجة هؤلاء، فكانوا يأتون لهم ببعض الأطعمة، وأحياناً ببعض المال. وهذا الاتجاه :التبرع كان يحدث منذ القرن الرابع أزهى عصور الرهبنة.

وبمرور الوقت أوقف بعض الأثرياء أوقافاً على الأديرة، لضمان معيشة رهبانها وبخاصة بعد أن وصلوا إلى مستوى كبير من الفقر. إذ يقال أن رئيس دير البراموس فى عهد محمد على لم يجد طعاماً للرهبان، فذهب إلى البابا يطلب منه، وكان هناك المعلم إبراهيم الجوهرى كبير كتاب محمد على فأرسل مؤونة للدير.

ولكن الآن يمتلك كل دير من الأديرة الأربعة بعض الأراضى فى الريف، وثلاثة من أديرة وادى النطرون وهى السريان، البراموس وأنبا مقار تقع غالبية أراضيها فى قرية أتريس بالجيزة. ويذكر الرهبان أن اسم هذه القرية أخذ من الثلاثة أديرة، لأن كلمة "أترياس" بالقبطية تعنى ثلاثة ⲧⲣⲓⲁⲥ.

أما دير أنبا بيشوى فله مزرعة فى قرية كفر داود (بمحافظة البحيرة) وهى حوالى ٩٠ فداناً، بينما يملك دير السريان حوالى ١٧٠ فدانا، ودير أنبا مقار حوالى ١٥٠ فدانا، ودير البراموس يملك مائتين فدان، نصفها تقريبا فى قرية طوخ بالمنوفية. ولكن يلاحظ أن إيجارات هذه الأراضى ضئيلة.

واتضح من الدراسة الحقلية أن دير الأنبا بيشوى لا يعتمد كثيراً على عزبته فى كفر داود، لأن كل إيراداتها حوالى ٩٠٠ جنيهة فى السنة، فهى أراضى مؤجرة، وكذلك باقى الأديرة الثلاثة لضعف الإيجارات، وما يتكلفه الدير من انفاقات من جهة عمولة التحصيل، ومصروفات الرهبان هناك والعمال...الخ، ولكن الاعتماد الأساسى للدير على التبرعات.

والتبرعات تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

أ- تبرعات نقدية من أموال يدفعها بعض الأثرياء أو ما يدفعه الزوار والرحلات التى تأتى إلى الدير، أو التى تزور مقر الدير فى القاهرة.

ب- تبرعات عينية ومن أمثلتها أن بعض الأغنياء، أو بعض الكنائس ترسل إلى الدير كميات من الطوب أو الأسمنت أو الحديد، أو بعض الأقباط يهدى الدير عربة أو لورى أو ماكينة نور أو جرار. وقد لاحظت أن معظم المعدات والآلات الموجودة فى الدير من تلك التبرعات ماعدا بعض الماكينات وكراكة وبلدوزر قديم.

والملاحظ أن الأقباط يدفعون بسخاء إذا وجدوا عملاً مقنعاً يتم أمامهم ويستحق المساهمة فيه. أما إذا شعروا أن تبرعاتهم تصبح ملكاً خاصاً لرجال الدين، أو لا يرون لها ثمراً من جهة تنفيذ مشروع تعمير، أو إحسان لفقراء فأنهم يحجمون عن الدفع. وقد لاحظت فى دير أنبا بيشوى مثلاً أنه لما وصلت إلى الدير ماكينة الكهرباء، سرعان ما تبرع أحد رجال الأعمال بكل الأسلاك اللازمة لإنارة الدير. وتبرع رجل أعمال آخر بأعمدة الإنارة، وتبرع رجل أعمال

ثالث بالتابلوه وما يركب عليه من أكباس ومنشآت، وإذا برجل أعمال آخر يرسل عماله لتركيب الماكينة وتشغيلها والقيام بكل التركيبات الكهربائية اللازمة. وهذا يقودنا إلى النوع الثالث من التبرعات وهو:

جـ: التبرعات أو المساهمات الفنية

وكثير من أعمال صيانة الماكينات وتركيبها وصيانة العربات كلها كانت عن طريق التبرع التى يقدمها المقاولون.

وبهذا نجد أن مشروعات عديدة يقوم بها الدير وباقى الأديرة بأقل قدر من التكاليف. إلى جوار أنه فى بعض الأحيان ترسل إحدى الكنائس مجموعة من الشبان فترة يقضون فترة روحية فى الدير فى بيت الخلوة، وفى نفس الوقت يساهمون فى أعمال للدير مما يوفر عليه أجرة العمال.

ومن موارد الدير المشروعات التى يقوم بها الدير مثل تربية المواشى وتربية الدواجن، وبعض المزروعات. وإن كان هذا كله بالنسبة إلى دير الأنبا بيشوى يستهلك داخلياً فيما يحتاجه العمال والرهبان من طعام. إلا أنه قد يكون له فائض ينضم إلى إيرادات الدير فيما بعد.

أما بالنسبة إلى دير الأنبا مقار فإن إنتاج الدجاج والبيض ومنتجات الألبان كل ذلك يفيض منه عن حاجة الرهبان والعمال ما يباع فى القاهرة والإسكندرية. وكذلك بالنسبة لزراعة البطيخ الواسعة التى يقوم بها الدير.

وبالنسبة إلى دير السريان، ودير البراموس فإن الإنتاج الزراعى والحيوانى فيهما يستهلك فى احتياجات الدير. وعلى آيه الحالات يوفر على الدير كثيراً من النفقات فلا يحتاج إلى تغطيتها بمصادر مالية.

ولما كانت نفقات الأديرة فى التعمير تتكلف كثيراً من المال، لذلك فكرت الأديرة فى أساليب لتخفض بها النفقات بأن تقيم بعض مشروعات تغنيها عن الانفاق، من أمثله ذلك إقامة مصنع البلاط الذى أقامه دير أنبا مقار. والذى

يحاول أنبا بيشوى إعداده، لإمداد الدير بما يحتاجه بأقل تكاليف، وهنـــاك فكـــرة عن إنشاء مصنع الطوب، ومازال البحث يدور حول نوعية الطوب الذى ســـيقوم الدير بتصنيعه، هل هو طوب رملى، أم هو الطوب الطفلى (الطينـــى) والطفلـــة متوفرة فى وادى النطرون.

ولا يفوتنا أيضاً أن الدير يخفض مصروفاته عن طريق قيـــام الرهبـــان أنفسهم بكثير من الأعمال التى كان يدفع فيها أجراً كبيراً لمن يقـــوم بتنفيـــذها. فمثلاً كل أعمال الهندسة، سواء هندسة البناء- الميكانيكا- الكهرباء يقوم بهـــا رهبان، وكذلك أعمال الزراعة وتربية الماشية والدواجن يشرف عليها رهبان بل حتى الجرار والبلدوزر والكراكه وعربة اللورى والميكروباص. كل هـــذه يقـــوم بإداراتها رهبان وبدون أجر فيوفرون على الدير الكثير من التكاليف.

إلى جوار هذا يستفيد الرهبان من المـــوارد الطبيعيـــة فـــى المنطقـــة المحيطة بهم فيما يقومون به من مشروعات فالرمل والزلط لا يكلفهـــم شـــيئاً، وكذلك الأحجار فى المبانى التى تبنى بالحجر كلها بلا ثمن فى التلال المحيطـــة. والماء له موارده التى لا يدفعون فيها شيئا. كذلك لا يتكلفـــون إلا التافـــه مـــن التكاليف فى الكهرباء لأن لديهم ماكيناتهم الخاصة التى تولدها.

الفصل الخامس

العلاقات الاجتماعية للراهب

على هذا التضامن الاجتماعي شعور أفراد الدير بالأمن والاستقرار. وهو شعور أقوى من ذلك الذى يسود الأسرة الواحدة. على الرغم من عدم وجـود قرابـة بيولوجية إلا أنهم بانضمامهم إلى الدير استبدلوا جماعتهم القرابية البيولوجيـة بجماعتهم القرابية الروحية. وعلى الرغم من تعدد المناطق والأصول الاجتماعية التى أتوا منها فهناك قرابة، وإن كان ليس من الضرورى وجود قرابة فيزيقية، إذ أنها قرابة اجتماعية وعن طريقها يصبح الفرد عضواً فى ذلك المجتمع بعـد أداء طقوس معينة، وهى طقوس الرسامة التى بمقتضاها يصبح أحد أفراد هـذا المجتمع، وعليه عندئذ أن يلتزم بقوانينه وعاداته ونظمه.

وهذا يتفق مع قول إيفانز بريتشارد فى وصفه لمجتمـع النـوير "إذا أردت أن تعيش بين أعضاء مجتمع (النوير مثلاً)، عليك أن تتبـع الـنظم التـى تسمح لك بذلك، وتنص تلك النظم على معاملتهم كأقارب لك وهم يعاملونك كأحد أقاربهم ويترتب على تلك العلاقات القرابية حقوق وواجبات ومميزات".

أى أنه أيضاً فى مجتمع النوير الفرد الذى يلتزم بقـوانينهم ويحترمهـا يصبح قريباً لهم، وليس من الضرورى أن تكون تلك القرابة قرابة بيولوجية.

وفى هذه الحالة تكون القواعد التى تحدد أعضاء الجماعة القرابية مـن وضع المجتمع نفسه وليست هى العلاقات العرقية السلالية البيولوجية.

ويمكن القول أن الأسرة الرهبانية لها خصائص الجماعة، ويحدد رونالد جونستون ستة سمات رئيسية للجماعة هى:[1]

١- الأول هو أن الجماعة تتكون من شخصين أو أكثر من الناس (أعضـاء) يقيم كلّ منهم مع غيره أنماطاً معينة من التفاعـل المشـترك (يتضـمن الاتصال بينهم)، وبمعنى آخر أن الناس الذين يشـكلون هـذه الجماعـة

---

1 - Ronald Johnstone; Religion and Society in Interaction; Printice-Hall. Inc. Op. Cit. P.p. 1-24.

يحرص كل منهم على الآخر ويقيمون أنماط من العلاقات والتفاعل تميز جماعتهم عن غيرها. وهذا ينطبق على الأديرة فكل دير له أنماطاً معينة من العلاقات تختلف عن مجموعات ديرية أخرى (كالجزويت والفرنسيسكان).

٢- ثانى السمات الرئيسية للجماعة هو أن أعضاء الجماعة يشتركون فى أهداف وغايات واحدة مشتركة معينة، ولهذا السبب جاءوا وتجمعوا فى مكان واحد. وهكذا فإن عملية تشكيل جماعة يتضمن تصوراً أو مفهوماً سوسيولوجياً أساسياً، وهو أن كل سلوك بشرى يتكون دائماً من بعض أنواع النشاطات. والقول بأن الجماعة لها أهداف مشتركة يجعل أعضاءها يتصلون ويأتلفون للعمل معاً فى جماعة واحدة، من أجل هدف واحد هو قيام حياتهم المشتركة وحل مشاكل معينة إن وجدت. ويمكن القول أن الجماعة الرهبانية لها هدف واحد مشترك هو التفرغ للعبادة وليس من أجل حل مشاكل معينة.

٣- وكنتيجة لما سبق فالجماعة توجه بواسطة معايير مشتركة لأنه عندما تحدد الجماعة أهدافها، عندئذ تقرر كيف تصل إليها وتحققها، فالجماعة تحدد مثلاً ما الذى يفعله الأعضاء ومتى وكيف، وأين. وكل هذه المحددات هى معايير وهى ما يعرف بالقوانين الرهبانية فى الدير تلك التى وضعها الرهبان الأوائل كقواعد تحدد أنماط السلوك.

٤- كل عضو فى الجماعة له دور، ومجموعة من الوظائف التى يجب أن يقوم بها وهكذا، الدور يتكون من مجموعة من المعايير المحددة التى تريد الجماعة تنفيذها، وتطور الأدوار المختلفة داخل الجماعة يؤدى إلى الوصول إلى ما يعرف بتقسيم العمل. وهكذا عندما يترك العضو الجماعة أو يقوم بدور جديد، فإن الجماعة تحتاج أن تحافظ على تقسيم العمل فى

توازن مستمر بواسطة إحلال شخص آخر – أو بواسطة عضو آخر من نفس الجماعة أو من خارج الجماعة– من أجل أن يقوم بنفس الدور.

٥- وظائف الجماعة متضامنة وفقاً لنسق المركز وتدرج السلطة والقوة، وكل جماعة لها مقاييسها المختلفة لتأسيس وترتيب المراكز. فالأدوار تتضمن تنسيق وترابط الجماعات وإتخاذ القرارات وشرحها وتفسيرها وهى تعطى لهؤلاء الذين يستطيعون اتخاذ القرارات، وعلى الرغم من أن هناك عوامل أخرى كالأقدمية والثروة والقرابة قد يكون لها تأثير، وإن كان هذا يحدث فى الجماعات العادية إلا أن المجتمع الرهبانى له محددات وعوامل أخرى تختلف فى نوعيتها عن تلك العوامل فهو قائم على مدى الروحانية التى يتمتع بها الراهب وقوة تحمله واستعداداته ومواهبه.

٦- أعضاء الجماعة يشعرون بالإنتماء والتبعية للجماعة فيقول العضو "أنا أنتمى" هذه هى جماعتى نعم أنا عضو فعال فى جماعة ..... درجة الالتزام للجماعة وتحقيق الذاتية تختلف من عضو لآخر، ومعظم الجماعات قادرة على تحمل مثل هذا الاختلاف، ولكن بدون قدر معين من الإنتماء والالتزام وتحقيق الذاتية الذى يشترك فيه الأعضاء، فإن الجماعة سوف تنهار فوراً.

ولعل أوضح مظهر لإنتماء الراهب للدير، هو أنه يحمل اسم الدير كلقب له، فيقال فلان الأنطونى، الراهب فلان البراموسى، الراهب فلان المقارى أو أنبا بيشوى وهكذا. كما يقال فى الرهبنة الكاثوليكية ..... اليسوعى أو الدومينيكى، أو الفرنسيسكان ويظهر الإنتماء أيضاً فى محبته لديره وبذله الجهد من أجله وأحياناً إفتخاره به.

ولا يمكن أن يوجد مجتمع أو يستمر بدون تفاعل لأفراده، أى بدون

علاقات اجتماعية تربط بينهم وتساعدهم على إشباع حاجاتهم الأولية والثانوية، ولا يتم هذا التفاعل بصورة عشوائية، وإنما هناك ضوابط تحدد الأشكال التى يجب أن تسير عليها العلاقات الاجتماعية بين الأفراد داخل المجتمع الواحد، وكذلك بينهم وبين أفراد جماعات أخرى.

وهذه الضوابط للسلوك الاجتماعى هى ما يطلق عليه النظم الاجتماعية. ويرى راد كليف براون أن "النظم الاجتماعية أساليب نمطية للسلوك الاجتماعى يتكون منها الجهاز الذى عن طريقه يستطيع البناء الاجتماعى أن يستقر ويستمر".

ويستمر المجتمع فى الوجود لأن أعضاءه يعرفون نوع السلوك الذى يتوقعه إخوانهم منهم، وكذلك أنواع السلوك التى يتوقعونها هم من إخوانهم فى مختلف مواقف الحياة الاجتماعية.

وهكذا يستطيع أعضاء المجتمع التكهن بالعلاقات الاجتماعية التى يمكن أن تحدث فى ظروف معينة، وبالتالى يرتبون حياتهم بما يتفق مع توقعات الآخرين.[١]

وفى دراستنا للعلاقات سنحاول ملاحظة العلاقات الاجتماعية الواقعية المتكررة الثنائية التى تحدث بين راهب وآخر، أو العلاقات التى تحدث بين راهب وبين جماعة سواء من الزوار أو الرهبان أو من العمال، أى اتفاق الحالات الفردية للعلاقات الاجتماعية سواء فى الشكل كالوقوف بطريقة معينة أثناء الصلوات، أو الجلوس على مائدة الطعام، أو فى الموضوع.مثل إنحناء بعضهم للبعض فيعبر عن موضوع واحد وهو التحية والسلام ووظيفته إظهار المحبة وتقوية درجة التماسك فيما بين أعضاء المجتمع. ومن تلك الصور الواقعية

---

1 - عاطف وصفى: الانثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعارف بمصر، طبعة أولى، ١٩٦٧، صـ ١٧١.

للعلاقات الفردية نستخرج أنماط تلك العلاقات التى يتكون منها البناء الاجتماعى، فبينما تتكون المادة الأولية للبناء من العلاقات الواقعية المجسدة فإن البناء ذاته يتكون من أنماط متكررة تدور حولها العلاقات الاجتماعية.

والعلاقات الاجتماعية لا توجد إلا إذا كان هناك إما توافق فى المصالح، أو تعارض فى المصالح، أو محاولة للحد من الصراع الناتج عن تعارض المصالح.

وسندرس نسقين من علاقات الراهب: علاقة الراهب داخل الدير، وعلاقته بالعالم الخارجى، وهذا الموضوع يتعلق بسلوك الراهب وتصرفاته اليومية فى عائلته الرهبانية، وعائلته البيولوجية.

وإن كان الراهب لا يتخلص دفعة واحدة من ضعفات الانسان كما تقول رهبنة دير مارجرجس الحرف[1] بل يجتاز بالعكس فترة أكثر حدة وصعوبة فى المرحلة الأولى التى يزداد فيها وعياً لوضع طبيعته، وضعفها وهذا يمثل مرحلة فقط من مراحل حياته. إذ يتابع الراهب فى الدير حياته الطبيعية العملية بكل أفراحها وبساطتها ولكن الذى يتغير هو ما وراء المظهر الخارجى، فكل حركة وسلوك أو أى تصرف فى حياة الراهب له تعليل داخلى وروح جديدة، فالروح يكون دائماً وراء حركات الراهب، فالراهب داخل الشركة الرهبانية يتبع أسلوباً خاصاً تجاه نفسه، وتجاه الآخرين، وتجاه العالم الخارجى، قائم على الاحترام والورع والوداعة، وهو ما يسمى بأدب الدير أو أدب الروح، وهذا الأدب أو الإسلوب الرهبانى يجب أن يظهر فى علاقة الراهب مع الإخوة ومع العالم الخارجى ومع أبيه الروحى. فتعامل الراهب سواء مع أسرته الرهبانية أو الفيزيقية أو العالم الخارجى تحكمه المبادئ وقيم الديرية معينة وإن كان سلوكه

---

1 - رهبنة دير مار جرجس الخرف: أصول الحياة الروحية، منشورات النور بلبنان، ١٩٧١، صـ ٩١.

مع إخوته داخل الدير لا يختلف عن سلوكه مع الآخرين كما سنرى.

أولاً: علاقة الراهب بأسرته الرهبانية والقيم التى تحكمها:

يعيش الراهب فى الدير مع مجموعة من الأفراد هم إخوة لـه، ولكـل منهم واجبات عليه أن يؤديها، ولذا فهم يؤلفون عائلة، وإنتماء الراهـب لهـذه العائلة، يتأتى فى قيامه بواجبه تجاه إخوته تحكمه المبـادئ الرهبانيـة. فعلـى الرهبان أن يتصرفوا بوداعة وأن ينتظر كل منهم الأخرين على مائـدة الطعـام بهدوء وإحترام. كما أن مساعدة الأخ واجب وضرورة، وإذا أخطأ أحد الرهبـان يوضح له أخيه بمحبة واتضاع ما يجب أن يتم دون تكبر أو عصبية، فإذا رفض ملاحظاته ونصحه عليه أن يطلب منه السماح بكل اتضاع.

وقد يسمح لأحد الإخوة بنُسك إضافى (سهر وصـوم) بـإذن مـن الأب الرئيس وهذا لا يعلمه جميع الإخوة، وإذا إكتشفه أحدهم فلا يتضايق أو يضـار ويقلق لأن الأمر يختلف بإختلاف كل منهم وظروفه الروحية والصحية، ولـذا لا ينظر أحدهم إلى الآخر.

واتضح من الدراسة الميدانية أنه تسود فى الـدير بعـض التقاليـد المتوارثة والتى تعد بمثابة قوانين رهبانية يقوم بتنفيذها الرهبـان مـن تلقـاء أنفسهم. فإذا أحضر للراهب مثلاً طعام معين يحتاج إليه زميـل مـريض، فإنـه يمتنع عن تناوله ويقدمه لأخيه وهو يسلك هذا السلوك من تلقاء نفسه ولـيس فرضاً عليه.

كما يلتزم بالترتيب الأبائى سواء فى الصلوات أو أخذ البركة، ولذا فقـد لاحظت أن الراهب الجديد إذا وجد راهب أقدم منه فى الرهبنة سائراً فلا يتقـدم أمامه بل ينتظر حتى يتقدمه، وإذا كان يقوم بعمل ضرورى وعاجل فيضـطر أن يأخذ منه الحل ليتمكن من السير أمامه.

وبصفة عامة توجد آداب رهبانية يتعلمها الراهب أثناء وجوده بالدير من أخوته الرهبان وآبائه الكبار فى السن، أو الكبار فى الروحانية، وكمثال يذكر فى سيرة أنبا بيشوى "قديس الدير" عند قدومه للأنبا بموا أبيه الروحى، أنه كان يتفرس فى وجهه من كثرة محبته له وطاعته له، فلفت القديس بموا نظره فى بداية الرهبنة بقوله "ليس لنا عادة يا بنى أن نتفرس فى وجوه الناس" ونتيجة لذلك فإن الأنبا بيشوى فى حديثه بعد ذلك مع أى شخص، كان يطرق إلى الأرض. وهذا ما يلتقطه الراهب فى حياته فى الدير، وخاصة الذين يقومون منهم بخدمة الزوار سواء على بوابة الدير أو مجمع الزوار، أو الذين يتولون الزوار فى شرح معالم الدير ومبانيه الأثرية.

وإن كان الفرد أثناء هذا لا يتخلص كلية من ثقافته ومناخه، الذى كان يعيش فيه قبل مجيئه للدير، ولكنه يحاول أن يتكيف ويتوافق ويُغير من سلوكه، عن طريق التوجيه والارشاد وعن طريق الإلتقاط. فالمبتدئ عندما يدخل الدير يبدأ حياة جديدة لا يعرف مجهولاتها، فيحاول أن يلتقط كل شئ بسرعة.

وأسهل أنواع الالتقاط هى التعبيرات اللغوية التى يستطيع أن يلتقطها طالب الرهبنة فى علاقته بأسرته الرهبانية، وهى لا تستخدم إلا فى الأديرة فقط، ويمكن تسميتها باللغة الرهبانية منها عندما يخطئ أحد الأشخاص يقول للآخر "أخطيت سامحنى" ومن الألفاظ الشائعة كلمة "مرس" ويقصد به نصيب الراهب من الأشياء العينية سواء كانت ملابس أو أطعمة، فيقال "سنمرس" أى أننا سنوزع على جميع الرهبان الموجودين بالدير بالتساوى ما قد يصل للدير من مأكولات، أو من خضراوات أو من فاكهة أو ملابس ...... إلخ.

كما يتعلم تعبير "الله يعوضك" وتقال للتعبير عن الشكر نظير أى خدمة، أو أى عمل يقوم به راهب آخر. وكلمة "أغابى" يقولها الجميع عند الاستئذان لفتح باب معين فقد يقولها أحد الرهبان عند القرع على باب آخر،

وأيضاً فى الاتصالات العادية تقال "أغابى" أى إسمح لى من أجل المحبة أن أدخل، أو من أجل المحبة افتح لى الباب. أى أنها أصبحت تستخدم كتحية سلام أو يبدأ بها لقاء حب كتحية حب بدلاً من تحية سلام.

وقد لاحظت استخدام الرهبان كثيراً لكلمة "بركة" فى بعض الأعمال. فإن قام راهب بقضاء عمل مجهد يساعد فيه أخاً له من الرهبان، يقول عن هذا العمل "نأخذ بركة" أو "تأخذ بركة هذا العمل". وهكذا لا يشعر بتعب أو إرهاق فى أعمال الدير لأنه يرى أنها بركة.

وهكذا فإن العمال الذين يعملون فى الدير قد تأثروا بأسلوب الرهبان وتعبيراتهم فيقولون عن الأجر الذى يأخذونه أنه "بركة"، وكذلك يطلقون كلمة "بركة" على المنحة التى تعطى عن العمل الإضافى، أو ما يأخذون من هدايا أو ملابس من الدير، كما سبق أن ذكرنا.

ومن الكلمات المألوفة الاستعمال فى الدير كلمة "دوكسار" وهى مأخوذة من الكلمة القبطية "ذوكسا" وتعنى تمجيد الله. إلا أنها بمرور الوقت أصبحت تطلق على المكان الذى تقام فيه الصلوات الجماعية للأباء الرهبان فى ساعة الغروب، وهى عبارة عن مساحة صغيرة أمام كل من مدخلى الكنيسة البحرى والقبلى. وأيضا يطلق على مقبرة الدير كلمة "تافوس" وهى كلمة يونانية بمعنى مقبرة.

هذه بعض التعبيرات الشائعة التى تتردد كثيراً فى الدير والتى سمعتها، وهى تختلف عن لغة المجتمع العادى، وإن كانت تكشف وتوضح السلوك الرهبانى القائم على قيم ومبادئ "معينة"، يلتزم بها الرهبان فى جميع خطواتهم وتصرفاتهم، كما توضح العلاقات التى تسود بين الرهبان والتى يتدرب الراهب الحديث على الوصول إليها فى كل تصرفاته والالتزام بها.

يتضح أن جميع العلاقات القائمة على آراء وأفكار يكون أساسها منطلقاً دينياً، وتتركز أكثر في معرفة تاريخ الآباء السابقين وأقوالهم مثل "الباترولوجى"، والثقافة الإنجيلية وأيضاً يكتسبها الراهب من تاريخ الكنيسة، وإن لم يكن هناك مجموعات خاصة للدراسة، لأن الراهب له الحرية في أن يختار ما يريده من قراءات، وقد يكون للأب الروحي دور في توجيه هذه الأمور، ومن الأشياء التى ينصح بها دائماً فى بداية الرهبنة قراءة بستان الرهبان، فهو الكتاب الأساسى ويضم مجموعة كبيرة من النصائح التى يوجهها الأباء لأبنائهم، والتى تحثهم على احتمال جميع الظروف إذ أنه تجميع لجميع القوانين والتعليمات والتوجيهات التى يجب أن يسير عليها الراهب ويشمل أيضاً شرح للصعوبات والمشقات التى تقابل الراهب فى بداية حياته.

وداخل هذا الاطار الفكرى يتخلى الراهب بإرادته عن قراءات لا تتصل بحياته الديرية وليست لها صفة الضرورة الملحة، بل يتجه عادةً إلى قراءة سير الآباء الأوائل والقديسين، وعن طريقها يتلمس الفضائل التى اكتسبها هؤلاء، فيحاول أن يصل إلى البعض منها، وهذا ما تؤكده مكتبة الدير، فمعظم ما تحويه من كتب دينية وروحية سواء أقوال الآباء أو طقوس. ولإلتزام الراهب بمبدأ العُزلة لا يحاول أن يتلمس أخبار العالم وسياساته سواء عن طريق الإذاعة، أو حتى عن طريق الجرائد، فلا يوجد منهم من يبحث عن جريدة لمعرفة أخبار العالم إذ أن ذلك لا يهمه فى شئ، لأنه ينقطع عن العالم ويرتبط بأخوته فى الدير.

وقد يرتبط الراهب فى حياته العلمانية قبل الرهبنة ببعض الهوايات، ولكنه يتخلى عن كل هواياته لأنه يقضى وقته ويبذل جهده من أجل أخوته، وقضاء مصلحة لهم، ولأن الوقت كله يجب أن يكون لله وحده.

وفى بداية حياته الرهبانية يصبح فى هيبة من أخوته، وبعد قليل يقترب منهم شيئاً فشيئاً ثم يندمج فى وسطهم. وبعد ذلك يشعر من تلقاء ذاته أنه دخل مسافة أعمق، وقد يندفع فى بداية طريقه فى الدالة مع بعض الأشخاص، ولكن يشعر بعد ذلك أن هذا خطأ، فالجميع أخوته وعليه أن يعاملهم بالمساواة، وعليه أيضاً أن يكون حذراً فى دالته. بحيث لا يضيع وقت أخوته الرهبان أو يعطل وحدتهم، أو يشغلهم عن صلواتهم.

وتعبير الدالة يعنى الصداقة الزائدة عن الحد، الخارجة عن حدود الوحدة. فإن تصادق راهب مع آخر بطريقة أضاع فيها وقته بالزيارات وكثرة الأحاديث بحيث أخرجه عن نطاق الوحدة، أو عطل صلواته، يكون قد أخطأ رهبانياً. وإن اتسعت هذه العلاقة إلى الحديث عن الدير والرهبان والأخبار بحيث يشوش أفكاره يكون أيضاً قد أخطأ رهبانياً. ونفس الوضع إن ازدادت العلاقة بحيث أصبح هذان الإثنان فى صداقة منفردة لا تعطى الآخرين نفس المحبة والود.

ويمكن القول أن علاقة الراهب بأسرته الرهبانية هى علاقة قائمة على التعاون والطاعة والتواضع فى معيشة مشتركة، فالدير يتكون من مجموعة من الرهبان تعيش معاً فى مكان واحد، ويتعاون الجميع فى القيام بكل ما تحتاج إليه الحياة فى هذا المجتمع الصغير.

ويظهر هذا التعاون فى توزيع المسئوليات والوظائف المتعددة فى الدير. ولا يعفى أحد منها إلا إن كان له عذر كمرض مثلاً. كما وقد يكون الراهب حاصلاً على درجات علمية عالية، وتكون وظيفته فى الدير هى إعداد الطعام وغسل الأطباق وتقديم الطعام للزوار. وتنظيف المكان، ومع ذلك لا يجد حرجاً فى القيام بكل ذلك. كما يظهر التعاون فى اشتراكهم معاً كما فى بعض الأعمال الهامة كصنع الخبز، كما يتعاونون فى خدمة كنيسة الدير.

ويسود هذا المجتمع احترام الصغير للكبير يتضح ذلك حينما يقفون فـــى صلاة الغروب بترتيب أقدميتهم، أو باقى الصلوات.

إذا مرض أحدهم فالكل يتسابق فى القيام بخدمته. فهنـــاك مـــن يتـــولى العناية به طبياً من حيث تقديم الدواء وأنواع التمريض المتعددة، وهناك من يعد له الطعام، أو يرتب له الفراش أو يقوم بخدمته مـــن جميـــع النـــواحى. والكـــل يعودونه فى مرضه ويسألون عن صحته ويصلون من أجله، وإن احتاج الأمـــر إلى نقله إلى مستشفى أو احضار طبيب خاص له فـــأنهم يقومـــون بـــذلك. ولا يعتبرون كل هذا واجباً رسمياً إنما هى علاقات المحبة والتعـــاون بـــين أســـرة واحدة.

كذلك الكل يحترم أمين الدير وتعليماته، ولا يمكن أن يتمرد أحـــد علـــى نظام يضعه الأمين "الربيته" أو يضعه الرئيس.

وعلى الرغم من احترام الصغير للكبير، إلا أن هـــذا المجتمـــع تســـوده المساواة الكاملة فعند توزيع الأنصبة من حيث الأطعمة والهدايا والملابس فتـــتم على أساس المساواة.

كذلك توزيع الواجبات والمسئوليات وتقسيم العمل والوظائف يقوم أيضاً على أساس من المساواة فلا يتعب أحد بينما يستريح الآخر. إلا إذا كان راهـــب منهم قد وصل إلى مستوى حياة الوحدة التى يعتكـــف فيهـــا متفرغـــاً للصـــلاة والعبادة، فأنهم يتقبلون هذا الوضع ويقومون بخدمته كشخص ينـــالون بركتـــه. وهنا أيضاً نقول أن معاملة المتوحدين جميعاً تقوم على أساس من المساواة.

والمساواة أيضاً تظهر فى خدمة الصلوات العامة، فالكهنة والشمامســـة يقومون بخدماتهم الدينية، بالدور بكل مساواة. فيتولى قيادة الصلاة فى الكنيسة الراهب الكاهن الذى عليه الدور، دون أن يتقدمه أحد.

بل فى غالبية الأحيان تكون الترقية إلى الدرجات الكهنوتيـــة، بترتيـــب

الأقدمية بالمساواة إلا فى حالات معينة: كأن يكون راهب لـــه مواهـــب خاصـــة معروفة للجميع قفزت به إلى ترقية استثنائية، أو يكون أحد قد أساء التصـــرف وعوقب من الدير فتعطلت ترقيته. والكل يشعر بعدالة هذا التصرف وعدم كســـر المساواة فى أى من الترقية أو التعطيل.

وهذا طبيعى فى مجتمع دينى. لأنه إذا كسرت المســـاواة فيـــه يشـــعر الجميع بأن هذا وضع غير طبيعى، أو أن هذا الخلل فى الحياة الرهبانيـــة يعكـــر صفو هذا المجتمع الصغير.

أيضا يسود مجتمع الدير السلام فهو مجتمع هادئ، بحيث أن من يعكـــر سلام الدير بتصرفات خاطئة، فالدير إما أن يقوم بتقويمه وأما أن يخرجـــه مـــن هذه الأسرة لتبقى فى سلام.

بل أن من أهم الاختبارات التى يختبر بها طالب الرهبنة هى معاملاتـــه للناس، وهل صارت فى سلام ومودة، أم إصطدم بغيره واختلف مـــع الرهبـــان. فإن كان إنساناً لا يحيا فى سلام مع الآخرين، فمهما كانت مواهبه أو ثقافتـــه أو مركزه أو قدرته على حياة العبادة والنسك فأنه لا يصلح للرهبنة.

والرهبان فى بعض الأديرة يتناولون الطعام على مائـــدة واحـــدة، كمـــا يحدث فى ديرى الأنبا بيشوى وأنبا مقار. وفى أديرة أحرى يتناول كـــل راهـــب نصيبه من الطعام ويأكل فى قلايته الخاصة وفى كلتا الحالتين تســـود المســـاواة ولكن تترك لكل شخص حريته لمن يريد أن يأكل بمفرده، فهذا شأنه ومن يفضل تناول الطعام مع الجماعه فهذا شأنه. ولكن بنظام خاص من حيث اختياره أحـــد النوعين من الحياة.

وإن أخطأ أحد فى غيره فسرعان ما يذهب إليه فى قلايته ويقـــول لـــه "أخطأت سامحنى" بل أن الرهبان فى كل صلاة يقول كل مـــنهم للآخـــر قبـــل الانصراف "أخطأت سامحنى" كما سبق أن ذكرنا فى حـــديثنا عـــن الصـــلوات

الجماعية حتى ولو لم يكن قد أخطأ فى شئ. وهذا تعبير رهبانى سائد يقوله الراهب لعله يكون قد أخطأ إلى غيره دون أن يشعر، أو أن غيره مستاء منه دون أن يصارحه بذلك.

وإذا وجد أحد الإخوة فى ضيق أو تعب، وهذا يظهر عادة على ملامح الوجه، يحاول الآخرون التعرف على ما به، والوقوف بجانبه ورفع معنوياته، وإذا تطلب الأمر مثلاً إخبار الأب الروحى لإراحة الأخ فبحبه وبرضاء هذا الأخ يلمح للأب الروحى، بأن الأخ قد أتعبه بشئ معين، وفى أغلب الأحوال يذهب الأخ بنفسه إلى الأب الروحى لإخباره.

أيضاً لا يحاول أحدهم أن ينتقد الآخر فى أى شئ، أو أن يتدخل بعضهم فى عمل الآخر فكل منهم مسئول عن عمله.

وهذه العلاقات تحكمها القيم الرهبانية التى توجد فى كتاب مشهور يقتنيه كل راهب أو على الأقل يستعيره من المكتبه وهو كما قلنا "بستان الرهبان" وهو مُترجم إلى الإنجليزية عن أصله اليونانى باسم The Paradise of Fathers تقرأ منه فقرات على الرهبان بين الحين والآخر وفى مناسبات متعددة. ففى إجتماع الرهبان للعمل فى مكان واحد أو أثناء إجتماعهم لتناول الطعام تقرأ عليهم فصول من هذا الكتاب.

وهذا النظام له وظائف متعددة:

١- الوظيفة الأولى: هى أن يسود الصمت والهدوء أثناء العمل أو أثناء الطعام وهى الوظيفة الظاهرة.

٢- أنه يؤدى إلى الثقافة الروحية والتذكر الدائم للمبادئ الرهبانية. وهى الوظيفة الكامنة التى يهدف لها هذا النظام، إذ ينشغل ذهن الراهب بشئ روحى أثناء طعامه أو عمله. فكما لا يجوز له أن يترك لسانه شارداً يتكلم فيما يليق أو لا يليق كذلك لا يليق به أن يترك ذهنه وعقله شارداً،

يفكر فيما يليق وإنما يضبطه بالتفكير فى موضوع روحى. هو التأمل فيما يسمعه من أخبار وأفكار روحيه من سير وأقوال القديسين.

ومن وظائف هذا النظام أيضاً وهذه القراءات توحيد الفكر والمنهج بين الرهبان، إذ أنهم يتتلمذون فى هذه الحالة على مدرسة فكرية واحدة، ومناهج روحية واحدة ونوع واحد من أنماط الحياة له ضوابطه ومفاهيمه.

ويغلب على مجتمع الرهبان طابع قلة الكلام، فالراهب يدرب نفسه على التأمل والصلاة أكثر من الكلام، فهو يتصرف بهدوء ويتعامل فى هدوء، وإن تكلم يتكلم أيضاً فى هدوء وجدية.

وهو فى كل هذا يحاول أن يمتثل ويسير طبقاً لما نصت عليه قوانين الرهبنه فنجد بن العسال فى كتابه "المجموع الصفوى" يذكر أنه فى علاقة الرهبان بعضهم ببعض، أنه لا يناطق بعضهم بعضاً بالهزل والمزاح، بل يلزمون الصمت والوقار[1] وهذا ما نجده أيضاً عند المتصوفه فى الإسلام إذ قال العلامة الغزالى فى الصمت "احفظ لسانك،واخف مكانك، وعالج قلبك، خذ ما تعرف ودع ما تذكر"[2]، وقال سفيان الثورى "هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضا بالنوت إلى أن يموت".

وقد لوحظ أن الإخوة الذين رسموا رهباناً فى كل "دفعه" أكثر تفهماً وقرباً مع بعضهم من الجماعة ككل. فإذا صدر من أخ فعل معين فأقرب من يوجهه أحد إخوته من جماعته الذين رسموا معه، ويصدر ذلك عن الإخوة من منطلق الحرص عليه وتنبيهه، وهو يقبلها بمحبة وبدون إدانة.

إذ أنهم أكثر ارتباطاً ببعضهم عن بقية الجماعة، وهذا ما يشبه الطبقة

---

1 - الشيخ الصفى أبى الفضائل بن العسال: المجموع الصفوى، لجرجس فيلوثاوس، مطبعة التوفيق بمصر، ١٩٥٢، صـ١٠٢.

2 - العلامة الشيخ ابن حامد الغزالى: منهاج العابدين، مكتبة الجندى، ١٩٥٤، صـ٢٤.

العمرية فى الدراسات الأنثروبولوجيه، فأبناء الطبقة الواحدة التى يتم تكريسهم فى يوم واحد يكونون أكثر قرباً وتضامناً من بقية الجماعة.

ثانياً: علاقة الراهب بأسرته البيولوجيه والعالم الخارجى:

المقصود بالعالم الخارجى كل ما هو ليس داخل الدير. وقد نصت قوانين الرهبنة على تحديد العلاقة بين الراهب وبين أسرته البيولوجيه. فقد ورد فى كتاب "المجموع الصفوى" أنه ينبغى على الناسك أن يفترق بكل قلبه من والديه وأقربائه وأصحابه العلمانيين، كإفتراق الميت عن الأحياء. فإن صاروا إلى فضيلته يعودون أقرباء له، بل لا يبقى لهم عليه رتبة قرابتهم لكن رتبة الاخوة. لأن اباهم جميعاً الحقيقى هو الله أبو الكل. والثانى الذى بعد الله هو الأب الروحانى الرئيس على هذه الفضيلة.(١)

وأما الأقرباء بالجسد فليطلب لهم من الله العبادة النقية، ولكن أن يهتم بهم أو يتقصى عن أحوالهم فليس له ذلك "لئلا يدخل إلى قلوب الرهبان هموم هذا العالم التى ابتعدوا عنها".

"أما إذا حضر عندهم راهب غريب فيكرمونه ويجلسونه معهم على المائدة"(٢) وهذا يعنى أن الراهب ترك كل شئ، فأصبح الجميع وحتى أهله غرباء عنه، وعن حياته الرهبانية، فمحبة الله قبل محبة الأهل والأصدقاء.

واتضح من الدراسة الميدانية أن الرهبان فى علاقتهم بأسرهم البيولوجية ينقسمون إلى عدة أنواع:

١- نوع يفضل الوحدة لا يقابل أحداً من أقاربه، لا فى العالم (المدن) ولا فى الدير، ونلاحظ أن هذا النوع كان هو السائد فى رهبنة الآباء القدامى فى العصور الأولى. والرهبان يمتنعون عن مقابلة عائلاتهم

---

1 – الشيخ الصفى العسال: المجموع الصفوى، صـ ١٠٣.

2 – مخطوطة رقم ١١١ قانون – مكتبة دير السريان.

لأسباب عديدة إما للابتعاد وتجنب تأثيرهم العاطفى، وإما لعدم اعطائهم فرصة لتكرار هذه الزيارات إذا وجدوها سهلة، وإما لكى لا يغرقهم أهلهم بالهدايا والمأكولات والملابس. فيبعدونهم من نسكهم الرهبانى. وإما لكى يبتعدوا عن أخبارالعائلة ومشاكلها. وقد تكون هناك أسباب أخرى لم نصل لمعرفتها.

٢- نوع ثان يقابل أفراد أسرته حينما يحضرون إلى الدير. وهذا النوع ينقسم إلى قسمين:

أ- قسم يقابل كل من يأتيه من أهله بلا حرج.

ب- قسم آخر يقابل أهله فى حدود، فمثلاً لا يسمح بكثرة الزيارات وتكرارها، أو لا يسمح بزيارة بعض أفراد يرى أن زيارتهم تتعبه رهبانياً، أو يقابل البعض مقابلة عابرة ولا يسمح بإطالة مدة الزيارة، أو لا يسمح بقبول هدايا منهم.

٣- والنوع الثالث يقوم أحياناً بزيارة أهله في بلدهم، إذا أتاه خبر بمرض أحدهم مرضاً شديداً، أو بظروف شديدة تمر بها العائلة أو لضرورة معينة.

على أن هذا النوع الأخير ليس من الرهبان المتمسكين بالوحدة. وغالبية الرهبان لا يقبلون هذا الوضع. ويقد يكون هذا النوع من الرهبان من الذين يخدمون الدير فى المدن، أو الرهبان الذين يقبلون رعاية كنائس معينة فى بعض الإيبارشيات فهؤلاء بطبيعة عملهم ووظائف عملهم بالكنيسة يتصلون بكثيرين من الناس. فلا مانع من أن تكون عائلاتهم من ضمن الذين يتصلون بهم.

وغالباً ما توجد فى الدير الواحد هذه الأنواع الثلاثه جميعها. لأن الرهبان ليسوا على درجة واحدة من الوحدة أو الاجتماع.

وهناك بعض الأديرة التى تعطى الراهب كامل حريته فى تحديد علاقته مع أسرته أو مع بعض أفراد هذه الأسره.

وأديرة أخرى تفرض على الراهب ألا يقابل أحداً من أسرته، إلا بناءً على استشارة من أب اعترافه وموافقة الأب على هذه المقابلة.

<u>أما علاقة الراهب بأسرته البيولوجية فى بداية الرهبنة، فقد سبق الحديث عنها فى "المبتدئ" أو طالب الرهبنة.</u>

ومن الطبيعى أن الراهب الذى دخل إلى الرهبنة، علاأاً لى الرغم من إرادة أسرته، لا يرحب كثيراً بزيارتهم كأشخاص يخالفونه فى المبدأ الرهبانى، أو لا يرحبون ببقائه فى الدير، فهم يبذلون محاولات لإخراجه منه أو إلحاقه بأى عمل خارج الدير لخدمة الكنيسة لكى يسهل عليهم مقابلته ورؤيته.

على أن بعض العائلات لا توافق على رهبنة إبنها، وتبذل محاولات لإثنائه عن ذلك، غير أنها إذا تمت رهبنته تستسلم للأمر الواقع، ولا تعود تتعبه فى إختيار الطريق الذى ترغبه نفسه.

وليست كل العائلات تعارض فى رهبنة أبنائها. فهناك نوع ولو أنه قليل يشجعهم على هذه الحياة، أو على الأقل يوافقهم ولا يقف ضدهم. وقد يقدم الوالدان إبنهم للرهبنة حباً فى الله، واقتناعاً بأن هذا الطريق يناسبه أو رغبة فى إسعاده بموافقتهم على طريق الحياة التى ارتضاها. ومن أمثلة ذلك فى تاريخ الكنيسة رهبنة القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين.

وإذا جاءت عائلة الراهب لمقابلته فيستقبلها فى حجرة الضيافة بالدير، ولا تدخل إلى القلاية. فهذا أمر ممنوع فى الدير، إلا فى حالة نادرة كأن يستقبل راهباً أخاه فى جلسة خاصة فى قلايته الخارجية، ولكنه لا يستقبل فى قلايته أمه أو أخته حرصاً وحفاظاً على تقاليد الدير فى عدم دخول إمرأة قلاية الدير.

وتختلف نظرة أفراد الأسرة إلى إبنها الذى ترهب بعد رهبنتـــه، وبعـد نواله إحدى درجات الكهنوت، إذ ينظرون إليه كأب فى الكنيســة لــه احترامـــه وتقديره الخاص، وليس كمجرد ابن لهم داله عليه. ولذا فهــم يسـلمون عليـــه ويقبلون يده كأحد الآباء الكهنة كما فى المدن، وقد تسلم عليه والدته وتقول لـــه "إزيك يا أبونا" ولا تقول له يا ابنى.

وزيارة العائلة لإبنها إما أن تكون زيارة خاصة، وإما أن تكون ضمن رحلة تزور الدير وأتت عائلته معها. وفى هذه الحالة تكون زيارة عابرة وربما لا يتاح فيها لهم سوى الرؤية والسلام وتنتهى عند هذا الحد دون أى لقاء خاص.

من هذا يتضح علاقة الراهب بأسرته الرهبانية أو أسرته البيولوجية.

ثالثاً: علاقة الراهب بالكنيسة والمجتمع المسيحى (العالم الخارجى)

١- علاقة الراهب بالكنيسة:

أ- الرهبنة والكنيسة (الكهنوت):

علاقة الرهبنة بالكنيسة هى علاقة الجزء بالكل. فالكنيسة بمعناها العام هى جماعة المؤمنين بالمسيحية. والرهبان هم بعض من هـؤلاء المسـيحيين. وعبارة الكنيسة تدل فى معناها أيضاً على رجال الكهنوت وعلى الرئاسة الدينية.

وقد بدأت الرهبنة منعزلة تماماً حتى عن الكنيسة، وكانت بعيـدة عـن رتب الكهنوت لأن الكهنوت قد يربط الراهب بالخدمة، بينما كان الرهبان يريدون الاعتكاف الدائم للصلاة. ولو استمر الرهبان فى حياة الوحدة الكاملـة التــى لا يلتقون فيها بأحد لإستمروا منعزلين عن الكنيسة، كما هم منعزلون عـن بـاقى العالم.

ولكن بمضى الوقت بدأت تتكون علاقة. بدأها الناس بالزيارات، وبطلب ارشاد الرهبان، وبالحديث والكتابة عنهم ونشر أخبـارهم وأفكـارهم، وتتلمـذ البعض على يديهم كما ذكرنا. وهكذا أصبحت الرهبنة معروفـة للكنيســة. ثـم

ازدادت العلاقة حينما بنيت الأديرة وأصبحت هناك أماكن ثابته مستقرة لسكنى الرهبان يزورها الناس بعد أن كانوا فى مغارات متفرقه فى الجبال.

ولما كثر عدد الرهبان احتاجوا فى صلواتهم واعترافاتهم، والقيام بواجباتهم الكنسية إلى وجود رتب كهنوتيه تخدمهم فى هذا المجال. وصار فى الأديرة عدد من الكهنة قليل جداً لخدمة الرهبان فقط. وبالتدريج ازداد عدد الكهنة الذين كانت الرئاسة الدينيه للكنيسة تقوم برسامتهم، وتطور الأمر إلى أن الكنيسة استعانت بهؤلاء الرهبان، فانتدبت بعضاً منهم للعمل فى كنائس المدن والقرى، ثم تم اختيار بعض رؤساء الكنيسة منهم.

كان رؤساء الكنيسة خلال القرون الثلاثة الأولى للمسيحية يختارون أولاً من بين أساتذة كلية اللاهوت بالإسكندرية، أو من الكهنة البارزين، أو من العلمانيين المعروفين بالتقوى والعلم. ولم تكن الرهبنة قد ظهرت بعد وازدهرت. فلما ظهرت الرهبنة كانت فى أساسها مكرسة لحياة التأمل والصلاة والتفرغ الكامل للعبادة، وعدم النزول إلى العالم للانعكاف على الوحدة والسكون. حتى فى القرن الرابع الذى ازدهرت فيه الرهبنة جداً، وحفل تاريخها بمشاهير الرهبان من مؤسسى الرهبنة. وحتى أواخر القارن السابع لم يكن اختيار البطاركة والأساقفة من بين الرهبان قاعدة ثابتة، ولكنها ثبتت منذ ذلك الحين. وأول بطريرك اختير من بين الرهبان هو البابا كيرلس (٢٤) سنة ٤١٢م، وإلى عهد البابا يوأنس الثالث البطريرك (٤٠) سنة ٦٨٠م. اختير خمسة فقط من الرهبان لرئاسة الكهنوت.

والسبب الأول فى اختيار البطاركة من الرهبان هو إنغلاق المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية منذ القرن الخامس الميلادى، وفى نفس الوقت ازدهرت الرهبنة واشتهر الكثير من آبائها بالتقوى والفضيلة، فبدأ اتجاه الناس إلى اختيار رؤساء الكنيسة من الرهبنة، إذ ثبتت صلاحية الراهب من حيث أنه لا

توجد له عائله تشغله، ومن حيث أنه شخص نذر الفقر وكل ما يصل إلـــى يـــده من مال هو مال الكنيسة، بعكس غير الرهبان قد تكون لهم ممتلكـــات خاصـــة، فيختلط مالهم الخاص بمال الكنيسة.

كما أن الراهب الذى ليست له أسرة، ولا يرتبط بمنزل، من السهل عليه كثرة التنقل والسفر لافتقاد أبنائه الروحيين فى شتى المدن والقرى. يضاف إلـــى كل هذا محبة الناس للرهبان التى تزايدت منذ القرن الرابع. ولما صـــار اختيـــار رؤساء الكنيسة من الرهبان، تحول إلى قاعدة من الصعب الخروج عليها، وقـــد استمرت فيها الكنيسة حوالى ١٤ قرناً.

أما باقى درجات الكهنوت فكثر عدد الذين يرسمون فى درجة القسيسية لإقامة الصلوات فى الأديرة، واستمرار ممارسة الشعائر الدينية، ولأخذ اعترافات الرهبان وارشاد من يزورون الدير.

ومع ذلك فكثير من الرهبان يرفضون رسامتهم فى الدرجات الكهنوتيـــة إما تواضعاً منهم، أو بُعداً عن تحمل مسئولية واحتفاظاً بحياة الهدوء والســـكون فى البرية. ولكن يحدث أحياناً أن الراهب على الرغم من أن رهبنته كانـــت مـــن أجل تحقيق حُبه فى حياة السكون والهدوء إلا أنه يضطر إلى قبول الخدمة مـــن أجل الطاعة لرؤسائه الدينيين.

والكهنوت فى الرهبنة هو كهنوت بتولى، بعكس الكهنـــة فـــى المـــدن والقرى الذين يختارون من بين المتزوجين، على اعتبار أن لهم خبرة خاصة فى الحياة العائلية وفى تربية الأولاد، يستطيعون بها أن يساهموا فى حل المشكلات العائلية التى تصادفهم، كما أنه من الصعب اختيار كهنة بتوليين لعدد ضخم مـــن الكنائس لكافة المدن والقرى.

والكهنوت فى الكنيسة الكاثوليكية حتى عهد قريب، كان الكهنة فيه من بين الرهبان بلا استثناء، سواء القسوس أو الأساقفة أو الكرادلـــة والبـــابوات.

ولقد سمح الآن لعدد قليل جداً من القسوس بالزواج، ولكن الغالبية الساحقة ما زالت تُختار من الرهبان.

ونود أن نُفرق بين الكهنوت في المسيحية والكهانة في الوثنية التي كانت مرتبطة بالسحر، إذ يرى بوشيه لوكرك و"ف. أدفير" و"ف. هنري" و"دوتيه" أن السحر والكهانة مرتبطان بحسب أصولهما المشتركة باعتبار أن أشخاصاً بعينهم يزاولونهما. ولكنهم يتفقون من جهة المبدأ وان كانوا يختلفون من جهة تطبيقه.

كما نجد دافي يقول أن الكهانة وليدة الإيمان بوجود الجن ومطالبة الأرواح بالمستقبل ودوتيه يقول أنها ترجع إلى السحر بالمحاكاة.

وتبدو طقوس الكهانة في العالم الوثني من أقدم الطقوس عهداً. فهي تعتمد على ميل غريزي لدى الانسان الذي يهتم طبيعياً بما يخبئه له المستقبل. ويمكن إرجاع هذه الطقوس إلى طائفتين فهناك الكهانة الاستقرائية التي ينتقل فيها المرء من العلامة إلى الشئ الذي تدل عليه، كالانتقال من اتجاه الطير إلى اليسار أو إلى اليمين كنذير بالسعد أو النحس. ثم الكهانة التي تقوم على الحدس والتخمين والتي تتم بواسطة المتنبئين الذين يزعمون أنهم يخاطبون أرواح الموتى.[1]

وهناك البعض الذي يجمع بين اللقب الملكي والواجبات الكهنوتية، وهذا كان شائعاً في إيطاليا القديمة، وفي بلاد الإغريق (قبل المسيحية)، ففي روما كان يوجد كاهن يطلق عليه اسم "ملك الاغريق"، أو "ملك الشعائر المقدسة"، في أثينا كان الحاكم يلقب بالملك، وحتى بعد إلغاء النظام الملكي كانت التقاليد

1 – روجيه باستيد: مبادئ علم الاجتماع الديني، ترجمة محمود قاسم، مكتبة الأنجلو، أبريل ١٩٥١، صـ ١٢٤-١٢٦.

تقضى بتعيين ملك للقرابين والأضاحى.[1]

والكهانة فى الوثنية غير الكهنوت فـى المسـيحية، وفـى اليهوديـة. فالكهانة هى محاولة اخضاع الطبيعة وسيطرتها للانسـان سـواء بالسـحر أو بالأدعية والقرابين، أما الكاهن فى اليهودية والمسيحية فعملـه الأساسـى هـو تقريب الانسان إلى الله، وقيادته فى حياة الفضيلة والقيـام بالشـعائر الدينيـة وقياده الكنيسة، فهو الذى يؤم الناس فى الصلاة، وهو الذى يتقبل اعترافـاتهم ويصلى عنهم ليغفرها الله لهم.

والكاهن فى المسيحية يرعى الشعب من كافة الجوانب، ويزور العائلات فى المنازل ليتعرف على مشاكلها ليقوم بحلها، كما يدعو الناس إلـى الكنيسـة، وهو أيضاً يقوم بالوعظ وبالتعليم، والإشراف على كـل الخـدمات الاجتماعيـة والروحية فى الكنيسة.

ب- <u>كيفية إعداد الكهنة وشروط اختيارهم</u>:

يذكر كل من رالف بيلز وهارى هويجز أن الكاهن يحرز سـلطاته مـن خلال ارتباطه بمجموعة دينية منظمة، وليس فقط من خلال قدرته علـى إقامـة علاقة بكائنات علوية. والكهنة يكونون معدين لمهنهم بتـدريب ولـيس نتيجـة للإلهام أو لحلول إله أو روح فيهم.[2]

وهناك شروط لاختيار القائد الدينى فى مختلف الديانات، فهو الشـخص القادر على التحكم فى الانفعالات وضبطها وإعادة التوازن فى الجماعـة التـى تصاب بالقلق نتيجة لحدوث تغيير مفاجئ فى حياة تلك الجماعة، ومحاولة إيجاد

---

1 - جيمس فريزر: <u>الغصن الذهبى</u>، ترجمة أحمد أبو زيد، الهيئة المصـرية العامـة للتأليف والنشر، ١٩٧١، ج١، صـ ٩٦-٩٧.

2 - رالف بيلز، هارى هويجز: <u>مقدمة فى الانثروبولوجيـا العامـة</u>، ترجمـة محمـد الجوهرى وآخرين. مطبعة نهضة مصر، ١٩٧٧، صـ٦٠٧.

علاقات بين أفراد الجماعة.[1]

ولكن هناك جماعات تختار الكاهن لأن لديه كفاءات من نوع آخر. وتزداد أهمية الكفاءات التى ينظر إليها لاختيار الكاهن كلما زادت درجة التعقيد وحجم المجتمع، وكلما اتسعت دائرة تقسيم العمل، فهناك جماعات تتطلب أن يكون لديه المقدرة على أن يكون موجه ناجح أو قائد سياسى... إلخ.

وعموماً يجب أن يكون لديه القدرة على ممارسة الطقوس.

أما القائد الدينى فى المسيحية فيجب أن يَعرف كيف يمارس الطقوس، وأيضاً يُلقن تابعيه معنى الحياة التى يحياها، ومعنى الطقوس التى يمارسوها. ولذا فكل الكنائس المسيحية فى العالم تهتم بإعداد الكهنة سواء كان راعياً فى كنيسة بروتستانتية، أو كاهناً فى كنيسة قبطية أو كاثوليكية. فيجب أن يدرس الأعمال الدينية ليس هذا فقط، بل يدرس فنون التنظيمات الأخرى التى يعيش فيها الأفراد التابعين له، حتى يضع أقواله وأفعاله وأعماله بما يمكنهم التجاوب معه.

أما بين الاندمان، والفيدا فإن اختيار الشامان يتم من بين الشباب بواسطة الشامان الأصلى الموجود، ويتم إعداده عن طريق ملازمة الشامان الأصلى الذى يلقنه بعض أسرار المهنة من وقت لآخر.

وفى جزيرة Nicobar فيتم إختيار الشامان من أحد الشباب الذى قاسى من مرض خطير وشفى- ثم يقضى فترة اعتزال فى مكان نائى مهجور لا يصل إليه علمانى، حيث تعقد له جلسات يتلقى فيها التعليمات من الشامان الأصلى، وتستغرق تلك الفترة عدة شهور، ثم ينتقل من قرية إلى أخرى حتى تنتهى فترة إعداده، وبذا يكتسب مركزاً فى العشيرة يسهل اتصاله بهم والتأثير

1 - Chapple & Coon; Principles of Anthropology; Henery Halt And Company:; 1New York, 1947. P. 397-413.

فيهم.

ويختار الشامان عند Chukcki بواسطة أفراد العائلة التى تحدد من سيتولى شئون العائلة ورعاية القطيع معاً، ومن سيصبح شامان، والشامان هنا هو الشخص الذى له القوة والجسارة بحيث يجد استجابة من أفراد الجماعه لطاعته والانقياد له.(١)

وعند Greek Indians تتطلب لكى يكون الشخص شاماناً، أن يجلس عارياً بدون طعام لمدة ثلاثة أيام متوالية، يتلقى فيها التعليمات والممارسات الطقسية. وبذا يحصل على أول درجة من درجات الشامان. أما الدرجات الأعلى فتتطلب ستة أيام أو ٩ أيام. وفى نهاية فترة الانعزال والإعداد وهى ٧ شهور يعد موكب يسير فى مقدمته الكهنة الكبار يتبعهم الكهنة الصغار ثم المنضمين حديثاً وأخيراً الجُدُد.

وفى الكنيسة القبطية لا يرسم كاهن أو يصل أحد إلى درجة الكهنوت إلا من كان تقياً عالماً طاهراً فاضلاً خبيراً بالكنيسة قادراً على الوعظ والتعليم.(٢) ويذكر الأنبا اغريغوريوس فى كتابه "انتخابات البطريرك" أن الكهنوت فى المسيحية لا يورث من أحد، ولا يورث لأحد، بعلاقة جسدية أو برابطة الدم أو الطبقة، فالكهنوت كرامة لا توقف على فئة أوجماعة أو أسرة، ولا يمكن أن يُحتكر لطبقة معينة أو لجماعة أو لفئة أياً كانت، وإنما يرتبط أولاً وبالذات بأهلية المُرشح للدرجة واستحقاقه لها شخصياً بالتقوى، والعلم والمؤهلات الروحانية والقيادية، وسائر الفضائل والصفات اللازمة لهذا المنصب الجليل.(٣)

ولا يوجد فى الكتاب المقدس فى العهد الجديد شئ يلزم الكنيسة باختيار

---

1 - Ibid.

2 – العلامة يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباغ: الجوهرة النفيسة، بطريركية الأقباط الأرثوذكس، ١٦١٨ قبطية، صـ٨٦.

3 – الأنبا إغريغوريوس: إنتخاب البطريرك، سبتمبر ١٩٧١، صـ٨، ٩.

رجال الكهنوت من أسرة معينة، أو من فئة خاصة أو من جماعة بعينها، وإنما يشترط أن تكون له المؤهلات التى تجلعه جديراً بالدرجة التى يتقدم إليها. وكلها مؤهلات روحية وعلمية وقيادية.

ومن هذا يتضح أنه لا يتسنى لأى انسان أن يمنح نفسه وظيفة الكهنوت بل تمنح له حسب شريعة التوراة والإنجيل.

٢ - علاقة الراهب بالمجتمع المسيحي:

الأقباط بصفة عامة يوقرون رجال الدين، وينظرون إليهم كآباء ويدعونهم بهذا اللقب، كما ينظرون باحترام لوظيفتهم الدينية وعلاقتهم الخاصة بالله وقربهم منه، ويدعون الاسقف والمطران والبطريرك "سيدنا" وهى ترادف الكلمة الإسلامية "مولانا".

وهم يذهبون إلى رجال الدين يلتمسون صلواتهم ودعاءهم، كلما حاقت بهم مشكلة من المشاكل أو ضيقة من الضيقات، وقد يطلبون رفع صلوات خاصة عنهم غير الصلوات العامة التى ترفع فى الكنيسة، وقد ينذرون نذوراً بهذه المناسبات عرفاناً لشكرهم لاستجابة الله لهم عن طريق الصلوات.

وكما يذهبون إلى الكنيسة طالبين الصلوات فى ضيقاتهم، يذهبون إلى رجال الدين يطلبون البركة، حتى ولو لم تكن هناك مشكلة أو ضيقة. والبركة معناها انهم ينالون نعمة خاصة من الله عن طريق الصلاة.

ومن مظاهر احترام رجال الدين أن الشعب يقبلون أيديهم. وينحنون عند السلام عليهم، وعند أخذ البركة منهم، أو يطأطئون الرأس لكى يضعوا ايديهم على رؤوسهم فى الصلاة.

وكلما شعروا أن أباً معيناً من هؤلاء الآباء له حياة مقبولة أمام الله، أو له صلوات مقبولة، كلما ازداد احترامهم له وترددهم عليه، وإلتماسهم لصلواته وبركاته. وهم ينظرون الى الآب الكاهن كسفير لله يمثله، وليس معنى هذا وجود

وساطة تمنع الاتصال المباشربين الانسان والله- فكل فرد من الشعب القبطى له صلواته الخاصه وصلته الخاصه بالله، وعلاقته المباشره بربه، ولكنه بالإضافه إلى هذه العلاقة الخاصة يطلب بركة أشخاص يشعر أنهم أكثر قرباً إلى الله. لأنهم تركوا وظائف العالم ورفاهيته وتخصصوا لخدمة الله وحده.

وكما يهتم الآباء الكهنة بأفراد شعبهم، كذلك يهتم الشعب بالآباء الكهنة. فكل مرتبات الكهنة من عطايا الشعب، يضعونها فى صندوق الكنيسة أو يسلمونها لهم. بل أن الكثيرين من أفراد الشعب يعتبرونها بركة أن يقدموا للكاهن ما يحتاج إليه من ملابس كهنوتية أو ملابس خاصة، ويجدونها بركة أيضاً أن يدعوا هؤلاء الآباء إلى منازلهم لمباركتها والصلاة فيها، وتناول الطعام معهم.

فإذا كان الشعب ينظر إلى الأب الكاهن المتزوج الذى يعيش وسطهم هذه النظرة، فأنهم ينظرون إلى الآباء الرهبان نظرة أكبر فهم يحتلون مكانة أفضل لأنهم ارتفعوا عن مستوى المحبة المحصورة فى أسرة ضيقة إلى المحبة الشاملة التى تهتم بالناس جميعاً وتصلى من أجل الناس جميعاً، ومن أجل أنهم زهدوا العالم واحتقروا شهواته، وتفرغوا للعبادة. ويرون أن الراهب أكثر معرفة بأعماق الحياة الروحية من أجل حياة الصلاة والتأمل التى يعيشها، وحياة الزهد والنسك التى يُدرك بها بطلان الشهوات العالمية وتفاهتها. ومن أجل أن له فرصة أكبر للقراءة والفهم لا تشغله وظيفة ولا أسرة ولا مشاكل اجتماعية، لهذا يلجأ اليه الناس طالبين كلمة معرفه، وكلمة هداية ونصحاً وارشاداً ويرون فى حديثه عمقاً. ولذا فهم يأتون إلى الأديرة ليس لنوال بركة الأماكن المقدسة فقط، وإنما لنوال بركة الرهبان الذين يعيشون فيها.

وليست هذه رؤية الشعب للرهبان ولم تكن نظرة الشعب تلك للرهبان انبثقت فى أيامنا هذه فقط، وإنما منذ نشأت الرهبنة فالناس كانوا يأتون من

مشارق الأرض ومغاربها، ويجوبون البحار والقفار، يقصدون راهباً ناسكاً يطلبون منه كلمة "منفعه". وهذا التعبير شائع جداً فيما كتبه زائروا الأديرة فى القرن الرابع الميلادى مثل جيروم وبلاديوس ويوحنا كاسيان وغيرهم كما سبق أن ذكرنا.

وهكذا نرى العديد من الرحلات تتكاثر على الدير على أنماط مختلفة:- بحيث يوجد أحياناً مئات من الناس فى اليوم الواحد، وعدد كبير من شتى فئات الشعب من سكان المدن والريف، ومن المثقفين وغير المثقفين، من الكبار فى السن وبين الصغار الشابات والشبان. وهناك مناسبات كثيرة جداً تكون موضع صلة خاصة، وتؤدى إلى وجود علاقات معينة كأيام الامتحانات وأيام المرض والضيقات، أى أيام يمر فيها الانسان بأزمات فى حياته سواء كانت سيكولوجية أو اجتماعية يشعر فيها بحاجته إلى معونة الهيئة، فيقصد الدير.

وزوار الأديرة على أنماط مختلفة فمنهم:

أ- زوار مصريين .

ب- زوار أجانب.

ج- زوار مقيمين فى بيوت الخلوة.

د- العمال.

أ- الزوار المصريين:

بعضها رحلات تقوم بها الكنائس من مختلف جهات مصر فى عربات أو أتوبيسات كبيرة لكى تزور الدير زيارة عابرة وينصرفون فى نفس اليوم. والبعض الآخر يأتى إلى الدير فى الاحتفالات بأعياد القديسين وهى زيارات موسمية فى الأعياد المسيحية فقط.

ومن أمثلة هذه الزيارات للاحتفال بأعياد القديسين "عيد القديس الأنبا

بيشوى" الذى يطلق اسمه على دير الأنبا بيشوى، ويوافق يوم ١٥ يوليو من كل عام وفى هذا اليوم نجد أعداداً هائلة من الناس تأتى إلى الدير من كل مكان فى جمهورية مصر من أقصى الصعيد إلى المناطق البحرية ومن مختلف الأعمار سواء كانوا عائلات أو رحلات كنسية وقد بلغ عددهم فى العام الماضى ما يقرب من ١٥ ألف نسمة. وهم يأتون للتبرك من الدير كمكان مقدس، ومن قديس الدير كشخص محبوب لديهم يلتمسون دعائه وشفاعته أو لطلب الشفاء. كما أنهم يزورون آثار الدير ورهبانه. وبخاصة إذا كان أحد الرهبان قد أتى إلى الرهبنة بهذا الدير من بلدة هؤلاء الزوار وكنيستهم أو كانت له خدمة سابقة كنسية بالنسبة لهم. وتصل هذه الزيارات العابرة أحياناً إلى المئات فى اليوم الواحد، وهى تزداد فى أيام الجمع والعطلات الرسمية والأعياد المسيحية وأعياد القديسين فتصل إلى الآلاف، أو نجد أحياناً حوالى ٢٠ أو ٣٠ أتوبيس يضم كل منهم ما لا يقل عن ٦٠ أو ٧٠ شخص.

ولايوجد سجل لحصر جميع الأفراد الذين يدخلون إلى الدير، وإنما هناك سجل تقريبى من يرغب فى التسجيل فيه يسجل، ومن لا يرغب قد لا يسجل هذا فى الثلاثة أديرة أما دير أنبا مقار فيوجد سجل لحصر جميع من يدخلون حتى ولو كانوا أفراداً قلائل.

ويتولى الإشراف على هذه الزيارات أحد الرهبان وهو مختص باستقبال الضيوف يطوف بهم فى أرجاء الدير ويشرح لهم آثاره، ثم يجلس معهم جلسة روحية يتناول فيها موضوع روحى، ويتولى الرد على استفسارتهم.

والزوار يطلبون من الآباء أى شئ من أيديهم يشعرون أنه بركة، فقد يطلب زيتاً مصلى عليه فى الكنيسة، أو جزء من الخبز المقدس المصلى عليه أيضاً "القربان" أو بعضاً من الماء المصلى عليه. والبعض فى بساطة الايمان يأخذون معهم قليلاً من تراب الدير كبركة او يلمسون حائطه، أو يلمسون ثياب

الكاهن أو الراهب كبركة، أو يسمعون كلمة دعاء "بركة". وعند الانصراف منهم من يطلب بعض الخبز الذى يعيش عليه الرهبان والذى يصنع ويخبز فى الدير، والذى لا يتولى غير الرهبان خبزه كما ذكرنا.

ب- الزوار الأجانب:

وهم نوعان علمانيون وإكليروس- ورجال الإكليروس هم البطاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة، وباختصار كل رتب الكهنوت- وغالباً ما يأتى هؤلاء للتعرف على الدير من الناحية الأثرية والتاريخية والفنية. والمتدينون منهم يأتون للتبرك أيضاً ولكنهم قليلون. وقد أنشئت هذه الأديرة قبل إنقسام الكنائس، لذا فليس من الغريب أن يأتى هؤلاء لزيارتها لأخذ بركتها. ويشرف على هذه الزيارات أب له إلمام بأمرين:

- لغة أجنبية يتخاطب بها مع السواح، وغالباً ما تكون الانجيزية.
- إلمام بالتاريخ والآثار فيستطيع أن يشرح للسواح تاريخ الدير وما فيه من آثار قديمة العهد، وحياة الرهبان فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين وحياة قديس الدير.

ويشترط فى الراهب المشرف على استقبال السواح أن تكون معلوماته دقيقه لأن كثيراً من السواح، يكونون قد قرأوا عن الدير وآثاره قبل زيارتهم له، والبعض منهم قد يكون من أساتذه الآثار والتاريخ. وهذه الزيارات تترك أثراً كبيراً عميقاً فى التعرف على قدم حضارة مصر وعراقة هذا الشعب فى التاريخ. فكما يجدون فى زيارتهم للأهرامات وأبى الهول. والمتحف المصرى والأقصر والجامع الأزهر وجامع أحمد بن طولون، حضارة مصرية قديمة ترجع إلى عدة قرون، كذلك يجدون فى زيارتهم للأديرة القبطية آثاراً لكنيسة قديمة من أول العصور المسيحية فى القرن الأول الميلادى ما زالت الحياة باقية فيها حتى الآن.

أى يرون تاريخاً قديماً وتاريخاً حياً مُعاشاً، ويدركون أن مصر هى بلـــد لها عراقتها فى التاريخ سواء من الناحية المدنية أو الدينية أيضاً.

جـ- الزوار الشباب فى بيوت الخلوة:

وهم إما الشباب الذى يأتى ليقيم بضعة أيام فى بيوت الخلوة، أو الآباء الكهنة الذين يقضون فترة الأربعين يوماً بعد الرسامة للإعداد.

بيت الخلـــــوة

يوجد فى كل دير من الأديرة الأربعة بوادى النطرون مسكن للضـــيوف يسمى "بيت الخلوة" يقصده بعض الشبان للإقامة فيه بضـــعة أيـــام للانتفـــاع بهدوء المكان والتفرغ للعبادة، وأن يحيوا حياة روحية يحاسبون فيها أنفســـهم على أخطائهم ويقومون طريقهم.

وأول هذه البيوت البيت الذى أنشئ فى ديـــر الســـريان ســـنة ١٩٥٩، وكان قداسة البابا الحالى هو الأب الروحى لهذا البيت، وكـــان الـــدير يســـتقبل أعداداً كبيرة من الشبان كل عام، ولا يمكن حصر هـــذه الأعـــداد لعـــدم وجـــود سجلات خاصة بذلك ولم تكن هناك بيوت للخلوة فى الأديرة الأخرى غيـــر ذلـــك البيت، ثم أنشئ بيت خلوة فى دير الأنبا بيشوى سنة ١٩٧٢، وبيت الخلوة فـــى دير البراموس سنة ١٩٧٦.

ويقع بيت الضيافة فى دير الأنبا مقار عند مدخل الدير تماماً بالقرب من الكنائس الأثرية ولا يسمح للزوار بالدخول فى منطقة سُكنى الرهبان، أما بيـــوت الخلوة فى الأديرة الثلاثة الأخرى فهى تقع خارج أسوار الدير. وتـــزدحم هـــذه البيوت فى أسبوع الآلام من كل سنة، حيث يقضى الشباب هـــذا الأســـبوع فـــى الصلاة والصوم ملازمين الكنيسة. أما فى أيـــام الأعيـــاد والعطـــلات الرســـمية والصيف فيكثر التردد على هذه البيوت.

وفترة الإقامة فى هذه البيوت حوالى ثلاثة أيام أو يومين أحيانـاً، لكـى تعطى فرصة لأكبر عدد من الشبان للحضور إلى الدير لأخذ بركة الخلوة بالدير، أما إذا كانت هناك فترة لا يوجد بها زوار كثيرون فقد تمتد فترة السماح للخلوة إلى خمسة أياماً وأكثر. وهناك فترات يمنع فيها الدير الزيارة وبخاصـة زيـارة الإقامة، وهذه إما أن تكون فترات عبادة خلال أيام الصوم، أو فتـرات انشـغال الدير فى بعض أعمال التعمير، وكثيراً ما يعلن الدير، عن ذلـك فـى المجـلات القبطية.

وقبل إنشاء بيت الخلوة بدير الأنبا بيشوى كانت تأتى مجموعـات فـى حدود ضيقة جداً وصغيرة، ولم تكن منظمة. وكان هدفهم الرهبنة فكان لا بد أن يبيت ولو لليلة واحدة فى الدير. وعندما بدأ التعمير فى الدير بدئ ببنـاء بيـت الخلوة لمدى أهمية هذا البيت، وفضل أن يكون البيت بعيداً عن الرهبان حتى لا يشعر الرهبان بالضوضاء وكسر هدوء الدير.

وفى بعض الأحيان يكون هناك إثنان يشرفان على بيت الخلوة أحـدهما للأمور الإدارية والثانى للإشراف الروحى. وتلقى اعترافات الشبان وارشـادهم فى حياة الفضيلة.

ويوجد بيت آخر لمن يحضـر مـن الآبـاء الكهنـة أو الرهبـان (١٠ حجرات)، يشرف على هذين البيتين راهب يهتم باستقبال طالبى الخلوة واقامتهم وانصرافهم وبقية طلباتهم الأخرى. وفى نظام يومهم ومواظبتهم علـى الصـلاة الخاصة وحضور صلوات الكنيسة، ويكون لهم اجتماع يومى روحى غالبـاً مـا يكون موضوعه إحدى الفضائل وكيفية ممارستها والتـدريبات الروحيـة التـى توصل إلى تلك الفضيلة.

وبالنسبة لاستقبال الشباب بالبيت لا بد من وجود تصريح من مقر الدير بالقاهرة حيث يوجد أحد الرهبان من الدير يعمل بالمقر، وهو الذى ينظم عمليـة

الحضور بحيث لا يزيد العدد عن نطاق المقر، وحتى يتمكنوا من الحصول على الاستفاده الروحية، وهذا العدد يزيد فى أيام الأجازات والعطلات الرسمية ويتسع البيت لـ ٤٥ شاباً لأنه يتكون من ١٥ حجرة، والحجرة تتسع لثلاثة أفراد ويمكن أن يزيد العدد إلى ٦٠ فى وقت الزحام.

وعادة يكون هؤلاء الشباب أو أغلبهم من خدام التربية الكنسية ولهم أب اعتراف، والغالبية منهم يمنحهم الأب تزكية، وأحياناً كاهن الكنيسة التى يتبعها الشخص هو الذى يعطيهم التزكية إذا كان أب الاعتراف ليس من الكنيسة.

- <u>الحياة اليومية بالبيت:</u>

يبدأ اليوم عادة سواء بالنسبة للآباء الرهبان أو الشباب بضرب جرس نصف الليل الساعه الثالثه صباحاً، ويحرص الدير على حضورهم التسبحة مع الآباء، وبعد نهاية التسبحة الساعة الخامسة والنصف يحضرون القداس الذى ينتهى الساعه الثامنه أو التاسعه صباحاً ماعدا يومى الأربعاء والجمعه فيتأخر قليلاً.

وبعد القداس يتناولون وجبة الافطار على مائدة واحدة، ويخصص أحدهم لقراءة كتاب بستان الرهبنة أثناء تناولهم الطعام، أو إذا وجد بالبيت أحد الإخوة تحت الرهبنة فيتولى عملية القراءة حتى ينتهى أخر واحد منهم من الطعام، ثم يقوم أحدهم بختم الصلاة. ونظراً لوجودهم بالدير فنظام الدير يقضى بأن يخدم كل فرد نفسه فيقوم بغسل طبقه ووضعه فى مكانه. وهم فى هذا يكتسبون العادات والتقاليد الرهبانية بالتدريج عن طريق إقامتهم بالدير ومعايشتهم للمجتمع الرهبانى. تليها فترة راحة.

وبعد الظهر يقومون بالعمل وهى فترة عمل يدوى قد يعملون فى الزراعة أو فى أى عمل خاص بالدير، وتنتهى تلك الفترة وإذا لم يكن هناك عمل

قد تكون فترة إطلاع بالمكتبة. ثم تقام صلاة الغروب في البيت وليس مع الرهبان بالدير، لأن العدد قد يصل أحياناً إلى ٥٠ أو ٦٠ شاباً، ويشترك معهم الأب المسئول عن البيت فى صلاة الغروب، ثم يقضى الشباب فترة خلوة وهى نظام ثابت ومعروف للبيت إذ يساعد البيت الشباب على الخروج والسير بمفرده وليس فى جماعات فى لحظات غروب الشمس وهى فترة هادئة ليتعود فيها الشباب على محاسبة النفس والتأمل بعيداً عن ضوضاء المدينة ومشاغل الحياة.

وفى الساعه الثامنة يبدأ العشاء بنفس النظام فى الغذاء، من حيث الصلوات وقراءة بستان الرهبان تحت إشراف الأب المسئول، وبعدها توجد جلسة روحية، فلكل شاب آراء خاصة معينة واستفسارات يقوم بطرحها فى تلك الجلسة ليجيب عليها الأب المشرف على البيت. وقد تستمر لمدة ساعه ونصف، وأحياناً يأتى بعض الشباب وليس له أب إعتراف، أو له أب لا يتكمن من مقابلته فيمكن أن يسترشد بالأب المسئول عن البيت. ثم يبدأ الاستعداد للنوم للاستيقاظ فى الساعه الثالثة صباحاً.

يرتبط البيت بنظام الدير فى الوجبات حسب فترات الصوم التى تفرضها الكنيسة، وفترات الانقطاع عن الطعام، وأحياناً يتم إحضار الطعام من مجمع الرهبان، أو يقوم الشباب بإعداده، وتراعى بعض الحالات الخاصة بهؤلاء الشبان التى تستوجب إعداد طعام من نوع معين، فقد يفرض أب الاعتراف فترات خاصة للانقطاع، لأحد الشباب الذى يخبر الأب المسئول عن البيت بالمواعيد حتى لا يتخلف عن بقية الإخوة فى شئ ما.

- <u>الدور الذى يؤديه بيت الخلوة:</u>

<u>يؤدى البيت رسالة روحية واجتماعية معاً:</u>

<u>فمن الناحية الروحية</u> يقدم بيت الخلوة لمن يقيم فيه فترة هادئة يقضيها مع نفسه ومع الله، تحت إشراف روحى. وإن كان أحد مُتعباً من أمر معين، يستطيع

عن طريق مساعدة أب الاعتراف فى بيت الخلوة أن يجد حلاً لها.

وفرصة الإقامة فى الدير فرصة للصلاة والقراءة الروحية والتأمل والعبادة والصوم، كما أن الشخص يتمتع فيها بهدوء الصحراء، والسير فيها وبخاصة فى فترة الغروب.

وكثير من الشباب يعودون إلى بلادهم بعد تلك الفترة وهم فى حالة من الإمتلاء الروحى، يعيشون حياة التوبة والبر. والبعض منهم قد تروقه الفترة التى قضاها فى بيت الخلوة، فيطلب تكرارها فى مناسبات أخرى. وقليل من هؤلاء يشتاقون إلى حياة الرهبنة.

<u>أما من الناحية الاجتماعية</u> أحياناً يمر الزوار بظروف اجتماعية خاصة (عائلية – مالية – دراسية) فيقوم الدير بالاتصال بأبيه الروحى فى المدينة، ويعمل على حل هذه المشاكل وهناك مشاكل أخرى يقوم المشرف على البيت أو رئاسة الدير بالعمل على حلها، بكل ما يمكن من امكانيات متاحة، فيخرج الشاب بفائدتين دنيوية وهى حل مشاكله الاجتماعية، فائدة روحية بالتقرب إلى الله.

بعض الشباب تكون لديه اهتمامات وقدرات معينة للقيام ببحوث دينية، فيساعده البيت باتاحة الفرصة للقراءة والاطلاع. إذ يوجد بالبيت مكتبة صغيرة تضم النوعيات المختلفة الموجودة بمكتبة الدير ما عدا المخطوطات. وهى أساساً تتكون من مكتبة الدير الأصلية ولكن يراعى فى اختيار كتبها ما يناسب الشباب واحتياجاته، وما يناسب الكهنة الجدد. ويوجد بالبيت مكان مخصص للقراءة. وأحياناً يتطلب الأمر أخذ كتاب أثناء الفترة التى يقضيها الشاب بالدير فيسمح له بذلك.

من هذا يتضح أنه عن طريق السماح للشباب بالإقامة فى الدير يقوم بتشجيعهم على حياة البر والتخلص من أخطائهم الشخصية، والالتصاق بالكنيسة وعدم الانحراف، وهكذا يساهم فى إرساء القيم الروحية. كما يساهم أيضاً فى

حل بعض المشاكل الاجتماعية التى يقع فيها هؤلاء الشباب. وأحياناً تتعمق فى بعضهم الفكرة الدينية فيرغبون فى حياة الرهبنة.

- استقبال البيت للآباء الكهنة الجدد:

كل كاهن جديد قبل أن يبدأ خدمته فى العالم، لا بد أن يقضى فترة روحية مدتها أربعون يوماً فى أحد الأديرة بعد الرسامة مباشرة، وهى فترة خلوة وأيضاً فترة صوم حتى ولو لم يكن هناك صوم عام، لأنها فترة استعداد لبدء الخدمة فلابد أن يقضيها فى عبادة وتأمل وصلاة وصوم.

ويخصص البيت لهم حجرات خاصة لإقامتهم فيكون لكل منهم حجرة منفردة ويكونون تحت مسئولية بيت الخلوة من حيث احتياجاتهم، ونظام الوجبات والإقامة. وفى هذه الفترة يقوم الدير بتسليم الطقوس والألحان الكنسية تحت إرشاد أحد الآباء من الدير، كما يساعد هذا الأب على استعارة كتب عن الخدمة وعن الكهنوت وواجباته، وتحضير العظات.

من هذا يتضح الدور الذى يلعبه الدير بالنسبة لغرس القيم والمبادئ الروحية والفضيلة فى الشباب المسيحى مما يساعد على إقامة مجتمع تحكمه القيم الدينية، بما يوفره من رجال دين يقوم بالإشراف على إعدادهم لدورهم الروحى.

- علاقة الراهب بالعمال:

العمال الذين يأتون للعمل بالدير يستعين بهم فى أعمال الزراعة والإنشاء والتعمير وهم عدد كبير من الفنيين والعمال. وإلى جوار عمال الزراعة والبناء يوجد الحرفيون الذين يطلق عليهم "معلمين" فهناك معلمين للبناء وللنجارة وللسباكة وللكهرباء والبيض. ومقاولون لأعمال الخرسانة وعمال الماكينات والآلات الزراعية وسائقى العربات.

وهؤلاء العمال لا يدينون بالمسيحية فقط، فمنهم المسلمون أيضاً،

فالقائمين بأعمال الخرسانة والنقاش وعمال (القاسون) الذين يحفرون آبار إرتوازية فى الدير منهم المسلمون والمسيحيون. بينما عمال الزراعة كلهم من المسيحيين. واختيار العمال يأتى إما عن طريق المقاولين وإما عن طريق العمال أنفسهم الذين يحضرون زملاؤهم وأصدقاؤهم والدير ليس له حرية الاختيار فى هذه الناحية.

لاحظت أثناء الدراسة الحقلية أن المسئول عن الرى فى دير السريان وعن بوابة المزرعة رجل لا يدين بالمسيحية، ولكنه مسلم وله أكثر من ثلاثين سنة فى خدمة الدير. أيضاً ساعى الدير الخصوصى الذى يعتمد عليه فى نواحى كثيرة هو أيضاً مسلم وله حوالى ٣٥ سنة فى خدمة الدير، وكذلك الجناينى والدير يثق فيهم ثقة كاملة.

والمسلمون فى الدير يمارسون صلواتهم وعبادتهم بكامل حريتهم، ويقدم لهم الدير كل الامكانيات المتاحة فى شهر رمضان، فيسمح لهم بالعمل فى المواعيد المناسبة لهم كما يرغبون، كما أنه يراعى ذبح بعض الأغنام والدواجن للعمال المسلمين فى فترات الصوم التى لا يأكل فيها المسيحيون لحوماً.

كما لوحظ أن كثيرين من عمال الدير من قرى الصعيد. ولوحظ من الدراسة الحقلية ما يشبة الروح القبلية بين العمال. فكل مجموعة فى مهنة معينة تسكن معاً فى حجرات متقاربة، يسهرون معاً، ويوقدون النار ليلاً لإعداد الشاى وللتدفئة فى الشتاء أى يتسامرون معاً. وربما يسافرون معاً فى عطلاتهم، ويعودون سوياً فى مواعيد متقاربة. فهناك شعور بالتآلف والتوافق يسود كل جماعة معينة. مما يكشف عن تكيف أفراد كل جماعة مهنية معاً.

لوحظ أيضاً أن هؤلاء العمال لا يهتمون بالأجور النقدية التى يتقاضونها، وعلى الرغم من أن نظام الأجور يتوقف على سن الفرد، وعلى كفاءته فى العمل، وعلى نوعية الأعمال التى يقوم بها، فالعامل الذى يدير الآلات

لا يكافأ كالعامل العادى، وعلى الرغم من أن الأجور التى يقدمها لهم الدير ليست كمثيلاتها خارجه، إلا أن الواضح من العمال أن الشعور الدينى يغلب عليهم، فهم يشعرون أنهم يعملون من أجل الله .... وفى مكان مُقدس من أجل قديس قد إرتبطوا به حتى قبل مجيئهم للعمل بالدير.

فهؤلاء العمال يعتقدون أنه نظير عملهم وتضحيتهم فى مكان مثل هذا، فإن الله يبارك لهم فى جميع أمور حياتهم، كأن يعطيهم الصحة أو يحفظ بيوتهم من المخاطر، أو يشفى أولادهم وأقاربهم المرضى. وهم يشعرون أن عملهم نوع من القرابين له. وإن كان أغلب هؤلاء العمال غير متعلمين.

ويقوم أحد الآباء بتوزيع الأعمال عليهم يومياً وهى إما الزراعة، المبانى، الماشية، والآلات حسب احتياجات الدير، والبعض منهم يعمل فى الخبيز وفى نظافة الدير. وتختلف مدة العمل تبعاً لرغبات الشخص، فبعضهم يستمر فى العمل لمدة أربعين أو ستين يوماً متواصلة، وقد تصل أحياناً لمدة سبعون يوماً، يمنح بعدها أجازة أسبوع أو أسبوعين أيضاً لكى يتفقد أحوال أسرته. وإن كان الدير يفضل أن يمنح المتزوجين منهم أجازة على فترات متقاربة وقصيرة حتى لا يتغيبوا عن أسرهم كثيراً، ولكى لا يبتعدوا عن أولادهم، وبالتالى يتمكنون من رعاية أسرهم من الناحية المادية، والنظر فيما يختص بالأمور الاجتماعية.

- روافد العمالة:

يتراوح عدد العمال ما بين ٥٠-١٠٠ عامل أحياناً حسب متطلبات العمل. وأغلب العمال يأتون من أنفسهم بدون تعاقد سابق مع مقاول أو صاحب عمل، فهم يأتون عن طريق جيرانهم وأقاربهم وأصدقائهم الذين سبق لهم العمل بالدير كما ذكرنا فروابط الجوار وعلاقات القرابة القوية والصداقة هى التى تجمعهم للعمل بمنطقة الدير.

أما المقاولين الذين يتم التعاقد معهم على القيام بعمل معين، قد يتعطل

عمل الدير أحياناً فى ناحية معينة، نظراً لغياب المقاول لإرتباطه بعمل آخر فى المدينة. والدير لا يدقق كثيراً فى هذه الناحية، لأنه يفضل أن يستمر مع المقاولين الذين تعودوا العمل بالدير مهما كانت مدة التأخير. وإتضح من الدراسة الحقلية أن الدير يمكن أن يركز عماله فى الناحية التى تحتاج إلى عمل سريع، ويؤجل عمل آخر، فلا مانع من الإنضمام إلى عمال البناء بدلاً من الانشغال فى حفر ترعة صناعية مثلاً أو عمل يمكن أن يؤجل.

- الخدمات التى يقدمها الدير للعمال:

فى حالة قيام بعضهم بعمل معين لمدة ساعات إضافية أكثر من العمل المقرر يمنح العامل أحياناً مبلغاً نقدياً "بركة" بالاضافة إلى زيادة ساعات العمل التى يسمونها "سهرات" ولها حساب خاص، يصرف عادة فى آخر المدة، بالإضافة إلى ما يوفره الدير لهم من المسكن والمأكل، فيشعر بأنه أخذ بركات كثيرة عندما يحصل على أجازة.

ويقدم الدير الخدمات الطبية المجانية إذا مرض أحدهم، فيقوم بالكشف عليه راهب "طبيب بشرى" ويصرف لهم العلاج من "صيدلى الدير" وهو راهب أيضاً، وتوزع عليهم فى الأعياد ملابس فيأخذ كل فرد قطعة من القماش، كما يوزع عليهم قداسة البابا ورئيس الدير مبالغ نقدية فى المناسبات المختلفة كالأعياد، أو بعض الأغطية فى الشتاء لأسرهم فى الصعيد. هذا من الناحية المادية.

أما من الناحية الروحية فيقوم أحد الآباء بإرشادهم وتوجيههم روحياً، للقضاء على أية عادات خاطئة أو تصرفات غير لائقة، إذ قد يسلك أحدهم سلوكاً خاطئاً وفى الغالب يكون ناتج عن الجهل بالسلوك السوى، وليس عن عمد، فيرشده الأب إلى ما يجب أن يكون بإسلوب هادئ وبسيط، ومن أمثلة ذلك قد يكون بعض العمال قد تعودوا فى سهراتهم الليلية على نوع من الغناء والضجيج

لا يتفق مع هدوء الدير، وقد يكون بعض العمال فى مزاحهم بعض الشتائم غير اللائقة بحكم تعودهم، أو يلجأون إلى نوع من الضرب فى المـزاح، كـل هـذا ينصحهم الدير بتركه.

ولذا نرى عمال الدير يتميزون بخلق خاص ويتدربون علـى الصـوت المنخفض، وعلى حسن التعامل مع الآخرين، ويمتنعون عن الشتائم، وإن كانـت هناك خلافات فهى بسيطة ولا تذكر ويمكن حلها بالإرشاد الروحى وتنتهى جميع الخلافات. وبمرور الوقت يعتادون على التمسك بالقيم والمعايير الدينية فى كـل تصرفاتهم وأحاديثهم. وأيضاً يبتعدون عن الألفاظ غيـر المهذبـة، وإن أخطـأ أحدهم يعتذر للآخر، ولاحظت أن العمال كثيراً ما يرددون "أخطيت سـامحنى" كما يقول الآباء بعضهم لبعض.

وعند منح العامل أجازة، يمنح أيضاً بعض الصور الدينيـة أو الزيـت المصلى عليه أو القربان "كبركة". وعلى الرغم من صغر حجم هذه العطايا، إلا أنها تمثل قيمة كبيرة جداً فى نظر العامل. لأنه يقوم بتوزيعها على أفراد العائلة والأقارب والجيران، ويأخذ كل منهم نصيبه منها كنوع من "البركـة" التـى لا تقدر بمال.

ومن هذا يتضح دور الدير فى إبعاد الأفراد عن العادات غير النافعة كأن يحضر أحد العمال إلى الدير للعمل به وقد تعود التدخين، فلا يفرض عليه الـدير التخلى عن هذه العادة قهراً، ولكن بمجرد وجوده فى مجتمع لا يوجد فيه أحـد يمارس تلك العادة، يخجل من نفسه ويحاول تدريجياً التخلى عنها شيئاً فشيئاً.

فالدير وإن كان يعمل على التمسك بالقيم السلوكية عن طريق الـزوار، وعن طريق بيوت الخلوة، فهو أيضاً ينشرها عن طريق العمال الـذين يعملـون بالدير، وعلى الرغم من أن الدير لا يستطيع أن يجعل كل الناس، بـل الـبعض منهم يتخلصون من بعض العادات غير الطيبة، وإن كان لا يسـتطيع أن يطبـع

الجميع بنفس سلوك الرهبان بالدير، إلا أنه يتمكن فقط من أن يترك بعض السمات أو بعض الآثار الحسنة التى تظهر فى سلوكهم العام، وقد يكون لوضع الدير فى مكان منعزل فى الصحراء، أثر فى ذلك إذ يبعد عن كل مظاهر اللهو وأى مجالات للإنحراف.

٣ – ويمكن أن نلخص الخدمات التى تقدمها الأديرة للمسيحيين وغيرهم فى النقاط التالية:

– خدمات داخل الدير وخارجه:

١ – ففى داخل الدير توجد خدمة الضيافة التى تقدم للزوار العاديين والمقيمين سواء داخل الدير أو فى بيت الخلوة وهى ضيافة كاملة من جهة الخدمة والطعام والإشراف الإدارى وراحة الضيوف من كل النواحى.

٢ – كذلك الخدمة التى تقدم للسواح من جهة إرشادهم إلى معالم الدير الأثرية والتاريخية والإجابة على استفساراتهم وتوفير أسباب الراحة لهم. وهذا يستلزم وجود بعض الرهبان على دراية باللغات الأجنبية.

٣ – الإرشاد الروحى الذى يقدم لطالبى المشورة ولمن يقصدونه أو يقيمون فى الدير بعض الوقت.

٤ – العناية بعمال الدير وأصدقائه الذين يقومون بالعمل فى أنشطة الدير المختلفة.

٥ – يستلزم كل هذا القيام بأعمال إنشائية كأبنية وصالات لإقامة الزوار والضيوف مع ما يلزمها من الماء والنور ودورات المياة .... إلخ.

٦ – العناية الكبيرة التى يقوم بها الدير فى عيد قديسه وإستقبال آلاف من الناس خلال تلك الفترة وتوفير الراحة لكل هؤلاء.

٧ – العناية التى تقدم للكهنة الجدد الذين تنص القوانين الكنسية على

إقامتهم ٤٠ يوماً فى الدير قبل خدمتهم، لتلقينهم الطقوس الكنسية وقضاء فترة روحية للخلوة لإعداد أنفسهم للخدمة.

٨- أما خارج الدير فخدمة الدير للكنيسة هى فى تقديم بعض الرهبان لخدمة الكنائس سواء داخل القطر المصرى أو لخدمة الكنيسة القبطية فى المهجر أحياناً.

٩- تقدم الأديرة الأساقفة الذين يكونون الرئاسة الكنسية فيما يعرف باسم الإيبارشيات، والإيبارشية هى منطقة كنسية يرأسها أسقفاً أو مطران وأحياناً تطلق على إحدى المحافظات وأحياناً تشمل جزء من محافظة (مركز أو عدة مراكز).

١٠- بعض الأديرة تقدم مطبوعات من إنتاجها الفكرى، كما فى دير أنبا مقار الذى يقوم بطبع بعض الكتب الدينية فى مطبعة خاصة داخل الدير وكذلك دير مارمينا حالياً.

١١-الدير يقدم خدمة لوطنه عن طريق تعمير أماكن صحراوية واستصلاح بعض الأراضى البور.

وقد كان دير السريان هو أول من قاد استصلاح الأراضى فى وادى النطرون منذ حوالى أربعة وثلاثين عاماً،(*) وتبعته بقية الأديرة فى هذا، وبرز دير أنبا مقار فى ذلك. وهذا لا شك يزيد من القيمة الاقتصادية للمنطقة.

١٢- أيضاً أعمال التعمير تقوم بتشغيل العديد من الأيدى العاملة مع تقديم ما يلزمها من مسكن وغذاء وكافة لوازم المعيشة أثناء الإقامة فى الدير.

---

* - فى توقيت الدراسة التى انتهت عام ١٩٨٠.

الفصل السادس

الأنثروبولوجيا الدينية

الفصل السادس

الأنثروبولوجيا الدينية

فى خلال أوائل ومنتصف القرن التاسع عشر اهتم علماء الأنثربولوجيا بدراسة الدين أثناء قيامهم بدراسة المجتمعات البدائية فى أفريقيا. وقد لاحظوا التنوع الهائل للأشكال الدينية والسلوك الدينى نتيجة لعزلة تلك المجتمعات بعضها عن البعض فترات طويلة من الزمن، إلى أن أتى عصر الاستعمار. وكان أهم ما تتميز به هذه الديانات البدائية فكرة الوجود والخلق.

كما بذل بعض العلماء جهوداً من أجل تحليل دور الدين فى المجتمع[1]، مما ساعد على استكمال البحث. ومن أهم هؤلاء إميل دوركايم، ماكس فيبر، جورج زيمل، كما أن وجود الدين واستمراره فى أشكاله المختلفة أجبر العلماء أخيراً على إعادة الأولوية لفهم وإدراك طبيعة ووظيفة الدين.

وتذكر الموسوعة العالمية للمعارف والعلوم الاجتماعية[2] أن الدراسة الأنثروبولوجية للدين لها أهميتها الكبيره فى توضيح الفكر العام والجو الأخلاقى للزمن الذى نعيش فيه.

---

1 - Ronald L. Johnstone; Religion and Society in Interaction Prentice-Hall INC., Englewood Clibs, New Jersey, 1975. P. P. 1-24.

2 - Clifford Geertz; International Encyclopedia of The Social Sciences; "Religion: Anthropological Study" Collier Macmillan Vol. 13-14 1972.

ملحوظة: هذا الفصل موضعه فى الرسالة الفصل الأول ونظراً لكونه يخص الدارس فى الأنثروبولوجيا وربما لا يهم القارئ العادى لذا فضلنا وضعه أخر فصل بالكتاب لمن يرغب فى الإطلاع عليه.

والأبحاث التى قام بها إدوارد بيرنت تايلور كانـت تخـص المعتقـدات والشعائر الدينية التى لها صفة القدم بالنسبة للقاطنين فى أماكن نائية، أو للناس البسطاء، "البدائيين"، ومن نتائجها يظهر تعرف الانسان على ذاته، وقد كانـت هذه الأبحاث الأولية عن البدائية غريبة وشاذة وأيضـاً مـدعاة للتسـلية، ثـم أصبحت دراسة الديانات البدائية فى مركز الصدارة، وبالطبع هى غيـر مقترنـة بالديانات التى لها مركزها واعتبارها بالنسبة للمدنية المتقدمة.

وقد اختلف العلماء فى تعريف الدين، ولكنهم لم يختلفوا فـى وجـوده، فهناك إجماع على قدرة الدين فى مختلف الشعوب والجماعـات، سـواء كانـت بدائية أو متحضرة. وهذا الأمر استمر على مدى العصور من عصـر مـا قبـل التاريخ حتى الآن، مما يدل على أن له قاعدة ثابته فى أعمـاق البشـر، بحيـث أصبح الخروج عن هذه القاعدة هو الوضع الشاذ.

فقد أجمعت الآراء على وجود قوة خفية تسيطر على الكون سواء كانت قوة منفردة، أو قوى متعددة، أو قوة لها أشكال متعددة. هذه القوى لها علاقات بالبشر والبشر لهم علاقات بها، تتمثل هذه العلاقات فى مشـاعر الخضـوع، أو الرهبة أوالخوف، فى المناجاة أو التخاطب أو التخاطـب بمـا يسـميه الـبعض التضرع أو الصلاة أو الابتهال. مع قيام بعض الممارسات والشعائر منها تقـديم القرابين أو الذبائح، أو إقامة الأعياد أوالمواسم.

وتقول دائرة معارف العلوم الاجتماعية أن البوذيين والبراهميين الأوائل هم صورة أو مثال ممتاز للأديان التى أخذت بوجود قوة خارقة للطبيعة. بـدأت كفكرة قوة مجردة ثم فى مراحل تطورهم أخذوا بفكرة الإله المتشخص.[1]

---

1 - Bertholet, Alfred; Encyclopedic of the Social Sciences; Vol. 16 P.229.

أما عن تعريف الدين فلا يوجد موضع اختلفت فيه الآراء كما اختلفت حول طبيعة الدين. ومن الصعب الوصول إلى تعريف يكون مقبولاً من الجميع.

وهذا ما يؤكده بيتر ل. بيرجر إذ يقول أن التعريفات بطبيعتها لا يمكن الحكم بأنها صادقة أو غير صادقة. لكن يمكن مناقشة فائدتها النسبية فقد يكون تعريف منها أكثر فائدة من غيره.[١]

ويقول ألفريد برسوليت أن مشكلة التعريف المحدد والواضح للدين مشكلة معقدة، ولكننا فى وجود الفاصل بين ما يدخل نطاق الدين وغير الدين، نجد بعض الثقافات مثل ثقافة البولينيزيا والميلانيزيا تميز بينهما تميزاً واضحاً بين الشئ العادى أو الدنيوى Profane، والتابو Tapu وغير العادى أو الغامض الذى تمثله قوة أو قوى موجودة، ولا يستطيع الشخص السيطرة عليها بل هى قادرة أن تؤثر فيه وفى حياته ولا يستطيع الهروب من مخاطر هذه القوى.[٢]

ويستطرد فى قوله بأنه يمكننا أن نضع تعريفاً مبدئياً للدين "على أنه العلاقات المعقدة بين الانسان والقوى الخارقة غير البشرية، فالدين كما عرفه C.A.B. Beroulli " ليس هو نشاطاً ذاتياً مستقلاً للانسان، ولا اظهاراً للروحانية الانسانية من جانب واحد، ولكنه يحمل فى طياته عملية تفاعل حيوى وعكسى بين الانسان والقوى الخارقه أو الفائقة للطبيعة.

وبينما اختلفت الآراء حول تعريف الدين، إلا أن عباس محمود العقاد يرى أن علماء المقارنة بين الأديان اتفقوا على تأصل العقيدة الدينية فى طبائع بنى الانسان منذ أقدم أزمنة التاريخ، ولكنهم لم يتفقوا على أصل العقيدة أو أصل

---

1 - Peter, L. Berger; The Social Reality of Religion; Penguin Books, 1973. P.p.177.

2 - Bertholot, A.; Encyclopedia of Social Sciences; "Religion" Op. Cit. P.p. 228-229.

الباعث إليها.[1]

من هذا يمكن القول أنه لا يوجد تعريف مطلق، كما لا نستطيع أن نحدد مفهوم الدين فى فكر كل فرد. ولذا سنحاول أن نعرض بعض الآراء فى تعريف الدين دون محاولة تقييم تلك التعريفات أو الحكم عليها.

يرى فريزر أن الدين قد بدأ بظهور فكرة الآلهه، أو ظهور فكرة أرواح الأفراد، أو أرواح الطبيعة، أما فيما يختص بطقوس البدائيين التى تقوم على وجود قوة خفية وغير شخصية فيرى أنها ترجع إلى السحر وليس إلى أى عنصر دينى. وهو يعرف الدين بأنه "التزلف والتقرب إلى القوى العليا التى تفوق الانسان. والتى يعتقد أنها توجه سير الطبيعة وسير الحياة البشرية وتتحكم فيها".

وبهذا يتكون الدين من عنصرين أحدهما نظرى، وهو الإيمان بوجود قوى أعلى وأسمى من الانسان، والثانى عملى هو استمالة هذه القوى وارضاؤها ولكنه يرى أن لم يترتب على هذا الإيمان قيام شعائر وممارسات متعلقة به فلا يكون ديناً بل يكون مجرد لاهوت.[2]

ورالف بيلز وهارى هويجز يقولان أن كثيراً من النشاطات اليومية تكون عرضه للفشل لنقص المهارة وقلة المعرفة، وحينما يصعب تفسير الفشل أحياناً، يفسر على أنه نتيجة لقوة علوية وهذا هو الدين.[3]

---

1 - عباس محمود العقاد: الله "نشأة العقيدة الإلهية، دار المعارف بمصر، طبعة ثالثة، الفصل الأول، ١٩٦٠، صـ ٢٣-٢٩.

2 - جيمس فريزر: الغصن الذهبى، ترجمة أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية، ١٩٧١، ج١.

3 - رالف بيلز وهارى هويجز: مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة، ترجمة محمد الجوهرى وآخرين.

أما وستر مارك فهو يعزو الدين إلى إيمان الشخص وموقفه السلوكى من كائن أسمى من الطبيعة يشعر الانسان بحاجته العظمى إلى معونته، فيتجه إليه بروح الخشوع والتعبد.(١)

نخلص من هذا أن هؤلاء العلماء أطلقوا على القوة التى تدير الكون ألقاب وأسماء مختلفة مثل قوة علوية، كائن أسمى من الطبيعة، أو قوى عليا تفوق الانسان. أما ماكس مولر فيسمى هذه القوة العليا "اللانهائى" ويقول عن التأمل الباطنى أنه "الشعور باللانهائى" بينما يقول عنه شليومارشر "خضوعنا لوجود لا يناله إدراكنا".(٢)

ويرى دوركايم أن الدين وحده من المعتقدات والممارسات وأن جميع المعتقدات الدينية تقوم على أساس تصنيف الأشياء إلى نوعين دنيوى ومقدس ويسمى تلك القوة الخفية بالشئ الخاص أو المقدس.(٣)

وفى كل الانساق الدينية، كثير من الناس ينظرون إلى هذا الشئ المقدس أو الفائق للطبيعة على أنه تلك القوة أو الكيان الذى لا يعتبر موضوعاً يخضع لقوانين الملاحظة الكونية أو العالمية، والتى تتمثل فى الله أو أى عدد آخر من الآلهه، أو الشياطين أو أرواح الأسلاف.

ويذكر محمد عبد الله دراز أن الدين "وضع إلهى يسوق ذوى العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح فى الحال، والفلاح فى المال" كذلك يقول أنه "جملة القوانين النظرية التى تحدد صفات تلك القوة الإلهية وجعله القوانين

---

1 - عزت زكى: الأخلاقيات فى محيط الفكر والديانات، دار الجيل للطباعة، ١٩٧٤، صـ٢٥.

2 - روجيه باستيد: مبادئ علم الاجتماع الدينى، ترجمة محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥١، صـ٢٣-٢٩.

3 - E. E. Evans Pritchard; Theories of Primitive Religions; Oxford University Press, London. 1966. P. 57.

العملية التى ترسم طريق عبادته"[1] والغربيون أيضاً يرون أن هذه القوى هى الله، وهذا هو معتقد كل الديانات السمائية.

نخلص من ذلك أن جميع العلماء اجمعوا على وجود قوة خفية لها السيطرة، ولها الخضوع من البشر والعباد. وإن كانت أراؤهم تنوعت فى تعريف أهمية هذه القوة الخفية التى تحكم الكون والتى يسميها المتدينون الله، وتطلق عليها العبادات البدائية أسماء أخرى أو تراها ممثله فى كثير من الآلهه. فهذه الآلهه تتصف بصفات معينة، وهى أنها غير مرئية وغير منظورة، وإدراكها فوق الفهم البشرى، وقادره على كل شئ، موجوده فى كل مكان، تقدم المعونة للانسان ويتوجه إليها الناس بالعبادة إما خوفاً منها أو حباً فيها، وقد دخل السحر فى بعض الديانات كوسيلة للتقرب منها.

ورونالد جونستون يحاول أن يضع تعريفاً يتفق مع ميول معظم الناس عن الأديان فيقول أنها "نسق من المعتقدات أو الممارسات التى بها تفسر جماعة معينة من الناس ماتشعر به من أمور مقدسة وخارقة للطبيعة". وهو يقول أن البعض يعتقد أن الدين مجموعة رسائل محددة من إله أو معبود.[2] غير أننا نقول أن هذا جانب واحد فقط من الدين أما الجانب الآخر هو مدى استجابة البشر لهذه الرسائل.

أما خلاصة التصور الدينى عند **Luckmann** فهو قدرة الكائن العضوى على تجاوز طبيعته البيولوجيه من خلال البناء الذاتى واضعاً فى عقله كل المعانى الكونيه التى يؤمن بها.[3]

---

1 - محمد عبد الله دراز: <u>الدين</u>، مطبعة السعادة، ١٩٦٩، صـ ٢٧-٥٠.

2 - Ronald L, Johnstone; <u>Religion and Society In Interaction</u>; Op. Cit.

3 - Peter L. Berger; <u>The Social Reality of Religion</u>; Op. Cit.

ويمكن القول أنه مهما تعددت الآراء فى تعريف الدين، فإنه على أيه الحالات هو خلاصة ما أجمعت عليه تلك التعريفات فهو "المعتقدات الخاصة بالله، أوالقوى الخفية التى تدير الكون، صفاتها وأسماؤها، علاقتها بالبشر وعلاقة البشر بها. والقواعد المتبعة فى إرضاء هذه القوى الخفية، قم أيضاً الحياة وما بعدها أى الموت. وما يصحب ذلك من ممارسات وطقوس".

وعلى الرغم من تعدد الآراء فى تعريف الدين، إلا أن <u>هناك سمات مشتركة أجمع العلماء على وجودها فى جميع تلك الديانات وهى:</u>

- <u>الدين سمة فردية وظاهرة جماعية:</u>

من المؤكد أن الدين هو حدث أو موضوع فردى، باعتباره يشكل موضوع المعتقدات الشخصية البحته التى يؤمن بها الفرد، فالأفراد لهم حرية اعتناق أى نظام دينى يفضلونه. ولذا يرى رونالد جونستون أن الدين له بعداه الجماعى والفردى[1].

ويلاحظ أن الناس عبر التاريخ وفى كل أنحاء الكرة الأرضية ينضمون إلى أية حركة دينية سواء إلى طائفه، أو مذهب أو اجتماعات صلاة، أو زيارة أماكن مقدسة، أو تجمعات طقسية، وأحياناً يلتف الناس حول شخص لديه خبره بالأمور الروحية والأسرار العلوية فينجذب إليه الآخرون، أراد أو لم يرد، ويصبح لهم قائداً أو زعيماً. حتى الحركات النسكية المنعزلة نجد النساك فيها ينتمون إلى بعض الجماعات الدينية الرئيسية كالبوذية، والرهبنة القبطية والكاثوليكية أو التصوف الإسلامى وهكذا.

فالانسان لا يمكن أن يكون كائناً بشرياً بعيداً عن التأثيرات الاجتماعية،

---

1 - Ronald L, Johnstone; Op. Cit.

وحتى فى موقف الرهبنة والعزلة فهناك نوع من التنظيم الذى يجمع بين هؤلاء المتوحدين.

والرهبنة أيضاً فى البداية هى تجربه فردية بالدرجة الأولى. فالراهب هو شخص معين، وليس كل المسيحيين، تدفعه دوافع إيمانية وسيكولوجيه واجتماعية وفلسفيه وحضريه، تجعله يتجه هذا الاتجاه، وحينما يدخل الشخص هذا المسلك، ويسلك هذا الاتجاه، يصبح خاضعاً للتنظيم الجماعى، وهذا يتفق مع ما قاله جونستون من أن للدين بعديه الجماعى والفردى.

وعلى الرغم من أن الرهبنة ظاهرة اجتماعية، بمعنى أن هناك مجموعة من الأفراد تجمعهم رابطة معينة، تفرض عليهم القيام بمجموعة من الممارسات المتماثلة التى تخذ صورة الانفعالات. إلا أنها تجربة فردية من حيث الانفعال بهذه القيم، أى لا بد من وجود الدافع الذاتى أو المبادرة الذاتية نحو الانتماء أو الانخراط فى هذه العبادات.

ونجد أيضاً دوركايم يرى الدين كظاهرة اجتماعية موضوعية، يعتمد على التفكير الفردى والعقل الفردى. فالدين عنده فكر وشعور، وهو فى هذا ظاهرة فردية، ولكنه أيضاً ظاهرة اجتماعية موضوعية.

والذى يعطيها هذه الموضوعية ثلاثة أشياء:

١- تناقلها وتواترها من جيل إلى جيل. فإذا كانت هى نظرية فردية أو فكرة فردية أو اقتناعاً فردياً، فإننا نجد أن ما يتقبله شخص ما، قد يكون بعيداً عن تفكير شخص آخر. ولكنه شئ يوجد قبل ميلاد الفرد، وسيظل بعد وفاته، ويكتسبه تماماً مثل اكتسابه للغة. وهذا لأنه ولد فى هذا المجتمع.

٢- شيوع المعتقدات الدينية والممارسات الدينية وتجمعها بين أفراد عديدين يعطيها هذه الموضوعية، وأيضاً يضعها فى المرتبة الأولى فوق كل

الخبرات السيكولوجية لأى من الأفراد أو لكل الأفراد.

٣- إنها شئ إجبارى. فالدين يتصف بالعمومية، فهو فى المجتمعات المغلقة يكون إجبارياً. فالانسان ليس لديه أى اعتراض فى أن يتقبل ما يعتنقه الجميع، وليس لديه حرية الاختيار تماماً كما ليس لديه الاختيار فى قبوله اللغة التى يتكلمها. حتى لو كان هذا الشخص من أهل الشك والارتياب، فإنه يعبر عن شكوكه فى عبارات وتعبيرات معتقدات المحيطين به. وإذا ولد فى مجتمع مختلف، فسوف يكون له بعض المعتقدات المختلفة تماماً، مثلما سوف يكون له لغة مختلفة. فالدين له صفة الالزامية.[١]

والدين حقيقة اجتماعية -ظهرت من طبيعة الحياة الاجتماعية نفسها- وله ارتباط بحقائق اجتماعية أخرى مثل القانون- الاقتصاد الفن وغيره، والتى انفصلت عنه بعد ذلك وأصبحت مستقلة بذاتها. وهو الطريق الذى يرى فيه المجتمع ذاته، وبه أيضاً يحافظ على ترابطه ووحدته.

- <u>السمة الثانية</u>: <u>يهتم الدين بما هو مقدس وفائق للطبيعة</u>:

الخاصية الثانية هى تضمنه واحتوائه بما يعرفه دوركايم بأنه "مقدس"،[٢] أو كما يتحدث **Rudolf Otto** عما يسميه بالمقدس والمقدسات الأخرى **Wholly Others** وهناك اتجاه عام للدين بأنه يعبر عن الرهبنة والخوف والتقديس بالنظر إلى أشياء معينة، كائنات معينة، مواقف، ويميزها دوركايم عن غيرها من الأمور العادية أى الدنيوية **Mundane** أو العالمية ومن أمثلة هذه الأشياء أو الكائنات التى ينظر إليها بنوع من التقديس نجد أن يهود العهد القديم يخلعون أحذيتهم عند دخولهم المعبد، وكثيراً من المسيحيين

---

1 - E. E. Evans Pritchard; <u>Theories of Primitive Religions</u>; Op. Cit.

2 - Ronald L. Johnstone; Op. Cit.

يرشمون الصليب عندما يصلون إلى الله، والهنود يعطون البقر حق المرور، والمسلمين يحجون إلى مكه، والهنود الأمريكيون يتجنبون إنتهاك الأرواح الأرضية المقدسة، ومثل هذا السلوك كله يعبر عن قبول أوإعتراف بمكان مقدس، أو موقف مقدس. وأثناء هذا يعرف الناس أنهم فى حضور أمراً أو شئ يفوق حدودهم وطبيعتهم. والذى يتطلب منهم تبنى اتجاهات معينة، والقيام بأفعال معينة، وربما يرددون كلمات خاصة معينة.

وتلك الاختبارات أو التجارب التى يعرفها الناس بأنها مقدسه، تختلف من حيث موضوعات ووسائل رهبتها وتقديسها وتبجيلها من مجتمع لأخر. فكل مجتمع لديه قائمة بهذه الأمور المرهوبة والأشياء والأحداث السرية الغامضة، والدين يقدم إجابات وتفسيرات لها. فالتعبير المناسب للغموض، والمقدس Sacred, Holy، والفائق للطبيعة Supernatural وعلاقة الانسان بكل منها، من هذا يتكون الموضوع الأساسى للدين.

والذى نعتبره مقدس هو كذلك لأن هناك قوة تفوق الطبيعة تلازمه أو نشاطاً يثير الإحساس والشعور بالخوف والرهبة إذا أحيط بموضوع مقدس، شخص، أو مكان أو موقف مقدس أى أن مفهومى المقدس والفائق للطبيعة، يظهران فى معظم المجتمعات متلازمين وغير منفصلين، عند التعريف بالدين.[1]

- <u>السمة الثالثة</u>: <u>يتضمن الدين هيكل من المعتقدات</u>:

يشمل هيكل من المعتقدات كتبرير لظاهرة "المقدس" و "الخارق للطبيعة" فكل دين رئيسى، لديه كتاب مقدس، أو كتب توضح الخطوط والقرارات الأساسية للمعتقدات التى تؤمن بها الجماعه. وبالإضافة إلى هذه الكتب المقدسة توجد كتابات أساسية أو رسمية مثل: التفسيرات والاستكمالات

---

1 - Ibid.

للآباء أو الائمة أو اللاحقين لمؤسسى الدين.

كما يوجد التقليد الشفوى، وهو التفسيرات غير المكتوبة، تأخذ شكل أساطير أحياناً، أو حكم وأمثال، تسلم إلى الأجيال الجديدة. وهذه المعتقدات من المحتمل أن تقع تحت مجموعة "المعايير والمقاييس"، التى قبلت بواسطة الجماعه. والمعايير لا توضح فقط كيف يتصرف أو يسلك أعضاء الجماعه، بل أيضاً توضح ما يمكن أن يؤمنوا به، وكيف يمكن أن يفسروا أو يحللوا الأشياء والأحداث.

- <u>السمة الرابعة</u>: <u>يتضمن الدين مجموعة من الممارسات الطقسية</u>:

يتضمن الدين مجموعة من الممارسات المحددة مثل القربان، اجتماعات الصلاة، الرقص من أجل نزول المطر، التضحية بالحيوان أو بالشخص، احتفال غسيل الأقدام، التغطيس فى الماء عند المعمودية. وكلها أمثلة لردود الفعل الخاصة بالمعايير.

ولا يوجد أى سلوك دينى أو تصرف دينى، بطبعه أو بالممارسة. إنما يصبح دينياً فقط إذا وصفته الجماعه بأنه "دينى"، فقد يرتدى الشخص روباً لمجرد الاحتماء من البرد، أو قد يكون للدلالة على رتبة الشخص الأكاديمية، أو للإشارة على أن الشخص رجل دين أو مقدس، أو مُرسل من الله.

والدين عموماً يؤثر على المعتنقين به، فى محاولة منه لجعلهم يسلكون سلوكاً معيناً وبطريقة محددة فى كل مكان، وفى أى وقت وفى جميع المواقف، وهذا ما تتضمنه المعايير والقيم الأخلاقيه.

وكما سبق أن رأينا دوركايم يرى أن الدين يتكون من جزءين الفكر والشعور، والشعور فى حد ذاته له دلالاته فهو يؤدى إلى أفعال محدده ينظر إليها كعلامات خارجية للاهتمامات العقلية والعاطفية، مثل وضع اليدين عن

الصلاة، تنكيس الرأس، السجود، إغلاق العينين.... إلـخ. أمـا مـن الناحيـة السيكولوجيه فتكشف عن نفسها فى الشعور بالانتعاش والدهشة والرهبة.

وهذا الشعور الدينى يختلف من فرد لآخر، ويظهر بسهوله ويسر لـدى بعض الأفراد وهم المتدينون الحقيقيون. ويمكن القول أن كـل النـاس نجـدهم تلقائياً متدينين فى النكبات، بنفس القدر والقوة التى يكون عليها الشعور الـدينى لدى المتدينين تلقائياً فى جميع المناسبات.

وترجع أهمية الدين إلى أنه يلعب دوراً كبيراً فى المحافظة على تماسك أعضاء المجتمع واستمرار البناء الاحتماعى فى الوجود، إذ أنه يؤدى وظـائف إجتماعية هامة. ويرى مونتسكيو أنه على الرغم من أن الدين قد يكـون غيـر حقيقى، ولكنه يحمل فى طياته كثيراً من الوظائف الاجتماعية النافعه. ونلاحـظ أيضاً تواؤمه مع نوعية الحكومة الموجودة والسائدة فى المجتمع وأيضاً حيـاة الناس وإسلوب معيشتهم.[١]

ويرى رالف بيلز أن الدين يقوم بوظائف اجتماعية تساعد على التقـدم والتماسك الاجتماعى وتكافل المجتمع. وتشبع الفرد من الناحية الانفعالية، نتيجة لإندماجه الكامل مع المجموعه، مما يترتب عليه الطمأنينـه التـى تنشـأ فـى المناسبات الدينية.

ويذكر ألفريد برسوليت فى دائرة معارف العلوم الاجتماعية، من الحـق أن نقول أن قوة الدين ما زال لها تأثيرها الفعال فى خلق التماسك والترابط بـين الفرد والجماعات الدينية. ويظهر عمل القائد الدينى المرهوب وارتباطه القـوى بالوسط الذى يعمل فيه. وهنا أيضاً تظهر أهمية الوسط فلا يسـتطيع مبتكـر أو مفكر دينى أن يتهكم على معتقدات أو يهدمها، بل اصـلاحاته يحـددها تمسـك

---

1 - E. Evans Pritchard; Theories of Primitive Religion; Op. Cit.

الناس بالتقليد العام. [١]

ويميز توماس ف. أوديا بين عدة وظائف للدين: [٢]

الأول: الدين يزود البشر بالمساندة والتعزية والمواساة عندما يحتاجون إلى التأييد العاطفى فى مواجهة الغموض والحيرة، كما يحتاجون إلى العزاء عندما يواجهون الإحباط، والتوافق مع المجتمع عندما يتغير، ويتحول وينتقل عن أهدافه ومعاييره. ففى حالة الفشل، وعدم القدرة على ملاحظة الطموح يزودهم الدين بمساعدة ومواجهة انفعالية هامة عن طريق الإبتهال والدعاء لما فوق، لمن بيده القضاء والقدر ومكافأة البشر.

ثانياً: يحدد الدين علاقة البشر بما وراء الطبيعة عن طريق شعائر العبادة، وبذا يحيط الانفعالات بسلام وطمأنينة، ومن خلال أوامره تنشأ المعتقدات والقيم.

ورالف بيلز يؤكد أن الدين له وظائف سيكولوجيه، تتعلق بالتخفيف من أنواع القلق والمخاوف، ويفسر علاقة الانسان ومكانته فى الكون وعلاقاته بالبيئة والحيوانات والنباتات وغيرها من ظواهر الطبيعة.

وعاطف وصفى يرى أن للدين وظائف سيكولوجيه مثل الشعور بالراحة النفسية والقوة، نتيجة للاعتقاد فى أن قوة غيبية عظيمة تساعد الانسان فى حياته وبعد مماته، وهذا يؤكده ايفانز بريتشارد فى إعطاء الراحة النفسية والشعور بالأمان وإعادة الثقة للوصول إلى حياة سعيدة، وهذه الراحة النفسية تخلق جواً مناسباً للقادة فى إقامة حكومات وتثبيت قواعد وعادات هذه الشعوب.

---

1 - Bertholet, A.; Encyclopedic of The Social Sciences; Op. Cit. P. 231.

2 - Thomas F. O, Dea; The Sociology of Religion; Prentice-Hall, Inc. 1966.

ثالثاً: يدعم الدين المعايير والقيم، مما يساعد على تأسيس المجتمع، والمحافظة على سيادة أهداف الجماعة فوق رغبات الفرد، ومع ذلك لا يوجد مجتمع يعيش فيه الأشخاص فى كمال بدون انحراف أو هفوات. وفى هذه الحالة يقدم الدين طرق طقسية يؤديها المذنب فى مقابل ذنبه، ويساعد الشخص على الانضمام والاتحاد بالجماعة، وبالتالى يساعد على تثبيت النظام ورسوخه. ويصبح الدين من أقوى الدعامات فى تكوين النظام الاجتماعى.

رابعاً: عن طريق اشتراك الأشخاص فى الطقوس الدينية والعبادة، يؤثر الدين على ادراك الفرد من يكون الانسان، وماذا يفعل؟ فهو يوسع إدراك الفرد ويوضح أهميته بالنسبة للكون وأهمية الكون بالنسبة له.

خامساً: يرتبط الدين بنمو ونضج الفرد. فالدين يقوم باثبات ذاتية الشخص فى جماعته، ومروره خلال مراحل العمر المختلفة المميزة بواسطة مجتمعه. ففى الطفولة يجب أن يتعلم درجات الثقة فى الآخرين، ثم عليه بعد ذلك أن يطور قدراته الوظيفيه واستقلال الذات وأخيراً يجب أن يتعلم القناعه.

من هذا يتضح أن الدين كظاهرة كونية اجتماعية له أهمية وظيفية بالنسبة للمجتمع وللفرد، فهو أحد التنظيمات البنائية الهامة المكونة للنسق الاجتماعى الكلى. وهو لا يشبه الحكومة والقانون الذى يهتم بفرض القوة، ولا يشبه التنظيمات الاقتصادية التى تهتم بالعمل والانتاج، ولا يشبه التنظيم العائلى الذى ينظم العلاقات بين من يرتبطون برابطة الدم. ولكنه يتداخل ويتشابك مع جميع النظم سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية يؤثر فيها ويتأثر بها.

أهم الاتجاهات والنظريات فى دراسة الدين:

تعددت الاتجاهات والنظريات فى دراسة الدين، وتميزت الدراسات

المبكرة بثلاث نزعات منهجية هى التطورية والوضعية والسيكولوجية. [١]

فكثير من دراسة الأفكار الدينية عند البدائيين ظهـرت تحـت عنـوان النظرية التطورية. وكان هناك إتجاهان فكريان:

– تفكير له طابع تاريخى يتتبع فيها الخطوات التى سار فيها التطـور، ودراسة المراحل الاجتماعية التى مر بها الانسان.

– الاتجاه الثانى فكرة الانتخاب الطبيعى. [٢]

وفيما يلى أهم هذه النظريات:

– نظرية المراحل أو قانون المراحل:

قال كثير من العلماء فى القرن التاسع عشر أن البشرية مرت بمراحـل ثلاث ولكنهم اختلفوا فى تسمية هذه المراحل. فنجد أوجيسـت كونـت أسـماها قانون الحالات الثلاث حيث ميز بين اللاهوتيه والميتافيزيقية والوضعية.

فهو يرى أن الفكر الانسانى تطور من المرحلة الثيولوجية سـادت فـى (مجتمعات بدائية وقديمة)، التى تفسر فيها الأحداث بارجاعهـا إلـى الأعمـال الخارقه للطبيعة، مرحلة ميتافيزيقية (عصور وسطى) تظهر فيها بوضوح تأثير قوة غير منظورة أو غيبية، حتى وصل إلى المرحلة الثالثة وهى الوضعية يكون فيها البحث عن تعليل للمسببات بطريقة علمية وعملية. [٣]

أما لويس مورجان فقد ميـز بـين الوحشـية الهمجيـة، والبربريـة

---

1 – بوتومور: تمهيد فى علم الاجتماع المعاصر، ترجمة محمد الجـوهرى، القـاهرة، ١٩٧٢.

2 - Clifford Geertz; International Encyclopedia of The Social Sciences; Op. Cit. Vol. P.398.

3 - Encyclopedia Britannica: Macropoedia: "Sociological Studies of Religion". Vol. 15.

والحضارة الحديثة وقسم كل مرحلة من هذه المراحل إلى ثلاث فترات هى الدنيا والوسطى والعليا.

ويرى فريزر أن التقدم العقلى انتقل من السحر إلى الدين إلى العلم فالسحر هو الشكل الأولى للفكر البشرى ولكنه غفل الربط بين الزمان والمكان.

وإن لم يكن فريزر قد وضع نظرية متكاملة وواضحة عن المراحل التى مر بها الانسان بنفس الدقه والوضوح كما عند العلماء التطوريين أمثال مورجان وتايلور.[1]

ويقول أحمد أبو زيد فى مقدمة كتاب الغصن الذهبى أن أهم العوامل التى دفعت علماء القرن التاسع عشر إلى اتباع المنهج التطورى هو ظهور كتاب داروين عن "أصل الأنواع". فنتيجة لذلك الكتاب ظهرت كتب كثيرة تبحث فى أصل الحضارة، أو أصل اللغة، والقانون أو الفقه أو أصل العائلة وهكذا.

وقد إفترضت كل هذه الدراسات وجود مراحل معينة بالذات مرت بها الحياة والنظم الاجتماعية فى تطورها.[2]

وتتلخص نظرية فريزر فى السحر إلى أن هناك مبدأين أساسيين يقوم عليهما السحر وهما أن "الشبيه ينتج الشبيه"، والمبدأ الثانى "استمرار التأثير المتبادل بين الأشياء المتصلة حتى بعد انفصالها بعضها عن بعض".

فالسحر مثلاً يقول أحياناً أن من يشرب دم ثور فإن قوة الثور تتحول إلى هذا الشخص، وهذا يدخلونه تحت سحر التشابه أو سحر المحاكاه، أيضاً

---

1 - Clifford Geertz; International Encyclopedia of The Social Sciences; Op. Cit. Vol. 13-14.

2 - جيمس فريزر: الغصن الذهبى، ترجمة أحمد أبو زيد. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. ١٩٧١، صـ ٩-٥٨.

مثال آخر أنه عندما تدق الطبول تتكون وتتولد البروق والرعود.[1]

أما دوركايم فى دراسته للتطورية يأخذ فى اعتباره البحث عن الأسباب والعلاقات التى تربط الظواهر هنا بالعوالم الأخرى مثل الصور والمقدسات ومنها المانا، والطوطم، والاله.

ونجد جون لوك نادى بنظرية نشأة وارتقاء الأديان، وهى تحاول توضيح طريقة نشأة وتطور وارتقاء الأديان، وتبدأ بانعدام فكرة وجود دين، ثم ظهور المعبودات، وبعدها عبادة الطبيعة ثم الطموطية ثم الشامان يليها تعدد الآلهه، ثم إله أكبر مسيطر على جميع الآلهه وأخيراً عبادة الإله الواحد.

وقد واجهت المدرسة التطورية كثيراً من الانتقادات التى وجهها إليها[2] العلماء الأمريكين التابعين لمدرسة بواز، فهم يوجهون نداء إلى النظرية التطورية لكى تصبح مدخلاً لدراسة ظواهر وعادات القبليين، لأنها تبحث عن دراسة معتقدات البدائيين الموجودين حالياً وتتتبع هذه المعتقدات لمعرفة أصلها والتساؤل هل توجد عبادة إله واحد عند البدائيين.

وجد الفكر التطورى مقاومة عامة من العلماء الوضعيين وبالأخص ضد المتحدثين عن البعد التاريخى. أما المدخل السيكولوجى للدين فقد تنوعت الآراء إلا أنها ترجع إلى الأصل الذى تكلم عنه فرويد فى أن الممارسات الدينية يمكن وصفها على أنها تعبير على أنها قوة سيكولوجية غير واعية.

- المبدأ الحيوى أو الانيميزم عند تايلور:

اهتم كل من تايلور وسبنسر بتفسير نشأة الدين. فهما يعتقدان أن فكرة

---

1 - Clifford Geertz; Op. Cit. P. 400.

2 - Clifford Geertz; International Encyclopedia of The Social Sciences; Op. Cit. Vol. 13-14.

الروح كانت السمة الأساسية فى المعتقدات الدينية. وأنهـا نشـأت فـى عقـل الانسان البدائى، وأن الناس توصلوا لفكرتهم عن الـروح مـن خـلال سـوء تفسيرهم للأحلام والموت. ومن هذا يتضح أن الاتجاه الذى كـان سـائداً فـى دراسة الدين والسحر هو الاتجاه التطورى الذى سيطر على الانثروبولوجيين فى القرن التاسع عشر. وكثير منهم كان يرى الرجل البدائى لا يعرف الدين إلا فـى مرحلة متأخرة من حياته، فتايلور يرى أن فكرة الله لم تظهـر إلا فـى مرحلـة متأخرة من تاريخ البشرية بعد تطور طويل فى التفكير الحيـوى أو الأنيميـزم. وحاول تايلور أن يتخيل تلك العقلية البدائية فـى تفكيرهـا، فالانسـان القـديم استرعت إنتباهه بعض الظواهر مثل الأحلام والرؤى واليقظة والنوم والمـوت، ولذا حاول أن يفسرها عن طريق المماثلة بين الانسان وبين الكائنات. إذ اعتقـد فى تقمص الأرواح كل قوى الطبيعة ومظاهر الكـون. ونظـر إليهـا ككائنـات مشخصة حية كالانسان ولها نفس القدرات والانفعالات والدوافع الموجودة لـدى الانسان. وأصبح العالم المحيط به سواء من حيوان ونبات وجماد ملئ بعـدد لا نهاية له من الأرواح.(١)

ويذكر أحمد أبو زيد أن كثير من العلماء أخطأوا فى فهم نظريـة ليفـى بريل عن الرجل البدائى حيث اعتقدوا أنه يقصد الرجل البدائى عاجز عن التفكير المنطقى. ولكن الحقيقة أن النظريات الحديثة أثبتت أن الرجل البدائى كان يفكـر بطريقة منطقية بالنسبة له ولظروف حياته وبالنسبة للبيئة التى يعيش فيها.(٢)

وتتلخص نظرية تايلور فى أن الشكل الأولى الـذى تطـورت عنـه بـاقى الأشكال الموجودة هو المبدأ الحيوى وهو المبدأ الأساسى وهو يتركز فى عبادة

---

1 – أحمد أبو زيد: مقال "نظرة البدائيين للكون" دراسة فى الانثروبولوجيا المقارنـة، مجلة عالم الفكر، الكويت، صـ ٥٤.

2 – جيمس فريزر: الغصن الذهبى، ترجمة أحمد أبوزيد، صـ ٤٧.

الأرواح.[1]

والتعريف البسيط للدين عند البدائى هوالاعتقاد فى وجود كائنات روحية. إذ كانت فكرة الروح تستخدم لتفسير أكثر الظواهر وأحداث الطبيعة التى كانت تحدث فى القديم. حتى أن كل الأشجار والصخور كانت تتقمصها أحد هذه الأرواح أو الأشباح. وأن الصورة أو الشكل النهائى لتطور فكرة الاعتقاد فى الكائنات الروحية هى ما يظهر فى فكرة تعدد الآلهه أولاً ثم أخذت شكل إله واحد.

وقد ظهر فى القرن التاسع عشر عدد من العلماء الذين درسوا الدين بنفس طريقة كونت وتايلور وسبنسر، فماركس يرى أن الدين نشأ نتيجة للخوف والقلق اللذين أثارتهما الظواهر الطبيعية، والدين لا يزيد عن أن يكون وهماً ومصيره الاختفاء والزوال. وعلى الرغم من ذلك لم يغفل ماركس الدور الذى يلعبه الدين فى الضبط الاجتماعى. وقد تأثر فريزر بكل من النظرية التطورية والفلسفة الوضعية فأقام تفرقة بين السحر والدين، فالسحر يؤكد سيطرة الانسان على العمليات الطبيعية (أى أنه قانون طبيعى وموجه للسلوك)، أما الدين فهو الإيمان بقوى أعلى من الانسان ومحاولة التقرب لها وارضاؤها. ونتيجة لنظرية "تايلور" أن فكرة الله ظهرت فى مرحلة متأخرة، أصبح عدد كبير من العلماء أمثال فريزر فى كتابه "الغصن الذهبى" يرون ظهور السحر أسبق على ظهور الدين. ولما كانت بعض الأغراض لا تتحقق عن طريق السحر أدرك الناس أن هناك قوى أخرى لا يمكن اخضاعها ويجب التقرب لها. ومن هنا ظهر الدين.

ويقول ألفريد برسوليت أن فصل السحر عن المجال العالم للدين، من الصعب تحقيقه لأنه من الواضح أن السحر هو حجر الزاوية فى تاريخ الديانات.

---

1 - Clifford Geertz; International Encyclopedia of The Social Sciences; Op. Cit. Vol. 13-14. P. 339.

ويضرب مثلاً لذلك أن شعائر التطهير فى عبادة أبولو هى سحر محض.(١)

ولكن الفرق الجوهرى بين الدين والسحر هو أن السحر يتضمن بعض العمليت الأتوماتيكية الجوهرية، فى حين أن الدين الخالص الخالى من السحر يرتكز على الإرادة الصالحة أو الشريرة للآلهه كعامل مستقل له سيادته.

ولا يمكننا أن ننكر أن السحر الأسود على الرغم من أنه كاد ينقرض نتيجة للتمدين والاستنارة إلا أنه انحرف عن ديانة رسمية قوية لها نظمها وتمارس شعائرها.

وهذا يتفق مع موقف فريزر فنظريته عن السحر هى نظريته فى موقف الرجل البدائى من العالم ومن الكون المحيط به، ونوع العلاقات المتبادلة بين الانسان وبين بقية الكائنات والظواهر الطبيعية فى الكون. ويميز فريزر بين نوعين من السحر أو مبدأين كما ذكرنا إذ يرى أن الساحر يمكن أن يحقق الأهداف والنتائج التى يريدها عن طريق محاكاتها أو تقاليدها وهو ما يسميه بالسحر التشاكلى أو سحر المحاكاه، بينما يسمى قانون الاتصال أو التلامس على أساس التأثير المتبادل بين الأشياء المتصلة كما ذكرنا بالسحر الاتصالى.(٢)

أيضاً ظهر اتجاه سيكولوجى بالرجوع إلى نتائج علم النفس فى تفسير التأويلات ثم صياغتها فى قالب سيكولوجى، فبعض العلماء لجأ إلى الاستيطان فى دراسة الدين للتعرف على نشأته مثل تايلور. وبذلك جاءت المحاولات الأولى تفسيرات عقلية خالصة. ثم ظهرت نزعة أخرى تهتم بالحالات الانفعالية والوجدانية فمالينوفسكى يرى أن الدين نشأ وقت الأزمات التى تمتاز بشدة الانفعالات وغزارتها كالموت مثلاً.

---

1 - Bertholet, Alfred; Encyclopedic of The Social Sciences; "Religion". Vol. 16. P. 228-237

2 - Ibid.

- **عبادة الأسلاف:**

ينتشر هذا النظام فى المجتمعات البدائيـــة، والـــبعض يـــرى أن فكـــرة الأرواح وليدة الصور الخيالية كالأشباح التى نراها فى الحلم، أو محاولة تفسير حالات الشلل التى تصيب الجسم بعد مفارقة الروح. وهى تقـــوم علـــى عبـــادة الانسان لنفسه، وعلى تقديس الأجداد الموتى ووضـــعهم فـــى منزلـــة الآلهـــه، والتغلب على الأزمات بتقديم القرابين والأدعية لهم على اعتبار أنهم أقرب إلـــى الآلهه فى نظام الكون من الأحياء. وتقدم لهم فرائض العبادة والتقـــديس، وفـــى استطاعة الانسان أن يؤذى هذه الأسلاف إذا توقفت عن مساعدته بأن يكف عن عبادتها فتموت. وهذه ترتبط بمجموعة من الطقوس إذ يجتمع الأعضـــاء فـــى مكان عام أو يبيت أكبرهم سناً أو مركزاً لإرضاء تلك الأرواح.

وعبادة الأسلاف هى الديانه السائدة فى مجتمـــع التيكوبيـــا، حيـــث أن الآلهه عندهم هى أرواح الأسلاف، وهى تختلف فى الرتبة والأهمية، وأعلى هذه فى القوة والمكانة هو الإله الذى يعيش كرجل ورئيس لرؤساء الجزيـــرة وهـــو رئيس عشيرة الكافيكا. وهو لا يتولى هذا المنصب إلا بعد أن يقتل الرئيس الذى سبقه. وعندئذ يبتهل إلى الآلهه أن تمنحه "المانا" القوة الخارقة للطبيعة" والتـــى تؤهله أن يسود بينهم.(١)

وعبادة الأسلاف هى العنصر الأساسى الذى ترتكز عليه كل الاحتفـــالات والأنشطة الدينية للزونى (سكان مدينة المكسيك)، فعبادتهم تقوم علـــى احتـــرام الكبار سواء القدماء أو الأسلاف.(٢)

---

1 - William J. Goode; Religion Among the Primitives; Collier-Macmilian Limited, London. 1968. P.69.

2 - Ibid. P. 73.

- نظرية المانا:

لعبت المانا دوراً هاماً فى جميع النظريات الحديثة للدين البدائى، وهى محاولة لتفسير الكائنات الخارقة للطبيعة، والاحساس بوجود خوارق للطبيعة ينشأ نتيجة للصراع فى بيئة قاسية فيزيقياً، ونتيجة للصراع من أجل البقاء.

وانقسمت الآراء حول المانا، فمجموعة منهم تؤكد على الجانب غير الشخصى والأخرى تؤكد على الجانب الشخصى، فأحدهما يؤكد على الجانب المثالى التصوفى، و'لآخر يؤكد على الجانب السحرى.

وأحمد أبو زيد يقول أن المانا عبارة عن خصائص خفية غامضة تسكن الأشياء، وتتحد مع المطر وأشعة الشمس لتجعل الأشياء تنمو، كما أنها قد تصيب الرجل بالضرر.

ورونالد جونستون يذكر أن المانا مصطلح بولينيزى شائع فى الأديان البدائية، وتظهر آثارها فى الانساق الدينية فى المجتمعات ولاحظ برنيل بنسون أنها تظهر فى أديان متعددة تحت أسماء مختلفة. فى الهندوسية تسمى دارشانا Darshan فى المسيحية تسمى "النعمة الإلهية" Divine Grace، وبين هنود أمريكا عند الجونكوينز تسمى "مانيتو" Manito، فى السيوكس تسمى واكندا Wakanda فى الايروكواى تسمى أورندا، وفى الكرو تسمى ماكسب Maxpe، فى أمريكا تدعى أورندا Oranda.[(1)]

ورونالد يعتبرها عنصر أولى من السحر، وهى بالنسبة للذين يؤمنون بها، توجد فى كل مكان فى العالم وتنتشر كقوة أو طاقة أولية، تسبح فى الهواء فى انتظار من يدركها ويفهمها ويتسلح بها ويستخدمها، وهى ضعيفة واهنه

1 - Ronald L. J. Honstone; Religion and Society In Interaction; Prentice-Hall, Inc. 1975. Part I.

كامنة إلى أن يأتى شخص ما لينشطها ويستخدمها.

- الطوطمية:

الطوطمية هى مرحلة من مراحل التفكير التى اجتازها العقل البشرى، اهتم بها دوركايم[1] وهى تنتشر بين قبائل استراليا. والطوطم هو الجد الأكبر الذى ينتمى إليه أفراد القبيلة، وقد يكون هذا الطوطم حيواناً أو نباتاً يعتقد أفراد العشيرة أنهم إنحدروا من سلالته. أى أن هناك رابطة دم توحد وتربط بين أفراد العشيرة والطوطم، فالمجتمع هنا يقوم بتأليه نفسه وعباداته.

ودوركايم يعتبر الطوطمية هى أساس الدين، أو على الأقل ان لم تكن الأساس فهى الشكل الأولى له، ويتفق معه فريزر، وروبستون سميث، وإن كان فريزر وضعها بعد ذلك تحت بند السحر.

هذه بعض الآراء فى صور العقائد والطقوس الدينية فى المجتمعات البدائية والتى درسها العلماء الأوائل. وبدأنا بعرضها بصورة موجزة بعد تعريف الدين وسماته وخصائصه، لما للدين من ارتباط وثيق وأهمية قصوى بظاهرة النسك إذ أننا لا يمكن أن نتطرق إلى ظارهة النسك فى الديانات المختلفة قبل توضيح تعريف الدين وأهميته لأنه لا يمكن أن ينشأ نسك من العدم، بل لا بد من وجود ديانة انبثقت منها فكرة النسك، سواء كانت ديانة وثنيه مثل اليونانية أو البوذية أو ديانة كبرى كاليهودية والمسيحية والاسلام.

---

1 - Ibid.

منهج الدراسة

إعتمدت الدراسة على الإتجاه البنائى فى دراسة البناء الاجتماعى للمجتمع الديرى، وعلى الرغم من أن العلماء اختلفوا فى وضع تعريف واحد للبناء الاجتماعى، إلا أنهم يرون أن مفهوم البناء يرتكز على فكرة أساسية هى تصوير المجتمع كوحدة متماسكة متشابكة من العلاقات الاجتماعية، ويتمتع بدرجة عالية من الاستمرار فى الوجود، ولكن هذه الوحدة تنقسم فى الوقت ذاته لوحدات أصغر فأصغر، بحيث أن أصغر وحدة فيها تعكس مميزات وخصائص البناء الكلى.

وعلى الرغم من إنقسامها إلا أنها تتفاعل وتتساند تسانداً وظيفياً لتحافظ على بقاء المجتمع واستمرار بنائه.[1] وأى بناء اجتماعى يتكون من عدد كبير من الأنساق. ويعتبر الدين أحد أنساق البناء الاجتماعى إذ يقول توماس ف. أوديا أن الدين "أحد المكونات البنائية الهامة".

وقد استخدم مصطلح البناء الاجتماعى بمعان مختلفة عند كل من "رادكليف براون" و"ريموند فيرث" و"إيفانز بريتشارد" و"ماير فورتس". ويوجد البناء لدى كل من الجمادات كما أن للكائنات الحية بناء، فالكائن الحى له بناؤه، والذرة "بناؤها"، وللقصة أو القصيدة الشعرية بناؤها، أما البناء العضوى فهو مجموعة العلاقات التى تدور بين أعضاء وأجهزة الكائن الحى. أيضاً القصة تتكون من مجموعة أحداث تترابط وتتناسق فيما بينها فى سياق منطقى.

ويعرف إيفانز بريتشارد البناء الاجتماعى بأنه نسق اجتماعى يتكون من الجماعات الاجتماعية والزمر (مثل العشائر والقبائل والأمم) المستمرة فى

---

1 - Notes and Queries On Anthropology; by a Committee of the Royal Anthropological Institute, Rout ledge, London. 6th Edition, 1951, P.63.

الوجود، وتتمتع بدرجة عالية من الثبات. وتظل تلك الجماعات كما هى مستمرة فى الوجود على الرغم مما تحتويه من أفراد لهم سمات خاصة،[1] ولدرجة أنــه يمر جيل بعد جيل من الأفراد خلال ذلك البناء، فيولد فيه إناس أو ينـدمج فيــه البعض ويتركوه بالوفاة. ولكن على الرغم من هذه التغيرات التى تحدث للأفـراد الذين يكونون تلك الجماعات لكن البناء "ثابت".

ولذا فهو لا يعتبر الأسرة جماعة بنائيـة لأنهـا لا تتمتـع بالعلاقـات المستمرة فى الوجود، ولأنها تنتهى بوفاة أعضائها. ولكنه لا يقصـد بـذلك أن العائلة تقل فى الأهمية عن الجماعات البنائية. إذ أنها ضرورية للمحافظة علـى بقاء البناء وديمومته. ولأنها المنبع الذى يقدم أشخاص هم الوحدات التى يتكون منها النسق البنائى. بل يركز على الزمر التى تستمر فى البقاء مدة طويلة مثـل الأمم والعشائر والقبائل.[2]

ويقصد بالعلاقات البنائية أن البناء هو علاقة بـين زمـر وجماعـات، والمقصود بالجماعة البنائية أنهم الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم وحدة مميزة قائمة بذاتها تدخل فى علاقات بنائية مع الوحدات الأخرى. وينظر إليها أعضـاء الجماعات الأخرى نفس تلك النظرة- أى أنه أخرج من البناء العلاقات الثنائيـة بين شخص وآخر.

وهو يقول أنه لا بد من وجود درجة معينة مـن الأطـراد والآتسـاق والتنسيق فى الحياة الاجتماعية، حتى يتمكن الناس من الإنصراف إلى شـئونهم بعد أن يعرفوا نوع السلوك الذى يرتقبه الأخرون منهم، كذلك نـوع التصـرفات التى يتوقعونها هم من الآخرين فى المواقف الاجتماعية المختلفـة. ويسـلكون

---

1 – أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى، المفهومات، الجـزء الأول، الهيئـة المصـرية العامة للكتاب، ١٩٧٦.

2 - E. E. Evans, Pritchard; The Nuer; Oxford, 1940. Pp. 261-267.

حسب قواعد وقيم معينة متعارف عليها.[١]

فالبناء هو نسق يعيش فيه أفراده وينزلون على مستلزماته. وكلمة بناء هنا تشير إلى نوع من التماسك والتوافق بين أجزائه. ويتمتع بدرجة من الديمومة والبقاء أكثر مما تحظى به معظم الأشياء السريعة العابرة فى الحياة الانسانية. وقد لا يفطن أفراد المجتمع نفسه إلى أن لمجتمعهم بناء متميز. هذا هو تعريف البناء عند إيفانز بريتشارد.

ويقدم فورتس تعريف للبناء الاجتماعى "أنه ذلك الكل الذى يتميز بأنه يتضمن النظم والزمر الاجتماعية والمواقف، وسائر العمليات، تلك التى يمكن تحليلها إلى أجزاء تنتظم وتتناسق فى الزمان والمكان".[٢]

أما البناء الاجتماعى عند ريموند فيرث فيشمل مختلف أنواع الجماعات والنظم التى تربط أفراد المجتمع. والبناء هو مجموعة من العلاقات المنتظمة وليست المؤقتة أو المتغيرة، ويركز على علاقة النظم الاجتماعية ببعضها، فالنظم الاجتماعية هى الأجزاء التى تتفاعل فى الكل بعضها ببعض بشرط أن يكون لهذه العلاقات درجة عالية من الديمومة والثبات. وهو يشبه فى ذلك إيفانز بريتشارد.

والبناء لدى فيرث يقوم على العلاقات الثابتة التى تدور حول "الجنس- القرابة- الموطن-السن"، وهو يعتبر التخصص المهنى من المبادئ الأساسية الهامة فى بناء كل المجتمعات حتى فى الشعوب البدائية التى يتضاءل فيها

---

1 - ادوارد أ.إيفانز بريتشارد: الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، طبعة خامسة، ١٩٧٥، ص ٣١، ٣٢.

2 - قبارى محمد اسماعيل: الانثروبولوجيا العامة، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧١، ص ٢٧٩.

التخصص المهنى.[1] والتخصص يعكس المركز الاجتماعى للأفراد لأن من يقومون بحرفة وضيعة تقل مكانتهم الاجتماعية. والمهنة هى التى تحدد الطبقة الاجتماعية والطبقة تعكس المركز الاجتماعى فينشأ الاختلاف فى المراتب والطبقات من التخصص المهنى. وبالإضافة إلى هذه المحددات الاقتصادية، هناك شروط اجتماعية للبناء الاجتماعى فهو مجموعة من العلاقات المنظمة تلك التى تربط الأجزاء بالكل الذى تعمل فيه. وهو يقصد باعلاقات المنظمة تلك التى تتميز بالاستمرار والثبات وليست العلاقات المؤقتة. وهو لا يكتفى بالمشاهدة الواقعية كما يفعل أيفانز بريتشارد بل يهتم بالقيم الاجتماعية والعلاقات المثالية.

أما المقصود بعبارة البناء الاجتماعى عند ريفرز "وصف مختلف الأشكال البنائية الموجودة خلال هذا العالم وتحليل كل منها إلى عناصرها الجزئية الأساسية، ودراسة العلاقات بين تلك العناصر بعضها بعضاً، وأن نتساءل عن الوظائف الاجتماعية لتلك العناصر"، ونكتشف كيف أن هذه العناصر تتعاون حتى تنجح فى إيجاد تنظيم ثابت متماسك مناسب،[2] ويبدو أنه يعتبر البناء الاجتماعى مساوياً للتنظيم الاجتماعى.

ود. على عيسى يرى أن معنى ذلك أن دراسة البناء الاجتماعى عند ريفرز دائماً وظيفية، وأن تصوره للوظيفة – تماماً كما هو عند دور كايم وراد كليف براون. ومن الواضح أن راد كليف براون تأثر بكل من ريفرز ودور كايم.

أما المعهد الملكى البريطانى الأيرلندى للأنثروبولوجيا فيرى أنه فى دراسة أى وحدة اجتماعية ينبغى معرفة معلومات وافية للبناء الاجتماعى. ويقول أن عبارة البناء الاجتماعى تعنى كل شبكة العلاقات الاجتماعية التى تربط

---

1 - Firth, Raymond; Human Types; "Some Principles of Social Structure", Thomas Nelson, New York, 1943. Pp. 98-125.

2 - Issa, A. A.; Social Anthropology; Dar El Maaref, Cairo. 1964. P. 236.

بين أعضاء هذا المجتمع فى زمن معين. وهى تعنى من جهة الأشكال الاجتماعية التى يجتمع فى صورتها أناس من أجل تحقيق أغراض اجتماعية فى هذا المجتمع. ومن جهة أخرى تعنى الروابط الاجتماعية المعترف بها المنعكسة على تصرفات وسلوك الفرد نحو الشخص الآخر. وتصرفات الجماعة ككل نحو الجماعات الاجتماعية الأخرى.(١)

وبالنسبة لكل وحدة اجتماعية ينبغى ملاحظة السمات الآتية:

أ- حدود المكان إن وجدت.

ب- التكوين السكانى.

ج- طريقة الانضمام للعضوية أو فقدها.

د- شكل الجماعة أو النظام وأشكال السلوك التى تميز هذه الجماعة عن باقى الجماعات الأخرى، وهو يشمل الحقوق والواجبات، وأنماط السلوك بوجه عام بين أعضاء مختلف الجماعات، والعلاقات التى تربط الجماعة مع الجماعات الأخرى من نفس النوع.

هـ- الوظيفة أى علاقة أنشطتها بأنشطة الجماعات الأخرى، وبالمجتمع الكلى العام.

أما عن العلاقات بين الأشخاص فينبغى أن تكون متحققة دائماً:

أ- سواء كانت هذه العلاقات مؤقتة أو دائمة.

ب- كيف تكونت عن طريق الميلاد أو الزواج أو بتبادل البضائع، وكيف تم انقطاعها سواء بترك العضوية أو بواسطة الترك الاختيارى أو بالانحلال بمرور الوقت.

---

1 - Committe of The Royal Anthropology of Great Britain and Irland; Notes and Queries on Anthropology; Routledge and Kegan Pavl Ltd. London. P. 63.

ج- ما هى الحقوق والواجبات ونماذج التصرفات والسلوك التى تسود بوجه عام.

والبناء عند راد كليف براون يتكون من كائنات انسانية، هم الأشخاص أعضاء المجتمع وليس الأفراد،[1] وعندما يستخدم مصطلح البناء فهو يشير إلى وجود نوع من التنسيق والترتيب بين الأجزاء والعناصر التى تكون الكل. وعناصر أو وحدات البناء الاجتماعى هم الأشخاص، والشخص لا يعتبر كائن آلى بل هو يشغل وضع فى البناء الاجتماعى.[2]

ويمكن ملاحظة ملامح البناء الاجتماعى عن طريق الملاحظة المباشرة العينية، وهو لا يعرف البناء كدراسة للثقافة فهو يغفل ملامح الثقافة لأنه لا يمكن ملاحظة ملامحها عينياً. هذا إذا أراد الباحث أن يكون إنثروبولوجيا اجتماعيا. لأن البناء هو موضوع الانثروبولوجيا الاجتماعية، ولا يقصد بذلك أنه هو كل الانثروبولوجيا، بل على اعتبار أنه أكبر جزء هام فى هذا العلم، ولذا يدرس المجتمع على أنه مجموعة من الأنساق الاجتماعية التى تؤلف البناء الاجتماعى.

وترجع أهمية الملاحظة المباشرة إلى أنها تكشف لنا أن الكائنات البشرية مرتبطة بشبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية. ويراون يستخدم مصطلح البناء الاجتماعى ليشير إلى تلك الشبكة من العلاقات الموجودة القائمة بالفعل – أى الواقعية.

وعلى عيسى يقول أنه يقصد بذلك:

١- أن مصطلح البناء الاجتماعى مساوياً للعلاقات الموجودة فعلاً – أى

---

1 - أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى: المفهومات. جـ١، صـ٢٤.

2 - Kupar, Adam; The Social Anthropology Of Radcliffe Brown; "Structure And Function" Part I Routledge & Kegan Paul, London. 1977.

الواقعية، التى تتغير بين الأشخاص والجماعات.

٢- العلاقات الموجودة فعلاً بين الكائنات الانسانية ينبغى أن تكون الجزء الأساسى الأكبر الهام عند الباحث الانثروبولوجى.

٣- فالمجتمع يدخل فيه أعضاء جدد بالهجرة أو بالميلاد ويخرج منه بالموت أو الهجرة خارجه أى أن هناك تغير بين الأشخاص والجماعات.(١)

فالبناء يتكون من عدد من العلاقات والروابط الاجتماعية التى تقوم بين الأشخاص والشخص عبارة عن مجموعة من العلاقات الاجتماعية فهو مواطن زوج وأب، يمارس مهنة معينة وكل منها يشير إلى علاقة محددة وإلى مكان معين فى البناء الاجتماعى. فتلك العلاقات تجعل منه بناءاً متماسكاً، فالبناء يتكون من عدد من العلاقات الثنائية بين الأب وإبنه، الإبن والخال، وأيضاً إهتم بالتمايز والتفاضل بين الأفراد أو بين الطبقات بإختلاف المركز الاجتماعى وعن طريق أدوارهم الاجتماعية.

ومن خلال البناء الاجتماعى يمكن أن نحصل على صورة متكاملة عن التكامل الاجتماعى - إلى جانب ملاحظتنا وتعرفنا على أنماط السلوك المختلفة وأنماط العلاقات بين سائر الأشخاص. ولذا فهو يميز بين البناء الواقعى والصورة البنائية العامة. فالبناء الواقعى هو مجموعة العلاقات الواقعية الثنائية التى تتغير بين الأشخاص والجماعات ولذا فهو ديناميكى، أما الصورة البنائية فهى ثابتة إلى حد ما.

أما محمد عبده محجوب فيرى أن البناء "عبارة عن علاقات بين مراكز

---

1 - Issa, A. A.; Op. Cit. P. 240.

محددة تنشأ فى المواقف الاجتماعية المتنوعة".[١]

وهذا البناء الاجتماعى سواء كان أمة أو قبيلة، عشيرة، هيئة مثل الأكاديمية الفرنسية، أو الكنيسة الرومانية لها استمرار فى الوجود كتنظيم معين من أشخاص داخل البناء، وعلى الرغم من تغير هؤلاء الأشخاص والعناصر النمونة للبناء إلا أن البناء كتنسيق يبقى مستمراً فى الوجود.[٢]

وهذه العلاقات المستمرة المكونة للبناء ليست نتيجة إلتقاء للأفراد بالصدفة لكنها مقررة بواسطة عمليات اجتماعية، وهى تنظم بواسطة معايير، قواعد أو أنماط تبرر تصرفات الأشخاص وتجعلهم يتوقعون ما سيسلكه الأخرون فى نفس هذا الإتجاه. هذه المعايير تعطى الحياة الاجتماعية نمط خاص وعادة تتخذ شكل تنظيمات. وكل تنظيم يتكون من مجموعة من المعايير والقواعد الراسخة التى تشير وتميز بين جماعة اجتماعية تدخل فى هذا التنظيم وبين جماعة أخرى. وهناك قبول عام وتسليم من أعضاء الجماعة بهذه المعايير لتحديد السلوك المناسب للأشخاص فى العلاقات الاجتماعية داخل النسق البنائى سواء كان جماعة أو طبقة.

أى أن مصطلح التنظيم هو المفهوم الأكثر إشارة إلى مفهوم البناء الاجتماعى، ولكن ليس من المرغوب فيه أن نستخدم المصطلحين بمعنى مترادف. والمعنى الأكثر شيوعاً فى إنجلترا لتعريف مصطلح البناء الاجتماعى كمجموعة من العلاقات والمعايير المنظمة لسلوك الأشخاص. أو نستعمل التنظيم كإشارة لترتيب نشاطات الأشخاص. فالتنظيم الاجتماعى للمصنع هو دراسة للنشاطات المختلفة للأشخاص. وبناء الجيش يتكون من ترتيبات داخل الجماعات فهو ينقسم إلى فرق عسكرية، وآلايات وسرايات وكتائب الجيش. ويمكن أن

---

1 - محمد عبده محجوب: مقدمة فى الاتجاه السوسيو أنثروبولوجى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٧، صـ ٢٨.

2 - Kupar, Adam; Op. Cit. P.20.

ينقسم إلى رتب عامة، قادة، رائد، صاغ، أمباشى ... إلخ.

فالجيش يتكون من ترتيب النشاطات التى تتعلق بالأشخاص سواء وقت السلام أو وقت الحرب. فالنسق البنائى نعنى به النسق الاجتماعى أو الوضع الاجتماعى، بينما التنظيم نعنى به الأدوار. فكل شخص له وضع فى البناء ودور فى التنظيم. ولذا فراد كليف براون فى دراسته لأستراليا، درس فئة معينة من الناس يعيشون فى بيئة طبيعية معينة، وأنه لاحظ أفعال وسلوك هؤلاء الأفراد.

وهذا الإتجاه هو الذى تبنته الدراسة فنقصد بمفهوم البناء الاجتماعى أنه يشير إلى مجموعة من الأشخاص تنشأ بينهم مجموعة من العلاقات ويقومون بأدوار معينة كل فى المركز الذى يشغله.

فهذا الاتجاه كشف لنا العلاقات بين أعضاء الدير بعضهم ببعض وعلاقاتهم بالآخرين. وكذلك تقسيم العمل بينهم واختبار الجزاءات والتحريمات أى النظم الاجتماعية التى تحدد أنماط السلوك طبقاً لمجموعة من المعايير. وكانت وحدة البحث هى عملية الحياة الاجتماعية الديرية فى منطقة وادى النطرون. وهذا طبقاً لما ذكره محجوب فى كتابه "مقدمة فى الاتجاه السوسيوانثروبولوجى" من أن "وحدة البحث فى الدراسات الأنثروبولوجية هى عملية الحياة الاجتماعية فى منطقة إقليمية محددة فى فترة زمنية محددة"[١].

واعتمدت الدراسة على النظرية البنائية الوظيفية، إذ أن البنائية تهتم بدراسة العلاقات المتبادلة بين النظم، أما الوظيفية فتهتم بالدور الذى يقوم به النظام فى المجتمع للمحافظة على بقائه وتماسكه. وتوماس ف. أوديا فى كتابه "سوسيولوجية الدين" -المدخل الوظيفى- يرى أن النظرية الوظيفية تناسب دراسة الدين لأنها ترى المجتمع فى توازن مستمر للنظم الاجتماعية التى تشكل

---

1 - د. محمد عبده محجوب: مقدمة فى الاتجاه السوسيوأنثروبولوجى، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٧. صـ ٢٣.

النشاط الانسانى فى حدود المعايير المشتركة المحددة شرعياً، والملزمة عن طريق المشاركات الإنسانية نفسها، فكل جزء (كل عنصر منظم) يعتمد على الأجزاء الأخرى، وكل تغيير فى أى جزء يؤثر فى الأجزاء الأخرى، وبالتالى حالة النسق ككل. كما أنها تساعد على الكشف عن الوظائف الكامنة والظاهرة ودورها فى المحافظة على توازن النسق الاجتماعى ككل،[1] لأن المبادئ الدينية تتضمن السماح والتحريم وتحديد الأدوار بالنسبة لأعضاء مجتمع الدير والتى تتفق مع التوقعات المبينة على أوضاعهم الاجتماعية، فهى تحدد ردود الأفعال فى المواقف المختلفة وتكون مبرراً لأفعالهم. ولذا فالنظرية البنائية الوظيفية تناسب تلك الدراسة فهى المنهج الرئيسى، وإن كان هذا لم يمنع من الاستعانة بالمنهج التاريخى فى بعض الأحيان عند محاولة التعرف على نشأة ظاهرة الرهبنة.

وفى دراستنا للبناء الاجتماعى للدير قمنا بدراسة العلاقات على مستويين:

الأول: تحليل العلاقات على مستوى تجريدى أى أن هناك مراكز فيها أنماط معينة من العلاقات، يشغلها أشخاص يحتلون هذه المراكز وهو ما يعرف بالبناء الصورى أو الصورة البنائية العامة كما يسميها راد كليف براون.

الثانى: ثم تحليل هذه العلاقات كما تتجسد فى الواقع، أى على مستوى البناء المادى الواقعى فهو التجسد أو تطبيق هذه المراكز فى أنماط من السلوك.

أى درسنا العلاقات المتكررة داخل البناء بين الرهبان بعضهم وبعض، والعلاقات التى تربط الرهبان بالخارج كالزوار وبيوت الخلوة والخدمة، ومنها إلى المستوى التجريدى.

---

1 - Thomas F. O' Dea; The Sociology of Religion; Prentice-Hall, Inc., Part 1, 1966.

فالبناء ميكانيكى آلى يتكون من عدة أقسام بحيث تؤدى هذه الأقسام وظائفها بصورة متماثلة فى الظروف المتطابقة، بينما هذا قد لا يتحقق فى الواقع فلا يوجد هذا النوع من التطابق الآلى فى الحياة المتجسدة. وبينما يهتم البناء الاجتماعى بالعلاقات بين المراكز نجد أن النظم تهتم بالعلاقات بين الأدوار التى يقوم بها الأشخاص فى تلك المراكز التى يحتلونها.

ونحن لا نستطيع فى دراستنا للدير أن نعزل بين البناء والنظم. "والنظام الاجتماعى" كما إتفقت عليه معظم التعريفات "هو الأساليب المقررة المقننة للسلوك الاجتماعى"، وقد أثار هذا التعريف عدة أمور أهمها:

أولاً: لا بد أن يؤدى النظام وظيفة ودوراً معيناً فى الحياة الاجتماعية ما دام المجتمع يقره ويعترف به.

ثانياً: وجود نظام يرتبط بوجود بعض الجزاءات الاجتماعية.

ثالثاً: كلمة نظام تشير إلى ملامح الحياة الاجتماعية التى تستمر فى الوجود أجيالاً طويلة كالطقوس والإحتفالات فى حالة الزواج والوفاة يتمسك بها الناس دون أن تكون لها فائدة واضحة فى أذهانهم فهى تتمتع بقدرة كبيرة على الصمود والتغيرات الطارئة.

ويقول أخر قمنا بدراسة الدير باعتباره بناء يتكون من عدد من المراكز يحتلها عدد من الأشخاص تقوم بينهم مجموعة من العلاقات، فأى بناء يشتمل على عدد من المراكز التى يشغلها بعض الأشخاص، مثال: الكلية بها عدد من المراكز مثل عميد الكلية ورؤساء الأقسام تقوم بين هذه المراكز أنماط معينة من العلاقات تبعاً للمركز الذى يشغله كل عضو بها، وإن كان هناك نظام تسير عليه الكلية تشتمل على مجموعة من القواعد والمحددات والأسس والمعايير التى يجب إتباعها، مثل نظام الحضور والانصراف، ونظام رعاية الطلبة ونظام الأجور. وعلى الرغم من ذلك فهذه النظم ليست هى بناء الكلية، وإن كانت تدخل

فى البنية الاجتماعية للكلية، وبالمثل لا يمكن القول أننا سندرس الدير كبناء وليس كنظام، لأنه يوجد مجموعة من النظم هى التى تحدد نظام العبادة والصلوات وهى تتدخل فى شبكة العلاقات أيضاً، وبهذا لا يمكن أن نعزل بين الدير كبناء أو كنظام فكلاهما متداخلان ومتشابكان، ولا يمكن دراسة أحدهما بدون الآخر.

ويرى بيير ستيت أن السوسيولوجيين إختلفوا حول المركز فالبعض يرى أنه يحتمل الترتيب، والبعض يرى أن كلمة مركز تعادل وتكافئ للوضع Position والحالة Condition بدون تضمن ضرورى لترتيب، أى لا يوجد هناك درجة أعلى من الأخرى. مثال المركز الجنسى والمركز العمرى والمركز القرابى أمثلة لمراكز ليس بها ترتيب، وقد أخذ بيير ستيت الرأى الأخير فهو يرى أن "أعزب- متزوج- مطلق" أمثلة للمراكز الزواجية ولا تحتمل الترتيب، فالمعايير التى تتضمن الحقوق والواجبات والامتيازات، والارتباطات ترتبط بالمراكز وليس بالأشخاص. هذا فى المجتمعات المعقدة حيث تسود العلاقات الثانوية، تلك العلاقات التى تتقرر طبقاً للمراكز وليس طبقاً للأفراد بعكس العلاقات الأولية فى الجماعة الأولية التى تكون طبقاً لخلق ومزاج الأفراد أنفسهم، وهذه المراكز تكون عناصر أو أجزاء فى بناء المجتمع.[1] وفى الدير فإن المراكز تحتمل الترتيب كما سنرى، وإن كانت العلاقات تتقرر طبقاً للمراكز وللأفراد الذين يشغلونها معاً، لأن المراكز التى لا تحتمل الترتيب كما ذكرها بيير ستيت لا وجود لها فى الدير كالمركز القرابى، أو المركز الجنسى أو العمرى، لأن الدير يتكون من أفراد من جنس واحد، لا توجد بينهم قرابة بيولوجية.

فالمركز هو وضع فى المجتمع أو فى الجماعة، وكل مجتمع وكل

---

1 - Bierstedt Robert; The Social Order; Statuses. Mc. Graw-Hill, I. N. C., Edition. P. 242. 1970.

جماعة لديها العديد من هذه الأوضاع، وكل شخص يحتل عدداً كبيراً من هذه الأوضاع فى المجموعات التى ينتمى إليها. فى وقت واحد. فالمركز وضع أعطى للفرد عن طريق الجماعة التى ينتسب إليها، مثل جماعة عضوية أو جماعة منظمة. أى أنه وضع فى بناء الجماعة قبل أن يعطى للفرد ليشغله.

أما الدور فهو المظهر السلوكى للمركز، فالمراكز أوضاع يشغلها الأشخاص، أما الدور فهو ما الذى يفعله الشخص فى المركز الذى يشغله، ويختلف الأشخاص الذين يقومون بأشياء مختلفة فى نفس المركز، فالدور هو الطريقة التى تعطى لفرد حق المركز والتمتع بالإمتياز مثال رئاسة الجمهورية مركز وتلحق به معايير وواجبات ومسئوليات وإمتيازات معينة تكون للمركز وليس للشخص الذى يشغله. ومع ذلك تختلف الأدوار التى يقوم بها من يشغل هذا المركز فالدور الذى يقوم به الرئيس الحالى يختلف عن الدور الذى قام به الرئيس السابق، وعلى الرغم من أن كليهما شغل نفس المركز. ومن هذا يتضح أن المراكز تكون ثابتة نوعاً ما، أما الأدوار فهى متغيرة باستمرار، فالدور يتغير ويتحرك تبعا لكل واجب جديد فى المركز، وتبعا للظروف التى يمر بها المركز، وليس معنى ذلك أن المركز ثابت، فقد تتغير المراكز فى المدى الطويل بإضافة معايير جديدة وإلتزامات جديدة تضاف إليه وتختفى أخرى قديمة. وأحياناً تتغير الوظائف تبعاً لحاجات النسق الذى يكون المركز جزء منه، فكل من المراكز والأدوار تكون العناصر المتحركة فى حياة المجتمع المشكلة للتصرفات الثقافية.

وعلى الرغم من أن المراكز والأدوار تكون ظواهر مترابطة ومتبادلة العلاقة، فمن المؤكد أنه قد توجد واحدة بدون الأخرى مثال: عندما يستقيل رئيس الجامعة يستغرق بعض الوقت ليحل محله شخص ناجح مناسب، وبينما مركز الرئيس يظل شاغراً ولكنه يظل جزء من التنظيم الجامعى، وتوزع واجبات الرئاسة أثناء هذه الفترة بين عديد من المساعدين، ولكن لا يوجد من بينهم من

يتمتع بامتيازات المركز. فهو يظل شاغراً حتى يتم تعيين رئيس آخر. ولكن من ناحية أخرى يمكن لعب دور بدون شغل مركز مثال ذلك النساء قد يلعبن دور الممرضة، فهى دور عندما يمرض أحد أفراد العائلة، أما الممرضة فى المستشفى فهى مركز، وفى المنزل تعتبر دور. هذا يوضح أنه من الممكن ظهور واحدة بدون الأخرى. فالفرد يؤدى الدور طبقاً لما يتوقعه الآخرون منه فى المركز الذى يشغله. أى أنه يسلك طبقاً لوضع ما.

وهذا ينطبق مع قول رالف رادوك من أن الدور يعنى أن كل فرد فى المجتمع يحتل منزلة أو مركزاً معيناً، وهذا المركز يجعله يعمل بطريقة معينة لتطابق التوقعات التى ينتظرها منه الغير، وكل مجموعة من هذه التوقعات تتطلب القيام بدور معين.[١]

وهناك نوعان من المراكز. مراكز منتسبة يحصل عليها الفرد بالوراثة وتعتمد على الحالة البيولوجية، دون النظر إلى ماهية قدراته أو إمكانياته، وتقسم تبعاً للسن والجنس والقرابة ومكان الميلاد، وهذه لا يمكن تعديلها أو تغييرها وتجديدها[٢] وهذه لا وجود لها فى الدير، والثانية مراكز محصلة يقول جيمس دارون أن الفرد يحصل عليها باختياره ومجهوده وثقافته الاجتماعية، أى لديه حرية الاختيار ومن أمثلتها المركز المهنى والسياسى والطبقى وهذه هى موضع اهتمام الدراسة.

ومعنى ذلك أن المركز يعنى أن كل فرد له وضع محدد فى المجتمع مع توضيح ما هو مطلوب منه أداؤه، وأيضاً علاقته بالآخرين.

---

1 - Ralph Ruddock; Roles and Relationships; Routledge & Kegan Paul, New York; Humanities Press. 1969. P.3.

2 - Parry Wishart B. J., Reichman L.; Modern Sociological Issues; P. 62.

خلاصة البحث

تناول هذا البحث البناء الاجتماعى فى أعماق الأديرة بنفس الطريقة التى يدرس بها عالم التشريح، الشعيرات والأعصاب والعضلات فى الكائن الحى ليصل إلى حقائقها ووظائفها. لذا كان لابد أن نتناول نشأة ظاهرة الرهبنة ما هى؟ وما درجاتها، وما هى الأسباب التى تدعو إنساناً إلى الاندماج فى سلك الرهبنة. ذكرنا كيف بدأت كحياة وحدة مطلقة لا يختلط فيها الراهب بأى إنسان أخر مثل الأنبا بولا السائح. ثم بدأت تعرف كنظام على يد القديس أنطونيوس أب جميع الرهبان الذى عاش فى وحدة كاملة فى مغارات فى الجبال، ثم تحول من متوحد، إلى أب يحيا حياة الوحدة وله تلاميذ يرشدهم.

ثم ظهرت رهبنة القديس مقاريوس فى وادى النطرون، وهو نظام يعيش فيه الرهبان فى وحدة خلال الأسبوع، ويلتقون فى مساء السبت للصلاة معا حتى صبيحة يوم الأحد، ثم يتناولون الطعام معاً ويعود كل منهم إلى وحدته. أى أن هناك أنواع فى الوحدة منها الوحدة الكاملة، والوحدة الجزئية، وظهر أيضاً فى نفس الوقت تقريبا نظام الديرية أو الحياة المشتركة فى الصلاة والعبادة والعمل وتناول الطعام على يد القديس باخوميوس حيث وضع قوانين وأنظمة لتنظيم الحياة الديرية، تلك التى يجتمع فيها الرهبان معاً فى دير واحد، فى مجتمع متناسق متكامل، يقوم على الاكتفاء الذاتى، ويخضع لرئاسة حازمة قوية، تحفظ النظام، وترشد وتقود وتعاقب وتطرد أيضا من الدير إذا لزم الأمر. ثم جاء الأنبا شنودة الذى طور حياة الشركة وجعلها أكثر صرامة.

وفى الديرية كانت الوحدة والعزلة بالنسبة للعالم الخارجى فقط، أما الوحدة داخل الدير لم تكن متوافرة كما فى النظام الأنطونى والنظام المقارى.

وحاليا أصبح كل دير يضم تقريباً الأنماط الرهبانية جميعها، ففى الدير الواحد يوجد من يعيش حياة الوحدة الأنطونية، ومن يعيش حياة الوحدة الجزئية

المقارية، ومنهم من يعيش الحياة الديرية تحت قيادة رئيس الدير، وإرشاد الاب الروحى الذى يسمح لكل راهب بما يناسب روحانياته ومواهبه واستعداداته لحياة الوحدة.

وعرضنا فى البحث، كيف أن الرهبنة كظاهرة نسكية مسيحية ظهرت فى مصر أولا، وانتقلت منها إلى كثير من بلاد العالم فى الشرق والغرب. وإن كان النسك كظاهرة دينية ظهر العديد من الديانات الأخرى ليس عن طريق الانتشار الثقافى كما فى الرهبنة المسيحية، وإنما نتيجة لتوافر ظروف بيئية واجتماعية معينة، ولتشابه العقلية الإنسانية.

ثم انتقلنا إلى الحديث عن الحياة الاجتماعية فى أديرة وادى النطرون وكان لابد من أن نشير إلى أيكولوجية المنطقة وأهميتها للتعرف على العوامل والظروف التى ساعدت على نشأة الأديرة بها. بما تتميز به تلك المنطقة من وحدة وسكون تصلح لسكنى الرهبان إلى جوار منابع الماء، مع وجود النخيل الذى استخدم الرهبان خوصه وليفه فى صنع السلال، وتوافر الملح أيضا للطعام وإمكانية بيع الرهبان لعمل أيديهم عن طريق البدو المنتشرين فى المنطقة، يضاف إلى هذا وجود الأحجار الصالحة للبناء والمواد الجيرية.

وقد كشفت الدراسة عن أن هناك بنية اجتماعية معينة تتميز بها تلك الأديرة، الجانب الأول منها هو رحلة الشخص الذى يذهب بعيداً إلى مكان بعيد، وينضم إلى جماعة غريبة عنه ويرتضى الانتماء إليها، والجانب الثانى يرينا شخصاً يستطيع التحكم فى مصيره، ولا يخضع خضوعاً أعمى لأية جماعة. بل يستطيع اختيار حياته اختياراً حراً. وهو فى هذا يستبدل بعائلته البيولوجية أسرته الرهبانية التى ينتسب إليها. وإن كان هذا لا يتم إلا بعد ممارسة طقوس وشعائر معينة، هى طقوس الرسامة، وبعد التأكد من صلاحية الشخص لانضمامه لهذا المجتمع.

وأيضا يفسر الانتقال من نظام النسب العائلى إلى الأسرة الديرية الرهبانية. كما تحتل الأبوة الروحية مكاناً ممتازاً فى التصورات الاجتماعية فى المجتمع الرهبانى. وهذا يعكس ضروب التكوين الاجتماعى للمجتمعات العادية.

ولذا ففى الدراسة بدأنا بالرهبنة الأولى فى المجتمع الديرى وهى الراهب الذى كان طالب للرهبنة، وفترة الاختبار التى يقضيها، والأسباب التى تدعوه إلى اختيار دير بالذات دون غيره، ثم تعرفنا على أنماط الرهبنة من حيث الراهب المبتدئ، ثم الحبيس فى الدير، ثم الذى يحيا حياة الوحدة خارج الدير فى قلاية أو مغارة، ثم أخيراً السائح الذى ليس له مكان محدد.

بعده تطرقنا إلى المراكز الموجودة بالدير واختصاص كل منها. وأهم هذه المراكز الثابتة بالدير بصرف النظر عن الأفراد الذين يشغلونها وهى رئيس الدير سواء كان أسقفاً أو فى درجة قمص، وأمين الدير الذى يُدعى "الرُبيتة"، وأمين المكتبة وأمين المخزن والكنائسى وحارس الباب. وأيضاً الأب الروحى فى الدير والعلاقة بين دوره ودور رئيس الدير.

ثم تناولنا أيضا الصلاة وتقسيم العمل فى الدير سواء الصلوات الجماعية، التى يشترك فيها كل الرهبان فى مواقيتها المنتظمة التى تؤدى للمقابلة وعلاقات المواجهة المستمرة وهى عامل أساسى فى تقوية البناء الاجتماعى، ثم أدركنا أهمية الأجراس فى الدير وأغراضها ودورها فى الدعوة إلى الصلاة والعمل.

وأوضحنا أهمية العمل فى الدير وأهدافه الروحية كمحاربة الملل، والتعاون بين الرهبان على استمرار حياتهم المشتركة، وفائدته فى اختلاط الراهب بغيره، مما يكشف له ضعفاته الروحية إن صدرت منه ضعفات أثناء التعامل. وتناولنا تقسيم العمل فى الدير وتوزيعه. وخدمة المجمع أى مجمع الرهبان سواء مجمع الأباء، أو مجمع الزوار أو مجمع العمال. ثم أعمال التعمير

كما رأيناها فى الدراسة الحقلية وأيضاً البناء والزراعة وأعمال التصنيع مثل صناعة البلاط أو الطوب أو منتجات الألبان كما فى دير الأنبا مقار. مع الإشارة إلى الأعمال التى يتم إنجازها داخل الدير عن طريق الرهبان مثل صناعة الخبز. ولم نغفل أن نُشير إلى عمل الرهبان خارج الدير مما تتطلبه الكنيسة من خدمات يؤديها بعضهم فى المدن والقرى وبلاد المهجر.

وقد خصصنا فصلاً عن العلاقات الاجتماعية للراهب. فذكرنا علاقته بأسرته البيولوجية، واختلاف الرهبان وتنوعهم فى هذه العلاقة، فمنهم من يمتنع عن لقاء أهله، ومنهم من يقابلهم فى حدود معينة، ومنهم من يختلط بهم فى غير حدود. ونقصد الرهبان الذين يشتغلون فى المدن وليس الرهبان المقيمين فى الدير.

أيضا تناولت الدراسة علاقة الراهب بأسرتهم الرهبانية داخل الدير، وما يميز هذه العلاقة من روابط كالطاعة للرؤساء وللآباء الروحيين وكالتعاون مع الزملاء، والسلوك الرهبانى الذى يتسم بالتواضع والوداعة الاحتمال والهدوء. هذا السلوك الذى تحكمه القيم والمعايير والمبادئ الرهبانية.

ثم علاقة الراهب بالكنيسة والمجتمع خارج الدير. وقادتنا هذه النقطة لبحث علاقة الرهبنة بالكهنوت، وكيف أن الرهبنة نشأت بعيدة عن الكهنوت والكنيسة فى بداية الأمر، ولكنها تطورت على مدى الزمن. وكشفت تلك النقطة عن نظرة الشعب لرجال الدين وإلى الرهبان من حيث التوقير، الاسترشاد، الأبوة الروحية.

أيضا علاقة الرهبان بالزوار الذين يأتون إلى الدير سواء كانوا مصريون أو أجانب. وكيف أن الأديرة تعد بيوتا للخلوة يقضى فيها بعض الزوار المحبين للتأمل والهدوء يوما أو يومين أو أكثر تحت إرشاد روحى.

وتطرقنا إلى علاقة الرهبان بهؤلاء الذين يعملون بالدير سواء كانوا

عمالاً ثابتين أو موسميين أو عمالاً يأتى بهم مقاولون، يقومون بدور فى تعمير الدير. وكيف أن هؤلاء العمال يشكلون جزءاً من البناء الاجتماعى الحالى فى أديرة وادى النطرون على الرغم من أن البعض منهم لا يدين بالمسيحية.

وهنا نتساءل هل يكون الدير مجتمعاً متكاملاً؟ وإن كان كذلك فهل هم مجتمع عادى أم يختلف عن المجتمعات العادية؟

ويمكن القول أن الدير يكون مجتمعاً متكاملاً، غير أن المجتمع الرهبانى مجتمع غير عادى لعدة أسباب لا تتوافر فى باقى المجتمعات.

فالمجتمع العادى نواته الأسرة سواء كان هذا المجتمع قبيلة أو عشيرة أو قرية أو مدينة، فجميعها نواتها الأسرة. أما المجتمع الرهبانى فليست نواته الأسرة، إنما الوحدة البنائية فيه هو الفرد، وليست مجموعة أسرات، أما هو مجموعة أفراد. والرابطة التى تربط بين أفراده، ليست هى القرابة البيولوجية أو رابطة الدم، أو حتى رابطة الوطن الواحد أو البلدة الواحدة، إنما هو مجتمع تربطه روابط روحية لا جسدية، وله هدف واحد مشترك وليس عدة أهداف وهو محبة الله.

أيضا المجتمع العادى يسعى فيه كل فرد وراء الرزق، سواء عن طريق الوظيفة أو عن طريق استغلال الثروة، ويبحث عن زيادة موارده المالية والاقتصادية. بينما المجتمع الرهبانى لا يوجد فيه من يبحث عن الثروة والمال. لأن الفقر الاختيارى مبدأ من مبادئ الرهبنة قبله العضو بانضمامه لهذه الجماعة.

قد أوقف بعض الأغنياء بعض الأراضى الزراعية والمنازل على الأديرة فى الريف والمدن لسد ما يلزمهم بدلاً من العطايا والهدايا التى يأتى بها البعض. أى هناك مصدر لسد الاحتياجات.

ومع ذلك فيمكن للراهب أن يعمل أو لا يعمل على حد سواء، وإن كـان الراهب فى البداية يعمل ليس من أجل العمل نفسه، ولكن من أجل اختبار مـدى قدراته والتعرف على قامته الروحية، ومدى استعداده لخدمة الآخرين ومحبتهم. لأن العمل يساعد على الكشف عن ضعفات الراهب، وما بقى فى داخل أعماقـه من محبه العالم، وبالتالى يمكن معالجتها أو التخلص منها. أى أن الهـدف مـن العمل هو هدف روحى بحت، من أجل فائدة ومنفعـة الراهـب الروحيـة. لـذا فالراهب الذى يعيش فى مغارة لا يعمل، ومع ذلك يكفل له الدير كـل احتياجاتـه من طعام وكساء ومستلزمات الحياة الأخرى والراهب الذى يعمل فـى الـدير لا يتقاضى أجراً عن عمله، وليس هنا علاوات أو ترقيات، إنما هو يعمل كشـركة فى الحياة، ويتعاون مع أفراد المجتمع الذين يعيش هو معهم، ولقضـاء الوقـت والبعد عن الملل ومحاربة الأفكار.

أيضاً المجتمع الرهبانى فيه حد أدنى للسن لقبول الأعضـاء فـى هـذا المجتمع، ولأنه مجتمع بلا أطفال أو صبية، وإنما أقل من يعيش فيه عمراً، لابد أن يكون قد بلغ سن الرشد على الأقل، وبالنسبة للرجال لابد وأن يكون معـافى من الخدمة العسكرية.

أيضا المجتمع العادى له اهتمامات متعددة بأهداف مختلفة، أمـا الـدير فهو يتميز بأن له اتجاهاً معيناً، وطابعاً مميزاً فى الحياة، وهدفاً محدداً مخصصاً، لا يوجد فيه مؤسسات كثيرة تلك التى يستلزمها التنوع فى المجتمعات الأخـرى، فلا يوجد به مدارس وطرق ومواصلات ولا وسائل إعلام أو ترفيـه، ولا يوجـد احتياج لساحات القضاء والمحاكم وما شابه ذلك.

ومع أن الدير مجتمع غير عادى إلا أنه مجتمع متكامـل تتـوافر فيـه جميع عناصر التكامل، فهو يتكون من مجموعة من الأفراد يعيشون فى بقعة ما، يحتل كل منهم مركزاً معيناً أو عدد من المراكز فى الأوضاع التى يشغلها، ويقوم

بأدوار معينة تتطلبها تلك المراكز والمنزلات التى يحتلها. فهناك أنواع للرهبنة وهى الراهب الحبيس، الذى يعيش فى وحدة مطلقة فى المغارات، والسائح ولكل منها شروط محددة لاختيار من يشغلها، وأيضا محددات لكل منها تحدد السلوك الذى يسلكه وعلاقاته بالآخرين، ممن يكونون فى مرتبه رهبانية أقل أو أعلى منه. أيضاً هناك عدد من المراكز الثابتة بتلك الأديرة إلى حد ما كالأسقف وأمين الدير وأمين المكتبة وحارس الباب وأمين المخزن. لابد من أن تتوافر فى تلك الأديرة بصرف النظر عن الأفراد الذين يشغلونها.

وهناك تقسيم للعمل بين الرهبان، وإن كان هذا التقسيم يختلف عن المجتمع العادى، إذ أن الهدف من العمل كما سبق أن أوضحنا هدف روحى، لذا فتقسيم العمل تحكمه القيم الروحية والمبادئ الرهبانية، ويقوم على الأسس النسكية التى تساعد الراهب على الوصول إلى أعلى الرتب النسكية. وهذه الأسس تحدد العلاقات الاجتماعية داخل الدير.

ومع كل ذلك، فهذا المجتمع ليس منفصلاً عن العالم الخارجى تماماً، فالراهب ليس منعزلا انعزالاً كلياً تاماً، بل أن له علاقات اجتماعية بالعالم الخارجى (العالم الخارجى المقصود به كل ما هو خارج أسوار الدير) تتمثل فى علاقته بالكنيسة، فالدير يمد الكنيسة والمجتمع المسيحى بالآباء الأساقفة والمطارنة والبطاركة، وإن كانت الحياة الرهبانية فى البداية بعيدة عن الرتب الكهنوتية إلا أنه بمرور الوقت درجت الكنيسة على تقليد ثابت هو اختيار البطاركة والأساقفة من الرهبان فقط. وأصبح هؤلاء يختارون وكلاء لهم لمساعدتهم من الرهبان أيضاً، ثم رهبانا آخرين يشغلون وظائف الرعاية والخدمة فى بعض الكنائس.

ولم يقتصر الأمر على هذا الحد، بل أن الأديرة فتحت أبوابها للزوار لقضاء فترة خلوة روحية، وأيضا حالات التعمير الحالية اضطرت الأديرة إلى

الاستعانة ببعض العمال والمقاولين من غير الرهبان. كما أن الدير يتصل بالعالم الخارجى لسد ضرورياته والتزاماته الأخرى.

من هذا يتضح إن الدير ليس مشغولاً ولا منقطعاً عن العالم تماما، بل أن له اتصالات وعلاقات ويؤدى دوراً فى الحياة الاجتماعية للمجتمع الذى ينشأ فيه.

وبالتالى يمكن القول أنه مجتمع متكامل تكامل الكائن الحى يتكون من أفراد يعيشون فى بقعة محددة، ويحتلون عدداً من المراكز يقومون فيها بأدوار معينة وتنشأ بينهم علاقات اجتماعية ثابتة. ومهما تعاقبت السنون فإن البناء الاجتماعى للدير يظل نظامه كما هو وغير معرض لعوامل التغير التى يتأثر بها أى نظام اجتماعى دنيوى وتنطبق عليه معنى البناء الذى تصوره ايفانز بريتشارد وخلاصته. "أفراد يدخلونه وآخرون يخرجون منه لكنه ثابت على مر السنين".

المـراجـع

مراجع عربية

١- الأب جيرارفيو: قوانين الأنبا باخوميوس، أب الشركة، الكاروز، شبرا مصر ١٩٧٤٣.

٢- الأنبا أنطونيوس، روضة النفوس في رسائل القديس أنبا أنطونيوس، مطبعة التوفيق بالفجالة، ١٨٩٩.

٣- الأنبا إغريغوريوس: الدير المحرق، مطبعة دار العالم العربي بالقاهرة، غير مبين السنة.

٤- الأنبا إغريغوريوس: انتخاب البطريرك، سبتمبر ١٩٧١.

٥- الأنبا إغريغوريوس: محاضرة مسجلة على شرائط بالدير.

٦- الأنبا بيمن أسقف ملوى وإنصنا: سيرة القديس العظيم أنبا بيشوى، غير مبين السنة.

٧- الأنبا شنودة الثالث: شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية، دار العالم العربي، طبعة ثالثة، ١٩٧٨.

٨- الأنبا يوأنس: السماء، مكتبة مار مرقس، ١٩٧٤.

٩- الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، غير مبين السنة أو الناشر.

١٠- التربية الكنسية بكنيسة مارى جرجس بالظاهر: القديس العظيم أنبا شنودة رئيس المتوحدين، المطبعة التجارية الحديثة، طبعة أولى أول ديسمبر ١٩٧٢.

١١- الشماس منسى القمص: تاريخ الكنيسة القبطية- طبعة أولى، مطبعة اليقظة بالفجالة، ١٩٢٤.

١٢- الشيخ الصفى أبى الفضائل بن العسال: المجموع الصفوى، لجرجس فيلوثاؤس، مطبعة التوفيق بمصر، ١٩٥٢.

١٣- العلامة الراهب سمعان بن كليل بن مقارة: روضة الفريد وسلوة الوحيد، المطبعة الوطنية، ٦٠٢ قبطية.

١٤- العلامة الشيخ ابن حامد الغزالى: منهاج العابدين، مكتبة الجندى، ١٩٥٤.

١٥- العلامة الشيخ أبى حامد الغزالى: منهاج العابدين، مكتبة الجندى، ١٩٥٤.

١٦- العلامة يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباغ: الجوهرة النفيسة، بطريركية الأقباط الأرثوذكس، ١٦١٨ قبطية.

١٧- القس الفونسيوس ليكورى: الإستعداد للموت، الآباء الفرنسيسكان، ١٨٧٨.

١٨- القس تادرس يعقوب: أقوال الآباء وكتاباتهم، ج١ الإسكندرية، ١٩٧٤.

١٩- القس يعقوب بطرس، الرهبنة بين الشرق والغرب، المطبعة الفاروقية، أسيوط، أغسطس ١٩٥٣.

٢٠- القمص أنطونيوس الدويرى البراموسى: تاريخ السيدة العذراء (براموس)، شبرا، مصر، ١٩٦٠.

٢١- القمص أنطونيوس يسطس الدويرى: دير السيدة العذراء برموس، مكتبة المحبة القبطية ١٩٦٠.

٢٢- القمص إبراهيم جبره: طقوس الكنيسة، مكتبة المحبة بالقاهرة، ١٩٧٥.

٢٢- القمص بيشوى كامل: الأنبا بيشوى، مطبعة الكرنك باسكندرية، ١٩٧٩.
٢٣- القمص تادرس يعقوب: "باخوميوس أب الشركة وتادرس تلميذه" - مطبعة الكرنك بالإسكندرية ١٩٦٧.
٢٤- القمص تادرس يعقوب: أقوال الآباء وكتاباتهم، الباترولوجى، جـ١ إسكندرية مطبعة الكرنك، ١٩٧٤.
٢٥- القمص صموئيل تاوضروس السريانى: الأديرة المصرية العامة، الطبعة التجارية الحديثة، طبعة أولى، ١٩٦٨.
٢٦- القمص عبد المسيح المسعودى: أب رهبان دير البراموس، أنبا باخوميوس، القاهرة، ١٨٩١ م.
٢٧- القمص عبد المسيح المسعودى: تحفة السائلين فى أديرة وادى النطرون،
٢٨- القمص عبد المسيح المسعودى: تحفة السائلين فى ذكر أديرة رهبان المصريين، مطبعة الشمس، ١٩٢٤.
٢٩- القمص عبد المسيح المسعودى: سيرة أنبا باخوميوس، القاهرة، ١٨٩١،
٣٠- القمص متى المسكين: الرهبنة القبطية، إسكندرية، طبعة أولى، ١٩٧٢.
٣١- القمص متى المسكين: مقال له تحت الطبع اطلعت عليه أثناء وجودى بالدير فى دراستى الحقلية.
٣٢- القمص متى المسكين، الرهبنة القبطية فى عصر القديس أنبا مقار.
٣٣- المجمع الأكليريكى العام المقدس: خلاصة قانون الرهبنة القبطية الأرثوذكسية، المطبعة المرقسية بالدرب الواسع، رقم ٣٠ بمصر، ١٩٢٨.
٣٤- ايريس حبيب المصرى: قصة الكنيسة القبطية، جـ١، مطبعة الكرنك بالإسكندرية، ١٩٦٩.
٣٥- أ.د. محمد عبده محجوب: مقدمة فى الاتجاه السوسيوأنثروبولوجى، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٧.
٣٦- أبو العلا عفيفى: التصوف - الثورة الروحية فى الإسلام، دار المعارف - طبعة أولى، ١٩٦٣.
٣٧- أحمد أبو زيد: الأنساق، البناء الاجتماعى، جـ ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ثانية، ١٩٦٧.
٣٨- أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى: المفهومات، جـ٢، طبعة خامسة، مطبعة الكرنك، ١٩٧٦، صـ ٢٠٩-٢١١.
٣٩- أحمد أبو زيد: الطريقة الأنثروبولوجية لدراسة المجتمع، مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية.
٤٠- أحمد أبو زيد: مقال "نظرة البدائيين للكون" دراسة فى الانثروبولوجيا المقارنة، مجلة عالم الفكر، الكويت.
٤١- أحمد أبو زيد: نظام طبقات العمر: مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٥٩.
٤٢- جلال شرف، عبد الرحمن عيسوى: سيكولوجية الحياة الروحية فى المسيحية الإسلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، يناير ٧٢.

٤٣- جمعية مارمينا العجايبى بإسكندرية: الرهبنة القبطية، الرسالة الثالثة مطبعة رمسيس، ١٩٤٨.
٤٤- حكيم أمين "دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية"، ١٩٦٣.
٤٥- حكيم أمين: تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مطبعة رمسيس بالجيزة القاهرة.
٤٦- حكيم أمين: دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مطبعة رمسيس بالجيزة، القاهرة، ١٩٦٣.
٤٧- دير السريان: الثلاثة مقارات القديسين: أبريل ١٩٦٢ ، دير السريان.
٤٨- دير السريان: سير الثلاثة مقارات القديسين، مكتبة مدارس التربية الكنيسة بالجيزة، أبريل ١٩٦٢.
٤٩- دير أنبا مقار: مقال مطبوع " مرحبا بكم فى ديرنا"، مطبعة الدير غير مبين السنة.
٥٠- رؤوف حبيب: تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، مكتبة المحبة، ١٩٧٨.
٥١- رؤوف دواود تاوضروس: تفسير سيرة أنبا بلامون، مطبعة الأمانة ١٩٥٠.
٥٢- رهبنة دير مارى جرجس الحرف، أصول الحياة الروحية، لبنان- منشورات النور، ١٩٧١.
٥٣- سعد قوسة سعد، أمجاد العصر القبطى، مطبعة دون بوسكو، ١٩٧١.
٥٤- سليم سليمان الفيومى: مختصر تاريخ الأمة القبطية، المطبعة المصرية الأهلية بالقاهرة، ١٩١٤.
٥٥- سليمان مظهر: قصة الديانات: دار الوطن العربى للطباعة والنشر، غير مبين السنة، القسم الرابع.
٥٦- طه عبد الباقى سرور: رابعة العدوية والحياة الروحية فى الاسلام، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٥٧.
٥٧- عاطف وصفى: الانثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعارف بمصر، طبعة أولى، ١٩٦٧.
٥٨- عباس محمود العقاد: الله "نشأة العقيدة الإلهية، دار المعارف بمصر، طبعة ثالثة، الفصل الأول، ١٩٦٠.
٥٩- عبد الرحمن البدوى: شهيدة العشق الإلهى "رابعة العدوية" مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.
٦٠- عبد النور أبى سيفين، تاريخ القديس العظيم أنبا شنودة رئيس المتوحدين، المطبعة الاقتصادية، ١٩٥٩، طبعة أولى، الفصل الثانى.
٦١- عزت زكى: الأخلاقيات فى محيط الفكر والديانات، دار الجيل للطباعة، ١٩٧٤.
٦٢- على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، الجزء الثالث، دار المعارف، ١٩٦٩. طبعة أولى.
٦٣- علياء شكرى وآخرين: دراسات فى الفولكلور، دار الثقافة للنشر ١٩٧٢.
٦٤- عمر طوسون: وادى النطرون "رهبانه وأديرته"، مطبعة السفير بإسكندرية.
٦٥- قبارى محمد اسماعيل: الانثروبولوجيا العامة، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧١.

٦٦- لبيب حبشى وزكى تاوضروس: الأديرة الشرقية.
٦٧- محمد عبد الله دراز: الدين، مطبعة السعادة، ١٩٦٩.
٦٨- محمد عبده محجوب: أنثروبولوجيا المجتمعات البدوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧.
٦٩- محمد عبده محجوب: مقدمة فى الاتجاه السوسيو أنثروبولوجى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٧.
٧٠- مطرانية بنى سويف والبهنسا: كتاب بستان الرهبان "سيرة القديس مقاريوس"، لجنة التحرير والنشر ، ١٩٧٦.
٧١- مراد كامل: القبط فى ركب الحضارة العالمية، رسالة مار مينا الخامسة، مطبعة النهضة بالإسكندرية، ١٩٥٤.
٧٢- مراد كامل: حضارة العصر القبطى، مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة غير مبين السنة.

مخطوطات باللغة العربية

٧٣ - الأب سيرابيون: "سيرة أنبا مقار"، ميمر رقم ٥٣٦ (م) تاريخ مخطوط بدير أنبا بيشوى.
٧٤ - القديس مارفلكسينوس أسقف منبج، تفسير البرادسيوس، مخطوطة رقم ٩ بدير أنبا بيشوى.
٧٥ - آباء الكنيسة القبطية: بستان الرهبان، مطرانية بنى سويف والبهنسا، مايو ١٩٦٨.
٧٦ - قوانين الرهبنة: مخطوطة رقم ٥٣٦ "سيرة قديسين وبعض قوانين الأديرة بدير الأنبا بيشوى"
٧٧ - مخطوط رقم ٧ : ٦ ص ٤٢ بدير السريان.
٧٨ - مخطوطة رقم ١١١ قانون - مكتبة دير السريان.
٧٩ - مخطوطة رقم ١٨٣ بدير السريان.

مراجع مترجمة إلى العربية


- ادوارد أ.إيفانز بريتشارد: الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة أحمد أبو زيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، طبعة خامسة، ١٩٧٥.
- العلامة يوحنا لورنس فان موسهيم: تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، ترجمة القس هنرى هرس جسب الأمريكانى، المطبعة الأمريكانية فى بيروت، ١٨٧٥، الكتاب الأول- القسم الأول (الفصل الثانى).
- أثناسيوس الرسولى: حياة الأنبا أنطونيوس: ترجمة القس مرقس داوود، المطبعة التجارية الحديثة، ٢٠ مايو ١٩٥٠.
- أدولف ارمان: ديانه مصر القديمة، ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكرى وزارة المعارف العمومية، مطبعة مصطفى الحلبى بمصر غير مبين السنة.
- بوتومور: تمهيد فى علم الاجتماع المعاصر، ترجمة محمد الجوهرى، القاهرة، ١٩٧٢.
- جيمس فريزر: الغصن الذهبى، ترجمة أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة فرع الإسكندرية للتأليف والنشر. ١٩٧١.
- د. ج. ج. كولتون: الديرية أسبابها ونتائجها، ترجمة د. جمال الدين الشيال، مجلة الآداب- المجلد ١١، ١٩٥٧.
- رالف بيلز، هارى هويجز: مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة، ترجمة محمد الجوهرى وآخرين، مطبعة نهضة مصر، ١٩٧٧.
- روجية باستيد: مبادئ علم الاجتماع الدينى، ترجمة محمود قاسم مطبعة الأنجلو المصرية. ١٩٥١.
- سيرج سونيرون: كهان مصر القديمة، ترجمة زينب الكردى. مراجعة أحمد بدوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.
- يوسابيوس القيصرى: تاريخ الكنيسة، ترجمة القس مرقس داود، دار الكرنك بالقاهرة، ١٩٦٠.

المراجع الأجنبية

- Angrosing, M. V. & Grane, j. G. Field Projects Anthropology General Learning Press, New Jersey. 1974.
- Atiya. A. S.; History of Eastern Christianity; U. of Notredams Press, Indiana, 1967.
- Benedicta Ward; Saying of the Desert Fathers; Michigan, 1975.
- Bertholet, Alfred; Encyclopedic of The Social Sciences; "Religion". Vol. 16.
- Bierstedt Robert: The Laurel Great Lives and Thought: Emile Durkheim: Edgar Johnson , U.S.A. 1966.
- Bierstedt Robert; The Social Order; Statuses. Mc. Graw-Hill, I. N. C., Edition. 1970.
- Chapple & Coon; Principles of Anthropology; Henery Halt And Company:; 1New York, 1947.
- Clifford Geertz; International Encyclopedia of The Social Sciences; "Religion: Anthropological Study" Collier Macmillan Vol. 13-14 1972.
- Committe of The Royal Anthropology of Great Britain and Irland; Notes and Queries on Anthropology; Routledge and Kegan Pavl Ltd. London.
- Cross, F. L., The Oxford Dictionary of the Christian Church; Oxford University Press, New York. 1974.
- E. E. Evans Pritchard; Theories of Primitive Religions; Oxford University Press, London. 1966.
- E. E. Evans, Pritchard; The Nuer; Oxford, 1940.
- Encyclopedia Britannica: Macropoedia: "Sociological Studies of Religion". Vol. 15.
- Encyclopoedia Britannica: Micropedia, Division of Labour; 1968.
- Encylopoedia Britannica, Ritual Vol. 15 Benton, Helen . H. 1973.
- Erikson .N: Encylopoedia Britannica: The Rites of Passage; Benton, Helen . H.H: 1973.
- Evelyn White; The Monasteries of the Wadi N' Natrun; RartII Walter Hauser, Arno Press, New York, 1973.

- Farag Rofail Farag: Sociological and Moral Studies in the Field of Coptic Monaticism: Ledin F . J Brill. 1962.
- Firth, Raymond; Human Types; "Some Principles of Social Structure", Thomas Nelson, New York, 1943.
- Fr. Malaty Tadros Y.: The Coptic Curch; Church of Alexandria. March. 1978.
- Fr; Malaty. T. Y., Church of Alexandria; St. Mary Coptic Church; Melbourne, 1978.
- Hallett, P. E.; A Catholic Dictionary; Routledge & Kegan Paul Limited, London, 1951.
- Harrington Paul: Encylopoedia Britannica: Ritual , Benton, H.H Vol, 15.
- Henery Chadwick; The Early Church; Cox & Wyman Ltd.' 1969.
- Hugh G.Evelyn White: The Monasteries of the Wadi N Natron: part II. Printed in great Britain 1973.
- Issa, A. A.; Social Anthropology; Dar El Maaref, Cairo. 1964.
- James F Douns: Culture In Crisis: Glencoe Press , London 1975.
- Jean Danielou: The Christian Centuries: London 1964.
- Jordam Aumann & Etc.; Christian Spirituality, East & West; The Priory Press; Chicago. 1968.
- Kupar, Adam; The Social Anthropology Of Radcliffe Brown; "Structure And Function" Part I Routledge & Kegan Paul, London. 1977.
- Leach Edmund; Levi - Strauss; Seghers, Paris, 1970. Traduction Francaise Par Denis Verguin.
- M. Kontzevitch; The Life of Saint John Cassian;The Orthodox Ward New York, 1969.
- Meinardus OTTO: Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts: The American university at Cairo Press Appendix II.
- Nicene & Post Nicene Fathers; 1st Series, Vol. III.
- Notes and Queries On Anthropology; by a Committee of the Royal Anthropological Institute, Rout ledge, London. 6th Edition, 1951.

- OTTO F. A. Meinardus Php; Monks and Monasteries of The Egyptian Deserts; The American Uni. At Cairo Press, U. A. R. 1961.
- OTTO. F. A., Meinardus; Christian Egypt Ancient and Modern; The American University in Cairo Press. 1977.
- Parry Wishart B. J., Reichman L.; Modern Sociological Issues.
- Peter, L. Berger; The Social Reality of Religion; Penguin Books, 1973.
- Quoted by Aly A. Issa, Social Anthropology.
- Ralph Ruddock; Roles and Relationships; Routledge & Kegan Paul, New York; Humanities Press. 1969.
- Ronald L. Johnstone; Religion and Society in Interaction, Prentice-Hall INC., Englewood Clibs, New Jersey, 1975.
- Ropert Bierstedt: The social Order: Statuses.
- Thomas F. O' Dea; The Sociology of Religion; Prentice-Hall, Inc., Part 1, 1966.
- William J. Goode; Religion Among the Primitives; Collier-Macmilian Limited, London. 1968.
- Wishart B.J. & Reitchma, L. : Modern Sociological Issues. Role & status.



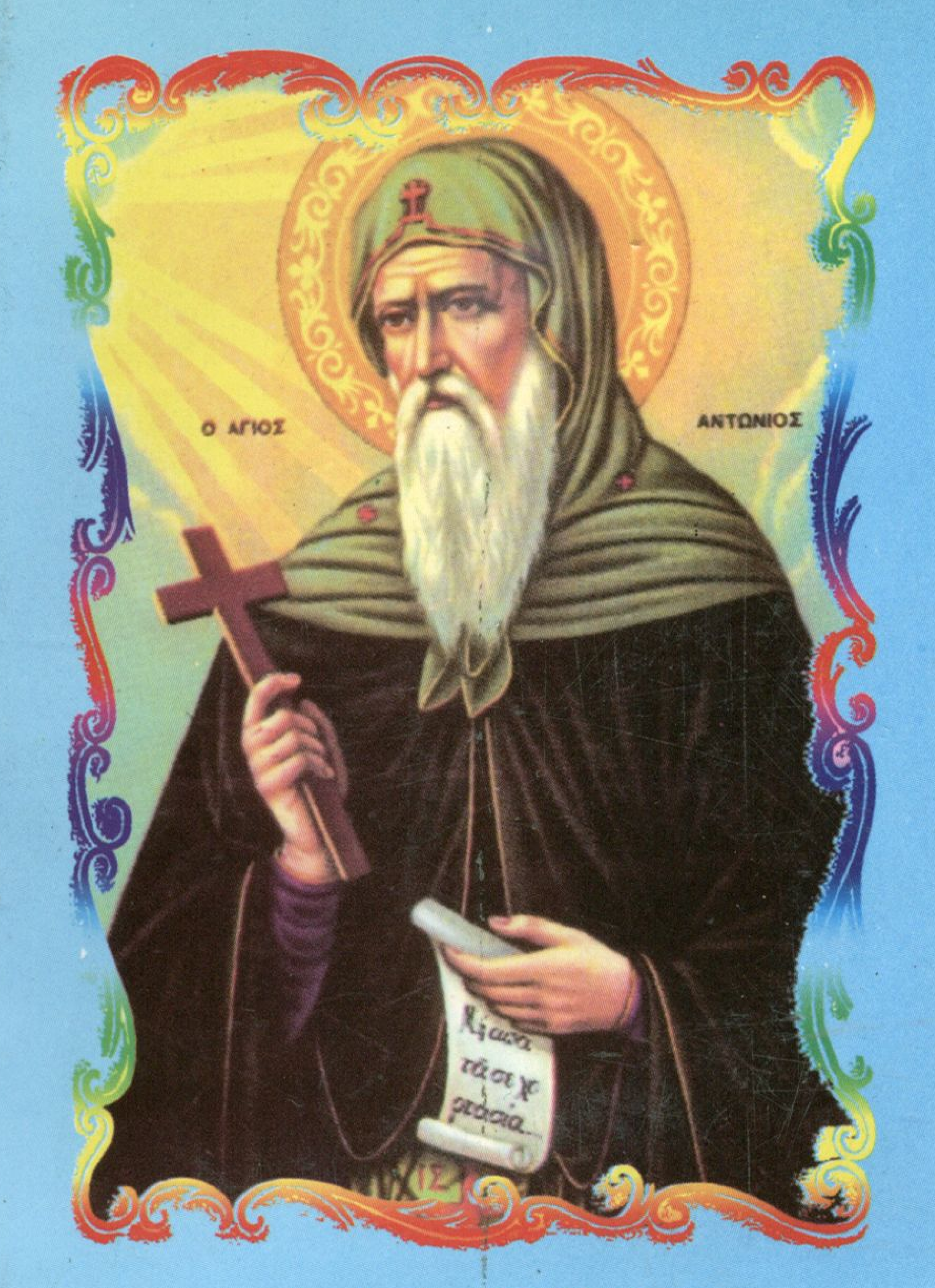
خريطة توضح الطريق الى
أديرة وادى النطرون
الطريق الصحراوى
الى القاهرة
كيلو ٩٢
كيلو ١٠٦
الى الاسكندرية
Rest House
دير ابا مقار
وادى
النطرون
صحراء
صحراء
اراضى زراعية
اراضى زراعية
اراضى زراعية
دير البراموس
دير ابا بشوى
دير السريان

الفهرس

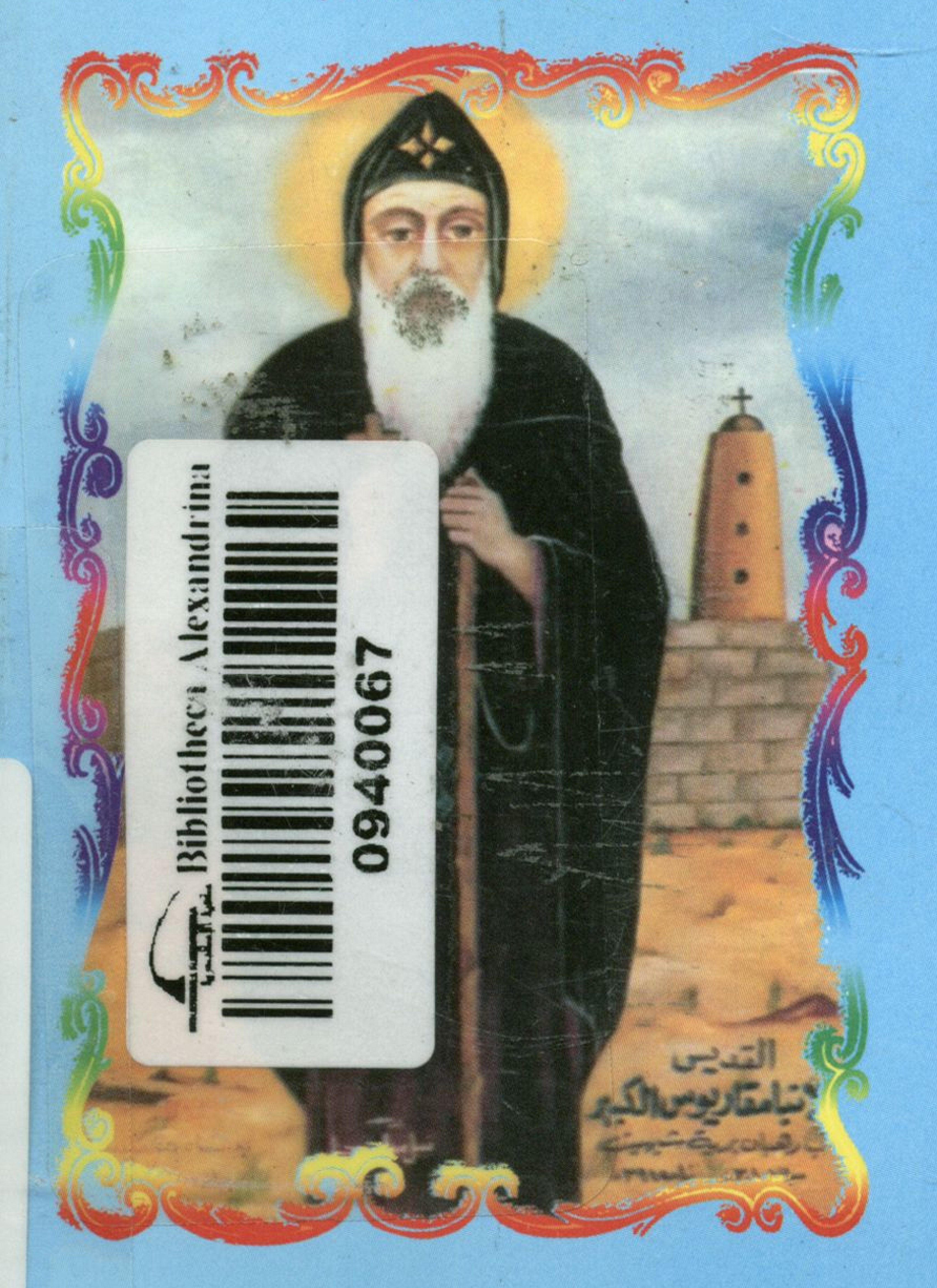
الرهبنة الديرية القبطية المعاصرة

دراسة أنثروبولوجية بأديرة وادى النطرون

الفهـــرس



الأنبا أنطونيوس أب الرهبنه



الأنبا مقاريوس أب برية شيهيت

هذا الكتاب هو حصيلة مجهود استمر أربع سنوات متواصلة

حيث أقامت الباحثة بدير الأنبا بيشوى العامر بوادى النطرون

بتصريح خاص من قداسة البابا شنوده الثالث

- أطال الله عمر قداسته

- لإجراء الدراسة الأنثروبولوجية التى تتطلب

المعايشه والملاحظة واسفر عن حصولها على

درجة الماجستير عن الدير القبطى

من قسم الأنثروبولوجيا بأداب الإسكندرية

عام ١٩٨٠ بتقدير جيد جداً.

- دكتوراه من أداب طنطا عام ١٩٨٨.

لها مؤلفات علمية عديدة :

١ - علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الطبية.

٢ - الإنثروبولوجيا .

٣ - دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية فى المجال الطبى.

٤ - الشباب المصرى المعاصر قضاياه وتحد ياته .

٥ - التدريب الميدانى .

٦ - الأبعاد الاجتماعية والثقافية لمرض الجلطة والذبحة.

٧ - علم اجتماع وأنثروبولوجيا الدين.

٨ - دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية معاصرة.

٩ - علم الاجتماع ومجالاته.

١٠ - التنمية .

١١ - علم الاجتماع الجنائى.

١٢- مناهج البحث

توزيع منشأة المعارف بالأسكندرية

دار ماريا للطباعة الحديثة

ثمن النسخة ٢٠ جنيها